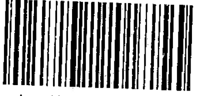
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيـدة



النظام الطبقي في البرهمية
عرض ونقد

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعـداد

الطالب/ عبدالرحمن محيي الدين بوتامـل

إشراف

الدكتور / أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة : النظام الطبقي في البرهمية - عرض ونقد

تتكون الرسالة من أربعة فصول وخاتمة

يتضمن الفصل الأول مقدمة في سكان الهند وخصائصهم ، وخمسة مباحث في بيان نشأة الديانة البرهمية، والكتب الدينية لها، وأهم عقائدها وعباداتها وأخلاقها ومعاملاتها.

والفصل الثاني يتضمن بيان نشأة نظام الطبقات في المجتمع البرهمي ، والطبقات الأربع الأصلية، والطبقات الفرعية ، ونقد الطبقية البرهمية ونشأتها على ضوء الإسلام .

والفصل الثالث يتضمن بيان واقع الطبقية في مختلف مجالات الحياة، وهي مجالات الأمور الدينية والأمور الاجتماعية والأمور الاقتصادية والأمور السياسية ، والأمور التي تتعلق بمكانة المرأة وواجباتها مع نقد كل منها على ضوء الإسلام في موضعها .

والفصل الرابع يتضمن بيان تأثير العقيدة الإسلامية في الفكرة الهندية وتأثير الإسلام في الأمور الاجتماعية للمجتمع الهندي .

وخلاصة ما عالجته الرسالة ما يلي:

- وصول مجموعة من أتباع الديانة البرهمية إلى السيادة والزعامة جعلهم يتبنون أحكاما وقوانين للحفاظ على سيادتهم ومصالحهم العرقية في جميع شؤون الحياة ، مما أدى إلى قيام نظام طبقي يقسم المجتمع إلى أربع طبقات رئيسة ويميز بينها في الكرامة والحقوق والوظائف الاجتماعية ، فحظيت الطبقات العليا بكامل الحقوق والامتيازات الاجتماعية بينما حرمت الطبقات السفلى من أدنى الحقوق الإنسانية .
- وقد انبنى هذا التمييز الطبقي على اعتقاد البراهمة أن التفاوت بين البشر طبيعي جعله الإله حين خلقهم من مختلف أعضائه، وأن الإله أعطى حق تشريع القوانين وتنفيذها للطبقة العليا منهم .
- والحقيقة أن الله تبارك وتعالى - خالق البشر - لم يجعل التمييز بين الناس باعتبار العرق أو النسب أو اللون أو اللغة أو نحو ذلك ، بل جعلهم سواء في الخلق والكرامة والحقوق الأساسية ، كلهم أبناء رجل واحد لا يفضل أحد على غيره إلا بالتقوى والأعمال الصالحة والمواهب . وعلى هذا يكون النظام الطبقي البرهمي في ميزان الاسلام جورا كبيرا على طبيعة البشر وكرامتهم ، وبعيدا كل البعد عن المنهج الإلهي .

ويوصي الباحث :

بضرورة تكثيف الدعوة الإسلامية في البلاد الهندية لإنقاذ المجتمع البرهمي عن الضلال وإخراج الشعوب البائسة من ظلم الطبقات العليا ليحظى الجميع بالفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.

ونسأل الله التوفيق والسداد

يعتمد ،،،

الطالب	المشرف	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
عبدالرحمن محيي الدين بوتامل	د/أحمد بن ناصر بن محمد الحمد	د/عبدالله بن عمر الدميجي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(سورة الحجرات ، آية ١٣)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إن ربكم واحد، وأباكم واحد، فلا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى".

(رواه الطبراني في الأوسط)

كلمة الشكر والتقدير

أحمد الله تعالى وحده وأثني عليه بما هو أهله وأشكره على ما أنعم به عليّ من نور الإيمان والهداية، وبطلب العلم بالدين الخالد إلى يوم القيامة، وسائر نعمه وآلائه العظيمة التي لا تحصى ولا تعد، وهو وحده المستحق لكل شكر وثناء.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مد إلي يد العون لإخراج هذه الرسالة إلى حيز الوجود، فأقدم شكري إلى حكومة المملكة العربية السعودية التي تيسر سبل العلم لأبناء الأمة الاسلامية من جميع أنحاء المعمورة، وتتيح الفرصة لمن يريد الاستزادة فيه في مراحل الدراسات العليا؛ كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أصحاب المعالي والسعادة مسئولي جامعة أم القري وكلية الدعوة وأصول الدين لما يبذلونه من الجهود المتواصلة في خدمة العلم والدين.

وأخص بالشكر الجزيل فضيلة شيخي الدكتور أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة من أولها إلى آخرها؛ فلقد كان اختيار هذا الموضوع ووضع خطته تحت توجيهه وإرشاده كما كان لتوجيهه القيم ونصحه الخالص طوال إعدادها دور بارز في إخراجها على هذا الشكل والمضمون، كما استفدت الكثير من علمه الواسع وفقهه الفياض؛ فجزاه الله خير الجزاء وبارك في علمه وعمله وأوقاته ومساعيه.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أقدم الشكر لجميع من ساعدني من الأساتذة والزملاء مساعدة معنوية ومادية في إخراج هذه الرسالة.

فالله تعالى أسأل أن يجزي الجميع خير الجزاء وأحسنه، وأن يوفقهم لما فيه الخير والسعادة في الدنيا والآخرة إنه قريب مجيب.

اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

فإن من أعظم نعم الله تعالى على البشر إرشادهم إلى الحق والهدى بإرسال الرسل إليهم مبشرين ومنذرين؛ يعلمونهم أصول دينهم ومنهج حياتهم؛ فقاموا عليهم الصلاة والسلام بتبليغ الرسالة وتعليم الدين والشريعة على الوجه الأكمل.

ولم تخل أمة من أمم الدنيا الا جاءها نذير من الله سبحانه ليرشدهم إلى الهدى وينذرهم عواقب الغي والضلال كما قال الله تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾(١)؛ وكلما تقادم العهد على كل أمة انحرفت عن الجادة إما بتحريف دينها وأحكامه أو بإدخال أمور فيه من عندها لم ينزل الله بها من سلطان أو بنسيانه أو نحو ذلك.

إلى أن أرسل الله تعالى نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام بالرسالة العامة الخاتمة وأوحى إليه بالدين الاسلامي، فدعا إليه الناس أبيضهم وأسودهم وعربهم وعجمهم ليتبعوه ويسيروا بحياتهم على منواله حتى تتحقق لهم السعادة الأخروية ويقوم الحق والعدل في جميع مجالات الحياة، ونهاهم عن اتباع أهوائهم ورغباتهم وتحكيم غير شريعة الله تعالى لئلا يضلوا فيبغي بعضهم على بعض ويعم الفساد والفوضى بينهم.

واستجاب الناس لدعوة الإسلام ودخلوا في دين الله أفواجا، فعم نوره الجزيرة العربية وشمل عدله أرجاءها. وامتدت أشعته بعد ذلك إلى بقاع الأرض شرقا وغربا جنوبا وشمالا ، من بلاد فارس وخراسان وتركستان وغير ذلك حتى تجاوزت بلاد السند واستضاء بها أكثر بلدان العالم في مدة لم تتجاوز قرنا من الزمان .

---

(١) سورة فاطر، آية ٢٤

وكانت شبه القارة الهندية إحدى البلاد التي دخلها الإسلام وهي مركز مدنية دينية قديمة ـ هي الهندوسية ـ حكمت عقائدها وأحكامها المجتمع الهندي قرونا طويلة، ولا تزال متسلطة في بلاد الهند على معظم سكانها البالغ عددهم نحو ٨٤٠ (أربعين وثمانمائة) مليون نسمة، نسبة الذين يدينون بالهندوسية فيها ٨٢،٦٤ ٪ إضافة إلى بعض الدول الأخرى المجاورة لها التي اعتبرت الديانة الهندوسية ديانة رسمية مثل نيبال وبورما وغيرهما، وبعض الدول التي يعيش فيها أقليات هندوسية مثل باكستان وبنغلاديش وإندونيسيا وماليزيا وغيرها؛ وبعض الأماكن من قارتي أفريقيا وأمريكا حيث يوجد فيهما أتباع لهذه الديانة.

ومن أهم مظاهر هذه الديانة النظام الطبقي الذي يقسم المجتمع إلى طبقات متفاوتة ويشرع لكل طبقة منها أحكاما خاصة في كل مجال من مجالات الحياة؛ وحكم هذا النظام المجتمع الهندي قرونا طويلة وبلغ أوجه في العصور الوسطى؛ ولم يضعف نفوذه إلا في الفترة التي حكم الهند فيها شعوب أخرى من المسلمين والغرب وغيرهم.

وعند دراستنا لواقع الأمم ودياناتها القديمة والحديثة نرى أن معظمها يفرق بين أفراد المجتمع في المنزلة والحقوق بوجه ما – غير الأمم التي استقامت على الشريعة الالهية – إلا أن الديانة الهندوسية أشد تمييزا بين الناس في مكانتهم وكرامتهم وحقوقهم، حتى لم يوجد في التاريخ نظام أشد ظلما وجورا على الإنسان من النظام الطبقي الهندي.

وليس هذا النظام واقعة تاريخية لعبت دورها فترة ما، ثم انقرضت عن الوجود بمر العصور ويقرؤها القارىء في غضون الأوراق، بل ما زال باقيا بجميع مظاهره وأوصافه في مجتمع يدين بالديانة البرهمية ويحكم حياتهم بمختلف مجالاتها.

ومن هنا تتبين أهمية موضوع النظام الطبقي في الدراسة والبحث والنقد على ضوء الهدي الالهي، فاخترته موضوع رسالتي للماجستير رغم قلة المراجع في الموضوع على هذا التفصيل حتى في اللغات الهندية المعروفة، وإن معظم المصادر الدينية مكتوبة في اللغة السنسكريتية القديمة – وهي لغة غير متداولة الآن بين أتباع الهندوسية أنفسهم ما عدا قلة من علمائها.

وهناك أسباب دعتني إلى اختيار هذا الموضوع أذكرها فيما يلي:–

* ان الديانة البرهمية يدين بها نسبة كبيرة من سكان العالم، ولا يزال أتباعها يحاولون إحياء مظاهرها وتراثها وإقامة نظامها وأحكامها في بلادهم بجميع مظاهرها وأوصافها كما كانت في العصور القديمة.

* محاولة إحياء النظام الطبقي يؤدي إلى استعباد نسبة كبيرة من الناس لخدمة مجموعة قليلة منهم يتمتعون بامتيازات كثيرة، وإلى إبادة الشعوب الأخرى وحضاراتها من الساحة أو صهرها في الحضارة البرهمية. ويكون ذلك على حساب الاسلام والمسلمين أكثر مما يكون على غيرهم.

* يحاول أتباع البرهمية تشويه الشريعة الاسلامية إما قصدا لإنهاء وجود الاسلام وحضارته في البلاد، وإما جهلا به؛ فيتعرض المسلمون نتيجة ذلك لألوان من التمييز والإهانة والاضطهاد. فكان لزاما علينا أن نظهر باطل ما يدعون إليه وحقيقة ما يريدون تشويهه.

* كان تأثير الاسلام في المجتمع الهندي واعتناق الناس له وانتشار نفوذه آتيا من ناحية عقيدته الصحيحة التي تقوم على توحيد الله وعبادته، ومن ناحية نظامه الاجتماعي الذي يدعو إلى الأخوة الانسانية والعدل الاجتماعي والمحبة بين الناس وعدم التمييز بينهم في الحقوق والاختصاصات باختلاف اللون أو العرق أو اللغة أو غير ذلك. وبهذا فان الدعوة الاسلامية في هذه الديار تستلزم إظهار خصائص الاسلام من هذه النواحي.

* لم تقم هناك دراسة وافية عن النظام الطبقي البرهمي - على ما أظن – في اللغة العربية بحيث يستطيع القاريء فيها الاطلاع على هذا النظام الذي لا يزال يحكم حياة الانسان في بعض بقاع الأرض. وقد رغبت في ذلك منذ أن بدأت دراسة البرهمية في السنة المنهجية.

واستنادا إلى هذه الأمور رأيت أن بحث موضوع النظام الطبقي عرضا ونقدا واجب ومهم لطلاب العلم عموما ولطلاب العلوم الشرعية على وجه الخصوص.

وأريد أن أذكر هنا المنهج الذي أتبعه في كتابة البحث:

* أعتمد في عرض الموضوع على المراجع والمصادر الدينية الهندية ما استطعت، ولا أعتمد على الكتب العربية كثيرا، وذلك لتكون المعلومات أصلية دون اختلاط بآراء وأفهام المؤلفين الغريبين على اللغات الهندية.

* أذكر عند الاحالة إلى المراجع الهندية اسم الكتاب مترجما إلى العربية واسم مؤلفه؛ وفي حالة ذكر المراجع في اللغات اللاتينية أذكر اسم الكتاب مع ترجمته عند أول الذكر، ثم أكتفي باسمه اللاتيني فقط.

* أشرح في هامش الرسالة الألفاظ التي أراها غريبة على القاريء كما أترجم للأشخاص غير المشهورين ممن يرد ذكرهم في صلب البحث.

* أحاول عند تعريب الألفاظ والأعلام الهندية تقريبها إلى النطق الصحيح الذي يتبعه أهل الهند قدر الإمكان لكي لا تكون بعيدة عن أصلها في اللفظ، كما أكتب الحروف اللاتينية بجانبها. وعلى سبيل المثال : ترد كلمة الويدا في الكتب العربية على شكل فيدا وبيدا وبيذ وما إلى ذلك، ونطق الحرف الأول فيها بالواو أقرب إلى الأصل، وكذلك الحال في كلمات أترو ا ووشنو وشوا وما إلى ذلك. والجيم في بعض الكلمات مثل رجويدا وجوتما وجنج وجوماتا وجيتا وياجا ويوجا ونحو ذلك تنطق كنطق الكاف الفارسية التي بين الجيم والكاف، وهو أقرب إلى نطق الجيم في العامية المصرية، ولهذا يعربها بعض الكتاب كافا أو غينا؛ وأنا اخترت الجيم لتكون أقرب إلى الأصل وموافقة لكتابتها في اللاتينية.

* وعند نقد الموضوع وبيان موقف الاسلام منه لن أتعرض لمقارنة الأحكام البرهمية بالأحكام الاسلامية ـ بمفهوم المقارنة لدى الغرب وهو تسوية الطرفين في التناول والبحث ـ حيث إن الاسلام لا يقارن بالأديان الأخرى بهذا المفهوم ولا سيما بديانة وضعية غلبت عليها أهواء البشر وأطماعهم كالبرهمية.

* أنقد أهم العناصر والنقاط - بعد تلخيصه - من الأحكام البرهمية، وخاصة ما يتعارض مع نظام الاسلام كليا أو جزئيا.

وسيكون تناولي للموضوع - بحول الله وقوته - بعد المقدمة في أربعة فصول وخاتمة.

الفصل الأول سأجعله لتعريف الديانة البرهمية؛ وفيه مقدمة وخمسة مباحث.

المقدمة عن سكان الهند وخصائصهم، أبين فيها أهم الشعوب التي عاشت والتي تعيش فيها قديما وحديثا.

والمبحث الأول في نشأة الديانة البرهمية، أبين فيه كيف ومتى نشأت البرهمية في الهند.

والمبحث الثاني في الكتب البرهمية، أبين فيه الكتب الدينية البرهمية بأقسامها.

والمبحث الثالث في العقائد البرهمية، أبين فيه أهم عقائد البرهمية فيما يتعلق بالإله عقيدة تعدد الآلهة، ووحدة الوجود، والتثليث، وتشكل الإله ونزوله، وما يتعلق بعمل الانسان وجزائه من تناسخ الأرواح والكرما والعوالم.

والمبحث الرابع في العبادات، وسوف أبين فيه أهم الشعائر التعبدية التي يقوم البرهميون بأدائها.

والمبحث الخامس في الأخلاق والمعاملات، سأشرح فيه أهم ما يتمسك به البرهميون من عادات وتقاليد وأخلاق.

وأما **الفصل الثاني** فهو في بيان الطبقية وأقسامها ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول في نشأة نظام الطبقات في الهند وظروف وعوامل نشأته.

والمبحث الثاني في الطبقات، سأشرح فيه الطبقات الأربع الأصلية التي تندرج تحت النظام الطبقي، والطبقات الفرعية الخارجة عن نطاقه.

والمبحث الثالث في نقد الطبقية ونشأتها على ضوء الاسلام، وسوف أبين فيه موقف الاسلام من التمييز بين الناس مع شرح لأصول الشريعة الاسلامية وكيف هي مصونة عن تدخل أهواء البشر.

وأما **الفصل الثالث** فهو في بيان واقع الطبقية عند البراهمة في مختلف مجالات الحياة؛ ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول في الطبقية في الأمور الدينية، وسأبين فيه أهم الجوانب الدينية التي يميز فيها بين الطبقات مع نقدها على ضوء الاسلام وبيان موقف الاسلام منها.

والمبحث الثاني في الطبقية في الأمور الاجتماعية؛ سأشرح فيه الأمور الاجتماعية التي يميز فيها بين الطبقات المختلفة في نظم التربية والأخلاق ونظم الأسرة والزواج والقوانين المدنية والقضائية والعقوبات وغيرها؛ ثم أنقد هذه الأمور على ضوء الهدي الاسلامي مع بيان موقف الاسلام منها.

والمبحث الثالث في الطبقية في الأمور الاقتصادية؛ وسوف أبين فيه أهم الأمور الاقتصادية التي يظهر فيها التمييز الطبقي من ملكية الأموال وقسمة الميراث وشؤون العمل والمعاش وامتيازات الطبقات العليا في مجال الاقتصاد وغيرها، ثم أتعرض لها بالنقد على ضوء الاسلام مع بيان موقف الاسلام منها.

والمبحث الرابع في الطبقية في الأمور السياسية، وسوف أبين فيه أحكام الطبقية في الحكم وسياسة الدولة والحرب وامتيازات الطبقات العليا فيها وغير ذلك؛ ثم أتعرض لها بالنقد وبيان موقف الاسلام منها.

والمبحث الخامس في المرأة وواجباتها في البرهمية، وسأبين فيه مكانة المرأة في الديانة البرهمية وحقوقها وواجباتها الاجتماعية، ثم أنقد هذه الأمور على ضوء الاسلام وأبين موقف الاسلام منها.

أما **الفصل الرابع** فهو في بيان تأثير الاسلام والمسلمين في المجتمع البرهمي؛ وسوف أبين فيه مدى تأثير العقيدة الاسلامية في الفكرة الالهية الهندية واستفادة رجال البرهمية المصلحين في نشر فكرهم وحركاتهم بين أتباع الهندوسية، كما أبين فيه تأثير الاسلام في الأمور الاجتماعية فيها.

أما **الخاتمة** فهي في ذكر أهم النتائج التي أتوصل اليها من خلال البحث وبعض الأمور المستفادة منه وبعض الاقتراحات التي أراها.

هذا وأسأل الله تعالى العون والتوفيق في البدء والختام، وأصلي وأسلم على خير خلقه محمد سيد الأنام، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم البعث والمقام.

الفصل الأول

الديانة البرهمية

مقدمـــــــة : عن سكان الهند وخصائصهم

المبحث الأول : نشأة الديانة البرهمية

المبحث الثاني : كتب الديانة البرهمية

المبحث الثالث : عقائد الديانة البرهمية

المبحث الرابع : العبادات في الديانة البرهمية

المبحث الخامس : المعاملات والأخلاق في الديانة البرهمية .

الفصل الاول
الديانة البرهمية

مقدمة
سكان الهند وخصائصهم

شبه جزيرة الهند تقع في قارة آسيا الجنوبية يحدها من جهة الغرب خليج العرب ومن الشرق خليج البنغال وتحدها شمالا سلسلة جبال الهملايا(Himalaya). وتتكون من ثلاثة أجزاء رئيسة حسب جغرافيتها الطبعية هي: السلاسل الجبلية والأراضي السهلية وهضبة الدكن.

وتبدأ السلاسل الجبلية الممتدة في شمال الهند من عقدة بامير حيث تتجه صوب الجنوب الشرقي بصورة عامة مكونة قوسا كبيرا عظيم الارتفاع يزيد امتداده عن ٢٠٠٠ كيلومتر ويعرف بسلسلة الهمالايا التي تشكل حائطا طبعيا يفصل الهند عن هضبة التبت المرتفعة في الشمال.

والأراضي السهلية تتألف من سهول نهر الجَنْج (Ganges) والحوض الأدنى لنهر بِرَاهَمَا بُوتْرَا (Brahma putra) شرقا وحوض نهر السند غربا، وتمتد تحت السلاسل الجبلية إلى أن تحدها جنوبا قاعدة مثلث شبه الجزيرة الهندية كما تمتد من الشرق إلى الغرب لمسافة تزيد عن ٣٠٠٠ كيلومتر.

وتمتد هضبة الدكن مثلثة الشكل إلى الجنوب مباشرة من إقليم السهول ويحدها خليج البنغال من الشرق وبحر العرب من الغرب.(١)

---

(١) انظر: آسيا – دراسة في الجغرافية الأقليمية، د/محمد خميس الزوكة، دار المعرفة الجامعية، ص ٤٩٩-٥٠٢، وآسيا الموسمية وعالم المحيط الهادي، د/ حسن سيد أحمد أبو العينين، ص ١٨١-١٨٧، ودائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي ١٠/٥٤٠

ويقول أحد علماء الجغرافيا :

"الهند كوحدة جغرافية تمتاز بأنها تضم مساحة كبيرة مترامية الأطراف بها ظروف طبيعية متباينة وظروف بشرية مختلفة، فهناك تباين للتضاريس والمناخ حقيقة أن المناخ السائد هو الموسمي ولكن يختلف في تفصيلاته من إقليم لآخر، كذلك هناك تباين في المظهر البشري ، فبالهند لغات ولهجات متعددة كذلك عقائد دينية متباينة."(١)

وقد عاشت في شبه القارة شعوب وسلالات كثيرة قديما وحديثا مختلفة في أجناسها وعاداتها وتقاليدها ولغاتها وآدابها وفنونها.

أما الهند القديمة فهي بطبيعتها الجغرافية لم تربط بين سكانها بصلة ما، حيث كانوا يسكنون قطعا متباعدة فرقت بينها غابات كثيفة وجبال شاهقة ولم تربط بين قبيلة وأخرى علاقات دين أو حضارة أو لغة أو تجارة أو غيرها. لكن وفد إليها بعد ذلك أقوام من بلاد أخرى متفرقة واستوطنوها رغم كونها مقفلة تحيط بها الجبال والبحار التي يصعب اجتيازها لتعذر الملاحة في خليج البنغال ولوجود جبال عالية في شواطيء البحر العربي ولوجود سلسلة جبال الهمالايا في الشمال، إلا أن هناك معبرين سلكهما المحتلون، معبر في شرقي جبال الهمالايا ومعبر في غربيها. ولم يحدد التاريخ بدقة الأقوام الذين دخلوا إلى الهند في العصور القديمة حيث إن تاريخ الهند القديم عبارة عن سلسلة من الأقاصيص والأساطير.(٢)

---

(١) الدكتورة دولت أحمد صادق، جغرافية العالم – دراسة اقليمية١/٩٧

(٢) انظر: أديان الهند الكبرى للدكتور أحمد شلبي ص٢٢-٢٣

يقول صاحب دائرة معارف القرن العشرين: "والمسألة الوحيدة المحققة الآن هي دخول شعوب لغاتها مقاربة للغة الهنود مثل الإيرانيين والباكتريانيين والأرمن واليونانيين واللاتينيين والسلتين والجرمانيين إلى تلك البلاد ولكن التاريخ لم يستطع تحديد عددهم ولا الزمن الذي دخلوا الهند فيه، ولا الطريق الذي سلكوه إليها".(١)

وأقدم سكان الهند ممن عرف في التاريخ طائفة "النَاجَا" (Naga) الذين كانوا يعبدون الثعابين، وكانوا مستوطنين في المناطق الشمالية، ولا تزال سلالاتهم على قيد الحياة في التلال البعيدة(٢) وهناك الآن مقاطعة خاصة لهؤلاء القوم باسم "نَاجَـالَانْد" (Nagaland) أي أرض الناجا قرب مقاطعة آسام شمال شرق الهند.

أما سائر سكان الهند الحاليين فيشمل أسلافهم الدراوديين والآريين والمغول وغيرهم إلا أنه تبلورت الشعوب والولايات واللغات والديانات الحالية من عدد لا يحصى من الغزوات والهجرات.(٣)

---

(١) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين ٥٤٦/١٠

(٢) انظر: قصة الحضارة لول ديورانت، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ١٩/٣

(٣) انظر: المعرفة، مطبعة دار لبنان، للشركة اللبنانية للموسوعات العالمية، ٣٠٩٣/١٨

الدراوديون – السكان الأصليون

الدراوديون قوم سكنوا الهند منذ آلاف السنين قبل دخول الآريين إليها، وشيدوا فيها مدنية راقية؛ ولم تعرف هذه المدنية تاريخيا حتى اكتشفت في القرن العشرين الميلادي وذلك عندما قامت أعمال تنقيب في قريتي مُوهَنْجُودَارُو وهَارَبَا(١) عام ١٩٢٤م؛ وتعرف هذه المدنية بحضارة وادي السند (Indus valley civilisation)، وإلى ذلك الحين كان يعتقد أن تاريخ الهند وحضارتها يبدآن منذ دخول الآريين إليها.(٢)

ويذكر المؤرخون أن الدراوديين شعوب دخلوا الهند منذ آلاف السنين وارتبطوا بمن كانوا يسكنون فيها حينذاك من قبائل الناجا وغيرهم، حتى صاروا فيما بعد سكانا أصليين؛ وكانوا أصحاب بشرة داكنة، فطس الأنوف، وكانوا على سعة في العيش وشيء من الترف، واتصلوا بالبلاد الخارجية حتى وصل بحارتهم المغامرون بلاد سومر وبابل.

ولما دخل الآريون الهند غزاة فاتحين وحلوا على الدراوديين في الشمال اضطروا إلى الانتقال إلى الجنوب حيث لم يمتد اليها نفوذ الآريين كثيرا، ولا يزال الدكن (Deccan) (اقليم مرتفع عن مستوى البحر) والمقاطعات الجنوبية إلى اليوم مسكنا متحدا لهم ومركزا لعاداتهم ولغاتهم وآدابهم وفنونهم. (٣)

---

(١) قريتان أثريتان تقعان الآن في دولة باكستان – تقع قرية موهنجودارو (Mohanjodaro) في مقاطعة لاركانا (Larkana) في اقليم السند، غربي نهر السند، شمال مدينة كراتشي بمائتي ميل تقريبا؛ وهاربا (Harappa) في مقاطعة موند جوماري (Montgomery) في البنجاب الغربية، بعيدة عن مدينة لاهور قرابة مائة ميل جنوبا شرقي نهر الراوي. وقد كشفت أعمال التنقيب التي جرت بين سنتي ١٩٢٢و١٩٢٧م، في هاتين القريتين آثار وتاريخ مدينتين قديمتين راقيتين سادت فيهما حضارة زاهرة ومدنية راقية عين تاريخها ما بين القرن السابع والعشرين والخامس والعشرين قبل الميلاد.
(انظر: Life and culture in Ancient India (الحياة والثقافة في الهند القديمة) لبي.ن. لونيا ص٣٥)
ويقول سيرجون مارشال أحد مكتشفي آثار هذه المدنية: "تؤيد هذه الكشوف قيام حياة مدينة بالغة الرقي في السند (وهي اقليم في "رئاسة بمباي" يقع أقصى الشمال) والبنجاب خلال الألف الرابعة والألف الثالثة من السنين قبل الميلاد، ووجود آبار وحمامات ونظام دقيق للصرف في كثير من المنازل، يدل على حالة اجتماعية في حياة أهل تلك المدن تساوي على الأقل ما وجدناه في "سومر"، وتفوق ما كان سائدا في العصر نفسه في بابل ومصر ... وحتى "أور" لا تضارع بمنازلها من حيث البناء، منازل موهنجودارو". (انظر: قصة الحضارة ٣/١٦)

(٢) انظر: Ancient India By Romila Thaper (تاريخ الهند القديم لروميلا تابر) ترجمة مليبارية ط٢، ص٣٣

(٣) انظر: قصة الحضارة ٣/١٩

الآريـــون

ومن الأقوام الذين دخلوا الهند القديمة الآريـون الذيـن أتـوا مـن البـاب الغربـي عـن طريق البنجاب قبل ميلاد المسيح بعشـرين قرنـا علـى وجـه التقريـب، وغلبـوا الدراوديين وأبعدوهم إلى الأماكن الجنوبية واستولوا علـى أراضيهم وممتلكـاتهم فـي الشـمال، وسـموا أنفسهم بالآريين ليعنوا بها الأشراف.

وافترقوا عن الدراوديين في لون البشرة حيث كانوا أصحاب بشرة داكنة والآريون أصحاب بشرة شقراء. واختلف المؤرخون في أصلهم ؛ والمرجح أن يكونوا قد جـاءوا مـن تلك المنطقة القزوينية التي كان بنو أعمامهم من الفـرس يسـمونها (ايريانـافيجو)، ومعناهـا (الوطن الآرى).(١)

يقول المؤرخ الغربي هـ ج ولز :

"وفـي عصـر يقـارب عصـر حمورابـي(٢) أو يعقبـه انحـدر فـرع مـن الشـعوب المترحلة الناطقة باللسان الآرى، وكانوا آنذاك يسكنون شمالي فارس وأفغانستان، انحـدروا متسللين في الممرات الشمالية الغربية إلى الهند، وكانوا ذوى قرابة وثيقة بأسلاف الميديين والفرس ، شق هؤلاء طريقهم بأسلحتهم حتـى سـادوا كـل السكان الأشد منهـم سـمرة فـي شمال الهند، ثم نشروا حكمهم أو نفوذهم في كل أرجاء شبه الجزيرة. ولكن لم يحـدث قـط أن جمعتهـم أي وحـدة فـي الهنـد فتـاريخهم تـاريخ ملـوك وجمهوريـات لا تفـتر بينهـا الحروب".(٣)

---

(١) انظر:قصة الحضارة ٢٠/٣، وأديان الهند الكبرى ص٢٣

(٢) هو مؤسس الامبراطوريـة البابليـة الأولـى، اختلـف فـي عصـره ، ويحدد المؤلـف عصـره القـرن الثـاني عشر(١٢٠٠) قبل الميلاد. (معالم تاريخ الإنسان ية، هـ. ج. ولز ١٦١/١)

(٣) معالم تاريخ الإنسان ية، هـ. ج. ولز، ٧١/١

ويذكر لنا ول ديورانت خصائصهم وصفاتهم بقوله:

"وكان هؤلاء الآريون أقرب إلى المهاجرين منهم إلى الفاتحين. شأنهم في ذلك شأن الجرمان في غزوهم لايطاليا، ولكنهم جاءوا ومعهم أجسام قوية، وشهية عارمة للطعام والشراب، ووحشية لا تتردد في الهجوم، ومهارة وشجاعة في الحروب. وسرعان ما أدت بهم هذه الخصال كلها إلى السيادة على الهند الشمالية، وكانوا يحاربون بالقسي والسهام يقودهم مقاتلون مدرعون في عربات حربية، أدواتهم في القتال هي الفؤوس إن كانوا على مقربة من العدو، والحراب يقذفون بها إن كانوا على مبعدة منه، وكانوا من الأخلاق البدائية على درجة لا تسمح بالنفاق، ولذلك أخضعوا الهند دون أن يدعوا أنهم يرفعون مستواها ...".(١)

ويذكر أيضا أنهم كانوا يربون الماشية ويستخدمون البقرة دون أن ينزلوها من أنفسهم منزلة التقديس، ويأكلون اللحم متى استطاعوا إليه سبيلا بعد أن يهبوا جزءا منه للكهنة أو الآلهة.(٢)

ويرتبط تاريخ الهند الواضح بالعهد الآرى حيث لم يعلم شيء عما قبل دخول الآريين الا في القرن العشرين وذلك عند اكتشاف الحضارة السندية في أعمال التنقيب في قريتي موهنجودارو وهاربا كما سبق، وانحدرت من الآريين الديانة الهندوسية حيث جاءوا معهم بالويدات(٣) ونشروها في الهند واتخذوا من المعتقدات والعادات والتقاليد الدراودية والآرية ديانة يدينون بها وهي التي تعرف الآن بالديانة الهندوسية.

---

(١) انظر: قصة الحضارة ٢١/٣

(٢) المصدر السابق ٢٥/٣

(٣) الويدات هي الكتب الدينية الأساسية التي تجمع العقائد والعادات والقوانين البرهمية . وهي أربعة كتب، رجويدا ويجور ويدا وسام ويدا وأترو ويدا. ويأتي تفصيلها في مبحث كتب البرهمية .

واختلط سكان الهند بأجناس كثيرة حينما دخلوها فاتحين وحكموها في عهود مختلفة منها العرب والفرس والأفغان والترك والمغول والغربيون، وامتزجت هذه الشعوب مع اختلافها في اللغات والآداب والعادات والتقاليد وغيرها ويشكل الآريون والدراوديون أغلبية سكان الهند، ومنهم الهندوس الذين يدينون بالبرهمية أو الهندوسية ونسبتهم ٨٢,٦٤٪ من جميع سكان الهند، إلا أنهم متفرقون في طبقات عديدة تزيد على أربعة آلاف طبقة يبتعد بعضها عن بعض(١)، وكما تختلف في منازلها الاجتماعية تختلف في عاداتها واعتقاداتها الدينية وغير ذلك.

تلك نبذة موجزة عن سكان الهند من ناحية أجناسهم العرقية، أما من النواحي الدينية فهناك طوائف المسلمين والمسيحيين والسيخ والبوذيين والجينيين والهندوس وغيرهم، وفيما يلي وبحسب قربها بالوحي الإلهي أعطى لمحة عن كل منها:

١ - المسلمون

تنورت الهند بنور الإسلام في القرن الأول من الهجرة وتشرفت بأقدام المجاهدين الأولين من العرب الذين دخلوها عن طريق مناطق السند الواقعة على شواطىء الهند الغربية الشمالية في بحر العرب حينما دخل محمد بن القاسم الثقفي فاتحا في نحو عام ٩٢هـ أيام حكم الحجاج بن يوسف، وامتد نفوذهم في مقاطعة السند وما جاورها من الأقطار الشمالية. وكذلك دخل المسلمون من البحارين والتجار العرب من شواطىء البحر العربي الجنوبية الغربية، وامتد نفوذهم في مليبار ونواحيها من بلاد الشواطىء الغربية؛ أما داخل الهند فنفذت أشعة الإسلام إليها مع امتلاك محمود الغزنوي (٣٨٨-٤٢١هـ) وأخلافه ناصية البلاد في نحو سنة ٣٩٢هـ.

واستمرت دولة المسلمين في الديار الهندية قرابة ثمانية قرون؛ حكم خلالها كثير من الأسر الملكية من الغزنوية والغورية والخلجية والطغلقية والمغولية وغيرها، وتركوا آثارا ومعالم رائعة للحضارة الإسلامية لا تزال الهند تعتز بها.(٢)

---

(١) مجلة بربودهنام - ٢٦/٤٩ - جماد الآخر ١٤١١/١٢هـ

(٢) راجع للتفصيل: تاريخ الإسلام في الهند لعبد المنعم النمر ص٦٠-٣١٣، وتارخ الدعوة الإسلامية في الهند لمسعود عالم الندوى ص٣-٩، والدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية للدكتور محي الدين الألوائي ص١٨١-١٨٨

ولم يزل الإسلام ينتشر في البلاد الهندية بجهود الدعاة العرب في العصور الأولى، وبجهود الدعاة والمجددين الهنود في العصور التالية حتى صارت شبه القارة الهندية أولى دول العالم في عدد المسلمين . ولما قام تقسيم الهند إلى دولتين ـ الهند وباكستان ـ عام ١٩٤٧ م صارت الهند دولة مستقلة ذات أغلبية هندوسية وأقلية مسلمة ، واليوم تعتبر الهند وحدها ثانية دول العالم في عدد المسلمين بعد اندونيسيا إذ يفوق عددهم مائة مليون نسمة بنسبة ١١,٣٥٪ من جميع سكان الهند ، يحتلون المركز الثاني في الهند من حيث الديانة ، ومن ثم لا تزال الهند تحتل جزء مهما وحيا من جسم العالم الإسلامي الكبير .

٢ ـ النصارى

يقال إن المسحية وصلت إلى الهند إثر ظهورها إذ وصل تلميذ المسيح عليه السلام القديس توماس إلى الهند سنة ٥٢ للميلاد،(١) وحينما نجح البرتغالي فاسكودجاما بالوصول إلى كاليكوت ساحل المليبار في جنوب الهند سنة ١٤٩٨م تبعه المسيحيون إلى الهند؛ وكان من أغراض البرتغال نشر الدين المسيحي فأرسلت اليها جماعة وأمرتهم بالدعوة إلى الدين بالحكمة والموعظة، فإن لم تجديا فبالسيف. واستمر البرتغاليون يتوافدون إلى الهند حتى آل الأمر إلى انفرادهم بالاتجار مع تلك البلاد.

ثم خلفتها هولندا وفرنسا وانجلترا فأسست كل منها شركات تجارية إلا أن الانجليز لم يكتفوا في فتح الهند بواسطة التجارة وحدها بل أرادوا حكمها سياسيا فشرعوا في إجلاء الفرنسيين منها وتمكنوا من استعمارها إلى أن استقلت منهم عام ١٩٤٧م.(٢)

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص٢٩٤

(٢) انظر: دائرة معارف القرن العشرين ص٥٥٠-٥٥٦

ولم يكتف هؤلاء بمزاولة التجارة أو السياسة بل قاموا بأعمال التبشير أيضا حتى انتشرت المسيحية في أرجاء الهند، ويبلغ عدد المسيحيين الآن فيها حوالي ١٥ مليون نسمة، يشكلون نسبة ٢,٤٣ ٪ ويوجد فيها وخاصة في المنطقة الجنوبية أتباع جميع الكنائس المسيحية من الكاثوليكية والبروتستانتية والارثوذكسية(١) وغيرها كما يوجد جاليات مسيحية في مختلف أنحاء البلاد ولها نشاط ملحوظ في الميادين التعليمية والتجارية والسياسية.(٢)

---

(١) أشهر الكنائس المسيحية . الكنيسة الكاثوليكية هي الكنيسة العامة التي تدعى أم الكنائس ومعلمتها ، وهي وحدها التي تنشر المسيحية في العالم، وتسمى أيضا بالغربية أو اللاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني من ايطاليا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال، وتتبع النظام البابوي ويرأسه البابا الذي يعتبر تلميذ المسيح الأكبر على الأرض ، ومن هنا لا تقبل أرادته الجدل أو المناقشة .
والكنيسة الارثوذكسية ـ وتسمى أيضا بالكنيسة الشرقية أو اليونانية لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقية ومن البلاد الشرقية كروسيا والبلقان واليونان ـ انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٠٥٤م واتخذت مقرها القسطنطينية ، ويقوم الخلاف بين الكنيستين حول العقيدة؛ يقول الكاثوليك إن روح القدس نشأ عن الإله الأب والإله الابن معا وأنهما متساويان، وإن المسيح طبيعتان ومشيئتان حينما يقول الارثوذكس إن روح القدس نشأ عن الإله الأب فقط وإن الأب يفضل على الابن ، وإن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة. وتتبع الكنيسة اللارثوذكسية نظاما يبدأ من البطريك ثم المطارنة ثم الأساقفة ثم القسس أصحاب الامتياز ثم القسس العاديين ، وهؤلاء جميعا أصحاب الرأي والكلمة في كل ما يدور حول الكنيسة .
والكنيسة البروتستانتية ـ وتسمى الكنيسة الإنجيلية ليقصد بها أن أتباعها يتبعون الإنجيل دون غيره ويفهمونه بأنفسهم ولا يخضعون لفهم سواهم له ، ويرون أنه لا تختص بفهمه طائفة دون أخرى بل لكل قادر الحق في فهمه والجميع متساوون ومسؤولون أمامه ، وتنتشر هذه الكنيسة في ألمانيا وانجلترا والدانمارك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية وغيرها ، وتتبع نظاما تعاونيا أي يتعاون أعضاؤها على القيادة والوعظ . والفرق بينها وبين غيرها من الكنائس هو أن البروتستانت قرروا حرية البحث والنظر في الأمور الاعتقادية التي حرموها كالكاثوليك فيما بعد وعذبوا بالحديد والنار رجالا لأجل عقائدهم ومنعوا كتبا عن النشر لكونها تحوي ما لا يتفق مع تعاليمهم ، ومن الفرق ايضا أن البروتستانية حرمت عبادة الأولياء والصور وأقلت من الرسوم الكنسية والرتب الكهنوتية وأبطلت الرهبنة .
(المسيحية ، تأليف الدكتور أحمد شلبي ، ص٢٣٧ ـ ٢٤١، ودائرة معارف القرن العشرين ، لمحمد فريد وجدي ، مادة النصرانية ١٠ /٢٤٤)

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص٢٩٥

٣ ـ السيخ

وهم أتباع جُرُو نَانَاك(١) (Guru Nanak) ١٤٦٩–١٥٣٨م أحد المصلحين الهندوس – كما زعموا– الذين قاموا في القرن الخامس عشر الميلادي لإصلاح بعض العقائد والتقاليد الهندوسية القديمة مثل عبادة الأوثان وتقديم القرابين للآلهة ونظام الطبقات الجائر؛ وكان هؤلاء قد تأثروا في ذلك بمباديء الإسلام القائمة على التوحيد والعدل والمحبة والتسامح.

ولقيت دعوة جرو ناناك نجاحا في بلاد البنجاب والتف حوله أتباع كثيرون حتى نشأ من دعوته الإصلاحية مذهب مستقل جديد في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، سمى بالمذهب السيخي.

ويشكل السيخ نسبة ١,٩٦٪ من سكان الهند، يتمركزون في مقاطعة بنجاب، شمالي الهند، واتخذوا مدينة (أَمْرِيتّسَار)(Amritsar) العاصمة الدينية لهم، ويبرز نفوذهم في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية في الهند.(٢)

---

(١) كلمة جرو تعني المعلم كما أن كلمة السيخ تعني التلميذ (معجم أمرا المليبارية ص ٣٦٨)

(٢) المصدر السابق ص٢٨٨–٢٩١

٤ - البوذيون والجينيون

ينسب المذهب الجيني إلى المفكر المشهور "مَهَاوِير" (Mahaveer) المولود سنة ٥٩٩ قبل الميلاد، مع أن هذا المذهب قد ظهر على لسان الحكيم "بَارَشُونَات" (Parashunath) في القرن التاسع قبل الميلاد، ولكن "مهاوير" لخص أصولها ورفع شأنها. وينسب المذهب البوذي إلى المفكر"جَوْتَمَا بُوذا "(Gouthama Budha) المولود سنة ٥٦٣ ق. م ، وتعد البوذية والجينية من الاتجاهات الفكرية من الديانة الويدية التي ثارت على البرهمية وعارضت بعض المعتقدات والعادات الفاسدة مثل نظام الطبقات وتقديم القرابين للآلهة وغيرها. ووجدتا في الهند أرضا خصبة حيث برزت البرهمية بكل مساوئها الاجتماعية وبلغ نظام الطبقات الجائر أوجه في ذلك الحين ؛ ولكن البرهمية استطاعت فيما بعد التغلب عليهما وإخمادهما في الهند.(١)

ولا يزال أتباع البوذية يشكلون نسبة ٠,٧١٪ وأتباع الجينية يشكلون ٠,٤٨ ٪ من سكان الهند.

٥ - الهندوس

هم – كما سبق – أتباع الديانة البرهمية المعروفة الآن بالهندوسية؛ ويتمسكون بالمعتقدات والتقاليد الموروثة منذ آلاف السنين عن طريق الحكماء والنساك ورجال الدين. والهندوس في الهند الحديثة موزعون في فرق وطوائف وطبقات تتفاوت مكانتها الاجتماعية وقيمتها الإنسانية – كما سنبينه فيما بعد – بلغت أكثر من أربعة آلاف طبقة ويشكلون نسبة ٨٢,٦٤٪ من جميع السكان .

وأما بقية السكان الذين يشكلون نسبة ٠,٤٣٪ فهم من الطوائف الأخرى مثل الفارسيين وغيرهم وممن لم يعرف دينهم . (٢)

تلك هي أهم الطوائف الدينية في سكان الهند الحاليين تجمعها الحدود الجغرافية والسياسية في شعب واحد، وتمتاز مع ذلك كل منها عن الأخرى بخصائصها ومعتقداتها وعاداتها وآدابها وفنونها، ويسعى كل منها لانتشار أصوله ومبادئه في أرض الهند.

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام في الهند لعبد المنعم النمر ص٤٨-٥٦

(٢) نسبة السكان والطوائف الدينية حسب التعداد الذي جرى سنة ١٩٨١م(سنوية مانورما ١٩٩٣م ص٣٨١)

المبحث الاول

نشأة الديانة البرهمية

البرهمية هي الديانة التي اعتقدها والتزم بها الآريون الذين وفدوا إلى الهند قبل ميلاد المسيح بألفي سنة تقريبا، وتعد الويدات من أهم كتبها وسميت كذلك لأن قيادتها وحقوق تشريعها في يد طبقة البراهمة الذين كان يعتقد أنهم الآلهة في الأرض يتصلون بالعنصر الإلهي برهما. وتسمى بأسماء أخرى هي:

١- "آرْيَا دَهرْمَا" (Arya Dharma) أي الديانة الآرية لكونها ديانة الآريين حين وفودهم إلى الهند.

٢- "الوَيدِية" (Vedic Religion) لكونها ديانة أسفار الويدات التي هي الكتب المقدسة لها

٣ - "وَرْنَاشْرَمَا دَهرْما"(Varnashrama Dharma) أي ديانة الورنات والآشرمات،(١) لكونها تقسم المجتمع إلى طبقات والحياة الإنسانية إلى مراحل.

٤ - "الويدَانتِية" لكون الويدانتات – وهي الأبنشادات – من كتبها المقدسة.

٥ - "الإرْشِية" لكونها ديانة الارشين – وهم الحكماء الملهمين والمعلمين البرهميين.

٦ - وأطلق عليها أخيرا "الهِنْدُوسِية" (Hinduism) لكونها نشأت في أرض الهند ولشمولها جميع الحضارات والعقائد والعادات والتقاليد التي نشأت فيها.(٢)

ويطلق عليها بعض الكتاب العرب لفظ " الهندوكية " أيضا ، وهما مشتقان من كلمة "الهند " التي أطلقت على نهر السند الواقع في شمال البلاد.

---

(١) سيأتي تفصيل للأشرمات في ص٧٣ وما بعدها وللورنات في ص ٧٩ وبعدها.

(٢) انظر: Hinduism _ Religion And Way of Life, By Satya vratha Patel (الهندوسية – ديانة وطريقة حياة لمؤلفه ستياوردا باتيل) ص١-٣، والدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص٢٣٧

أول ما ظهرت كلمة الهند في الكتب الهندية في القرن الثامن بعد الميلاد ، ولكنها وجدت قبل ذلك في أسفار الأبستاق(١) وغيرها في اللغة الفارسية ، وأطلقت كلمة الهند(٢) ليقصد بها نهر السند (Sindhu) الذي يسمى بالانجليزية Indus وستعملها أهل آسيا الوسطى وآسيا الغربية ليعنوا بها الأقوام الذين يعيشون في نهر السند.(٣)

نشأت عقائد الهندوسية وعاداتها وتقاليدها من تنظيم الآريين لحياتهم منذ قدومهم إلى الهند، ومن احتكاكهم واختلاطهم وتأثرهم بالسكان الأصليين على مر التاريخ، ثم تطورت عن طريق حكمائها القدماء الملهمين المعروفين ب"الارْشِيين" (Rishi) أو "المُونِيين" (Muni) (٤)- كما زعموا - مثل مَنُو(Manu) وبرِيجُو (Brigu)وَسِسْتَهَا (Vasistha) ووِيَاسَا(Vyasa) ووَالْمِيكِي (Valmeeky) ووِشْوَامِتْرَا(Viswamitra) وبَرَاشَرَا(Parashara) ونَارَدَا(Narada) وبَتَنْجَلِ (Patanjali) وجَوْتَمَا(Goutama) وشَنْكَرَا (Shankara) وغيرهم(٥)، حصيلة لجهودهم الفكرية واستلهاماتهم وتأملاتهم العميقة المصحوبة بالتفاني ونفي الذات في سبيل معرفة الحق.(٦)

---

(١) الأبستاق هي الكتب المقدسة للديانة الزرادشتية التي نشأت في بلاد فارس (إيران) على يد زرادشت في منتصف القرن السابع قبل الميلاد . واسم الأبستاق تعريب لكلمة الأفستا(Avesta) ويشتمل على واحد وعشرين سفرا ويحوي تفصيلا لعقائد الديانة الزرادشتية وعباداتها وشرائعها وتاريخها وما اجتازته من مراحل وتاريخ مؤسسها زرادشت من قبل رسالته ومن بعدها . (انظر :الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ، للدكتور علي عبدالواحد وافي ، ص ١٥٠ـ ١٥٦)

(٢) يلاحظ أن الفارسيين القدماء استخدموا حرف الهاء بدلا من السين في الألفاظ السنسكريتية فقالوا الهند بدلا من السند كما قالوا "هوما" بدلا من سوما (وهو شراب مسكر) وهينا بدلا من سينا (وهوالجيش) وغير ذلك (انظر:التيارات الخفية للحضارةالهندية ٩٦/١)

(٣) انظر : Discovery of India (العثور على الهند، جواهر لال نهرو، ترجمة اللغة المليبارية)ص٩٥

(٤) الارشي أو الموني في الاصطلاح البرهمي يعني رجل الدين الذي التزم النسك والزهد وقاك بحفظ الدين وتعليمه وتمكن في نفوس أتباعه بالعلم والفكر والحكمة والقوة الروحيةمن قديم الزمان (انظر :معجم أمرا في اللغة المليبارية ص٢٢٣،٧٢٨)

(٥) يعد هؤلاء من حكماء الهندوسية ومؤلفي الكتب الدينية؛ عاشوا في عصور متباعدة لم يستطع التاريخ تحديد أزمانهم، وبعضهم شخصيات أسطورية نسجت حولهم أساطير وأقاصيص خرافية، منو صاحب سمرتي المشهور وبريجو تلميذه ، ويقال ان وياسا عاش مابين ٤٠٠ قبل الميلاد و٢٠٠ بعد الميلاد، وجوتما عاش مابين ٦٠٠ و٤٠٠ قبل الميلاد، ووالميكي في القرن الرابع قبل الميلاد، وبتنجل عاش في القرن الثاني قبل الميلاد، وشنكرا عاش في القرن الثامن بعد الميلاد.(انظر: الهندوسية ديانة وفلسفة(في اللغة المليبارية) ص ٣٤-٤٢ و A Classical Dictionary of Hindu Mithology and religion (معجم ألفاظ الديانة والأساطير الهندوسية لجون دوسون) الكلمات المذكورة.

(٦) انظر: التعريف بالديانة الهندوسية (في اللغة المليبارية) لمؤلفه ك. برميشوران بلاي (K.Parameswaran Pillai) ص٢٢

وهؤلاء الحكماء هم الذين وضعوا مبادئ البرهمية وبنوا على أساسها أنظمة الحياة وأحكامها، فلا ترجع إذا كالديانات الأخرى إلى نبي مرسل ولا إلى كتاب منزل ولا إلى مصدر واحد يمكن الرجوع اليه كمرجع أساسي لتعاليمها وأحكامها؛ إلا أن الهندوس يدعون أن حكماءها شخصيات إلهية اتصلوا بالإله الأزلى وتلقوا منه مبادئ وأحكام دينهم. (١)

والكتب التي تجمع مباديء البرهمية وعقائدها هي الويدات وما يتبعها من أبنشادات وبراهمنات وآرنيكات؛(٢) والويدات هي أقدم الكتب البرهمية كتبت في اللغة السنسكريتية القديمة يقدر تاريخها ما بين سنة ٢٥٠٠ و١٢٠٠ قبل الميلاد، ويعرف بالعصر الويدي(٣) وبعد مرحلة العصر الويدي بدأ حكماء البرهمية يؤولون نصوص الويدات ويكتبون لها الشروح والتفاصيل، وألحقوها بأسفار الويدات ، وتسمى هذه الشروح بالبرَاهْمَنَات وظهرت حوالي القرن الثامن قبل الميلاد. وفي القرن السادس قبل الميلاد ظهرت الأَبْنَيْشَادَات ، وهي تلخيص للكتب الويدية المفصلة مع ترتيبها حسب الموضوعات الواردة فيها.

وظهرت الجينية والبوذية في القرن السادس قبل الميلاد وانتشر نفوذهما بين أهل الهند، فاعترى الضعف والاضمحلال الديانة الويدية فترة أطلق عليها عصر الإلحاد، حيث اعتبرت هاتان الديانتان ديانتي الإلحاد والثورة على التعاليم البرهمية التقليدية القديمة. ثم عاد نفوذ البرهمية بعد أن ضعفت شوكة البوذية والجينية فتوسع علماؤها في شرح كتب الويدات وبيان أحكامها وخصائصها الدينية والاجتماعية ووضعوا كتب الشرائع والأحكام الدينية، التي تسمى سمِرتي (Smriti) ويبدأ عصرها من حوالي القرن الثالث قبل الميلاد.(٤)

---

(١) إذا تبين أن البرهمية في شكلها الأصلي دين سماوي حيث نجد فيها آثارا كثيرة واشارات واضحة لمبادئ العقيدة الصحيحة من التوحيد والجنة والنار وما إلى ذلك ،يمكن أن يكون بعض حكمائها أنبياء أوحي الله اليهم وبعثهم إلى الأمم الهندية في عصورمختلفة لقول الله تعالى : ﴿**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**﴾ (سورة فاطر، أية رقم ٢٤) ، والهند أمة من الأمم. أما في صورتها الحالية ؛ حيث تتضارب كتبها وتتعارض أقوال حكمائها ويذهب كل منهم بما يظهر له ؛ فلا نستطيع أن نسلم لهم ادعاءهم أن هؤلاء ملهمون اتصلوا بالاله الأزلي وتلقوا منه مبادئ دينهم ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**﴾ (سورة النساء ، آية رقم ٨٢)

(٢) سيأتي تفصيل للكتب البرهمية. راجع ص ٢٧ وما بعدها .

(٣) انظر: Life and Culture in Ancient India (الحياة والثقافة في الهند القديمة) ص٨١

(٤) انظر: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص ٢٤٠-٢٤١

واحتضنت الهندوسية كل اتجاهات ظهرت بعد ذلك هادفة لإصلاح في معتقداتها وتقاليدها الاجتماعية كاتجاهات رامانجا وكبيرداس وشنكرا وجورو ناناك وغيرهم(١)؛ حتى أصبحت الهندوسية الآن تحوي كل المباديء والمعتقدات والاتجاهات والتقاليد التي نشأت في أرض الهند على مر العصور الطويلة.

ويصف الزعيم الهندي الراحل جواهرلال نهرو الهندوسية بقوله:
"إن الهندوسية كعقيدة ديانة مبهمة وذات صورة خفية واتجاهات متعددة لا يستطيع أحد تعريفها ولا القطع بها أنها ديانة أم لا على معنى الديانة المعروف، وقد حوت قديما وحديثا عادات واعتقادات عديدة متفاوتة المستوى من أعلى إلى أدنى، متناقضة في معظم الأحيان".(٢)

وخلاصة القول أن الديانة الهندوسية نشأت في الهند قبل آلاف السنين ثم مرت بمراحل عديدة تعرضت خلالها للاضمحلال والازدهار حينا بعد حين وتطورت على أيدي علمائها وحكمائها وحوت كل الاتجاهات والمعتقدات التي نشأت في الهند على مر التاريخ حتى أصبحت على صورتها الحالية .

---

(١) مصلحون هندوسيون، تأثروا بدين الإسلام ودعوا إلى الاصلاح في الهندوسية، رامانجا (Ramanuja) هو مؤسس حركة بهاكتي (Bhakti) أي الحب والخشوع، عاش في جنوب الهند وتوفي سنة ١١٣٨م، وتلميذه كبيرداس (Kabeer Das) ولد في بنارس عام ١٤٤٠م وشنكرا (Shankara) هو مؤسس حركة "أدويتا" أي وحدة الوجود، عاش في القرن الثامن للميلاد في جنوب الهند وجورو ناناك مؤسس السيخية ولد سنة ١٤٦٩م في بنجاب، شمال الهند ومات سنة ١٥٣٨م (انظر: الهندوسية ديانة وفلسفة (في المليبارية) ص٤٢و٥٠، والدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية ص٢٨٨، و٣٠٨-٣٠٩) وراجع الفصل الرابع – تأثير العقيدة الإسلامية في الفكرة الهندية •

(٢) Discovery of India (العثور على الهند، جواهر لال نهرو، ترجمة اللغة المليبارية) ص٧٨

المبحث الثاني

كتب الديانة البرهمية

تزخر بلاد الهند بالكتب الدينية الكثيرة منذ القدم، وربما لا توجد أرض غيرها تحوي كتبا دينية بهذه الكثرة، ويقدر قدم بعضها إلى أربعين أو خمسين قرنا.ومن خلال هذه الكتب يستطيع الباحث دراسة الهند القديمة وأهلها وخصائصها الدينية والاجتماعية والحضارية وغيرها. ومعظم الكتب الدينية لا يعرف واضعها مع أن الهندوسيين يقدسونها ويعتقدون أنها وحي من الإله.(١)

والنصوص الدينية البرهمية تقع على قسمين :

١- شرُوتِي (Shruti) (٢) وهي التي انتقلت من جيل إلى جيل عن طريق السماع والحفظ، ويطلق على المجموعة الويدية التي تضم السمهتات والبراهمنات والآرنيكات والأبنشادات.

٢- سمرِتِي (Smriti) (٣) وهي التي احتفظ بها عن طريق التذكر والتقليد، وتشمل الدهرما شاسترات التي تشرح الأمور العملية من الشرائع والعادات والتقاليد وغيرها، كما يشمل مجموعة أخرى من الكتب التي تعرف بإتهاسات وبرانات وويدانجات ودرشنات.(٤)

وهذه الكتب كلها كتبت في اللغة السنسكريتية.(٥) وفيما يلي تعريف موجز لكل من ذلك.

---

(١) انظر: التيارات الخفية للحضارة الهندية لمؤلفه تي محمد (في اللغة المليبارية) ١٠٥/١

(٢) كلمة شروتي معناها : السماع او السمع (معجم أمرا ، مادة شروتي ص ٩٠٣)

(٣) كلمة سمرتي معناها التذكر او الذكرى ٠ (المرجع السابق ص ٩٦٣)

(٤) انظر: Life and Culture in Ancient India ص٧٩

(٥) هي إحدى اللغات الآرية ولغة الهنود القديمة ، ومعناها اللغة المهذبة، تكلم بها الآريون وكتبت فيها أسفارهم ، وتكتب بحروف تدعى ديوا ناجري (Devanagari) نشأت بعد الميلاد على الرأي الراجح . (انظر: كتاب دائرة المعارف للمعلم البستاني ١٢١/١٠)

القسم الأول

مجموعة شروتي أو المجموعة الويدية

هي المجموعة الأولى من كتب الهندوسية، سميت بذلك لاعتقادهم أن العرفاء المنجمين رجال الدين سمعوها من البراهما مباشرة، ويعني أيضا أن هذه النصوص انتقلت من جيل إلى جيل عن طريق السماع والحفظ.

ويطلق اسم شروتي على المجموعة التي تتألف من الويدات والآرنيكات والأبنشادات؛ وهي المجموعة التي تعرف عند الهنادكة بالأدب الويدي؛ وهي مجموعة تأليفات ظهرت متفرقة طوال نحو ألفي عام .(١)

الويدات (Vedas)

الويدا يعني معنى العلم والمعرفة، ويقصد بالعلم والمعرفة تلك التي تأتي بوساطة الوحي أو الإلهام أو المعرفة المقدسة التي تتأتى من قيام حالة خاصة في الوعي.(٢)

ويعتقد الهندوس أن الويدات موحى بها(٣) من الإله برهما حيث تذكر الويدات أنها وجدت من الأصل الإلهي الذي وجد منه الكون والبشر بالطبقات الأربع(٤) ولهذا يقدسونها قداسة عظيمة ويحرصون على صيانتها. والحقيقة أن الويدات عبارة عن فقرات ألفها عدد من العرفاء المنجمين المعروفين بالارشيين في مختلف العصور والتي تناولتها قبائل كل منهم على حدة للترتيل والترنيم على توالى الأزمنة حتى جمعت بعد ذلك بعدة قرون في أقسامها الأربعة. ويعتقد أن بَادَرَايَنَاكرِشْنَا المشهور فيما بعد بـ"وِيدَاوِيَاسَا"(Veda Vyasa) هو الذي جمع الويدات على هذاالشكل؛ والأظهر أنه عاش في القرن الثالث أو الرابع الميلادي.(٥)

---

(١) انظر: التيارات الخفية للحضارة الهندية لمؤلفه تي محمد (في اللغة المليبارية) ١١٦/١-١١٧

(٢) المرجع السابق ١٠٦/١

(٣) راجع هامش ١ ص ٢٥

(٤) انظر: رج ويدا ٩٠/١٠، وأتروا ويدا ١١/٦/١٩

(٥) انظر: التيارات الخفية للحضارة الهندية ١٨٦/٢

ألفت الويدات في اللغة السنسكريتية القديمة، وهي أقرب إلى الفارسية القديمة التي ألفت فيها أسفار الأبستاق. (١)

يقول العالم الهندي كرشنا جيتتيا:

"فإن هذه اللغة أقرب إلى الأفستية التي هي لغة الإيرانيين القدماء؛ فإنها بمجرد تعديل بعض الأصوات أو استعمال قوانين صرف الألفاظ يمكن نقل أشعار الأبستاق كلها إلى لغة الويدات كلمة كلمة دون أن يفقده الجمال الشعري ".(٢)

والويدات أقدم الكتب الهندوسية وأهمها، وقد وصفها الكاتب الهندي الأستاذ محمد عبد السلام بقوله:

"للويدا قيمة تاريخية كبرى إذ تنعكس في هذا الأدب الديني حياة الآريين في الهند في عهدهم القديم و مقرهم الجديد، ففيه أخبار حلهم وترحالهم، دينهم وسياستهم، حضارتهم وثقافتهم، ومعيشتهم ومعاشرتهم، مساكنهم وملابسهم، مطاعمهم ومشاربهم، مهنهم وحرفهم، وترى فيه مدارج الارتقاء للحياة العقلية من سذاجة البدو إلى شعور الفلسفي، فتوجد فيه أدعية ابتدائية تنتهي بالارتياب، وألوهية تترقى إلى وحدة الوجود"٠(٣)

وهي أربع مجموعات من الأسفار قسمها العلماء باعتبارات شتى إلى عدة تقسيمات، أهمها تقسيم الويدا إلى سَمّهِتَا(٤) (Samhita) وبرَاهْمَنَا(Brahmana). (٥)

---

(١) انظر: هامش رقم ١ ص ٢٤

(٢) نقلا عن: التيارات الخفية للحضارة الهندية ١٨/٢

(٣) نقلا عن أديان الهند الكبرى ص٤١

(٤) هذا هو الأقرب إلى نطقه في اللغة الأصلية ، ويكتب أيضا "سمهيتا" أو"سامهيتا" أو نحوهما.

(٥) انظر: التيارات الخفية للحضارة الهندية ١٠٧/١

١-سَمْهِتَا:

وهي مجموعة المنظومات (١) التي تطلق عليها المنـترات ـ يعنـي الأذكـار التـي ترتل وترنم ـ ، وهي:

ا – رج ويدا. ب – يجورويدا ج – سام ويدا د – أترواويدا.

هذا، وإن كـانت أربـع مجموعـات، انتقلت من الأولى إلى الأخـرى كثـير مـن المَنْتَرَات(٢) وتكررت فيها.

ا – رِجّ وِيدَا (Rig veda)

وسميت هذه المجموعة برج ويدا (٣) لأنها تحتوى على مدائح وصلوات منظومة تحمد بها الآلهة. وهي إضافة إلى ذلك سجل لأحوال الأسرة الآريـة التـي استوطنت الهند حينذاك.

رج ويـدا أقدم الويـدات جميعـا وأهمهـا وأشـهرها، ويرجـع تـاريخ تأليفها فـي نظـر بعض الباحثين إلى ستين قرنا قبل الميلاد. ولكـن الأغلـب يـرون أنهـا ألفـت مـا بيـن القـرن الخامس عشر والقرن العاشر قبل الميلاد.(٤) والأظهر أنها ألفت بعد القـرن الرابـع عشـر قبل الميلاد لكونها تصف عصر قدوم الآريين الذين جاؤوا إلى الهند في هذا الزمن .(٥)

وتشتمل على عشرة آلاف وأربعمائة واثنتين وسـبعين (١٠٤٧٢) تحميـدة منظومـة جعلت في ألف وسبع عشرة (١٠١٧) أنشودة مقسمة إلى عشرة كتب، يتغنـى بهـا أتباعهـا عن الآلهة التي يبلغ عددها إلى ثمانين إلها، ويتضرعون بها أمامهم. ويظن أنهـا ألفـت مـن قبـل ثلاثمائـة عـالم (ارشـي Irshi) ولهـا ملحقـات مـن البراهمنـات والآرنيكـات: أَيْتَرِيَـا (Itareya)وشَاكهَايَنَا (Shakhayana) وكَوْشِيتَكِي (Koushitaki) .(٦)

---

(١) كلمة سمهتا معناها المجموعة (معجم أمرا ص٩٢٦)

(٢) المنترا بمعنى النصح أو الوعظ، ويقصد بـه الأذكـار التـي ترتـل وترنـم ،ويـراد بـه هنـا جملـة مـن جمل الأنشودة الويدية

(٣) تعني كلمة رج معنى الحمد (معجم أمرا ص ٢٢٠)

(٤) انظر: Ancient History of India, L.P. Sharma (تاريخ الهند القديم) ص٣٦

(٥) انظر: التيارت الخفية للحضارة الهندية ٢/١٩٠

(٦) انظـر: التعريـف بالديانـة الهندوسية (في اللغـة المليباريـة) ص ١٧٩-١٨٠، والمعرفـة الارشـية لمؤلفـه نالابات، (في اللغة المليبارية) مقدمة، ص٩٠ . وقـد ترجمت رج ويـدا إلـى اللغـة العربيـة، طبعـت فـي بيروت نشرها المجلس الهندي للعلاقات الثقافية بنيو دلهي ، ويأتي تفصيل عن البراهمنات والارنيكات.

ب – يَجُور ويدا (Yajur Veda)

تسمت هذه المجموعة بهذا الاسم (١) لأنها تهتم أكثر بالقرابين والأضاحي التي يقدمها الهنادكة لآلهتهم، ويشتمل أيضا على كيفياتها والعبارات النثرية التي يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين (الياجاYaga)(٢) للآلهة.

تشتمل على ألف وثمانمائة وستة وثمانين (١٨٨٦) منترا مقسمة إلى أربعين كتابا، نصفها متكرر لما هو في رج ويدا، وتحتوي على الأحكام والتحميدات التي تتعلق بالياجات حينما تقدم القرابين للآلهة ، كما تحتوي على بعض الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها . وهذا الويدا على جزأين :

١ – شُوكْلَا يَجَوَرْ ويدا أي يجور ويدا البيضاء .

٢ – كرِشّنَا يَجَوَر ويدا أي يجور ويدا السوداء.

ويظن أن عدد واضعي هذا الويدا يبلغ ثلاثمائة (٣٠٠) عالم تقريبا.(٣)

---

(١) كلمة يج تعني التضحية والقربان (معجم أمرا ص ٧٤٤)

(٢) شعيرة دينية تقام بمناسبات معينة تضحى فيها البهائم وتؤجج النيران لتطرح فيها القرابين (راجع ص ٦٤-٦٥)

(٣) انظر: التعريف بالديانة الهندوسية ص ١٨١-١٨٢، والمعرفة الارشية، مقدمة ص٩.

ج – سَامَ ويدا (Sama Veda)

هذا الكتاب تصوير للمنترات التي ذكرت في الكتابين رج ويجور على شكل غنائي ينشدها المنشدون أثناء إقامة الشعائر التعبدية وتلاوة الأدعية وفي مناسبات تقديم الياجات والقرابين.

وتشمل على ألف وثمانمائة وخمس وسبعين (١٨٧٥) أنشودة (منترا) كلها مأخوذة من رج ويدا ما عدا خمسة وسبعين (٧٥) منترا، وقسمت إلى جزأين يسمى الأول منهما "بُوَرْوَا آرْجِكا"،، (Poorwa Archika) والثاني "أُتْرًّا آرْجِكَا" (Uttara Archika) وهو متأخر عن الأول ظهورا ووصفا، وكثير من منتراته تكرار لما في الأول.(١)

د – أَتَرْوَا ويدا (Atharva Veda)

هو أحدث الويدات جميعا ولم يذكر في المجموعة الويدية حتى عهد بوذا، وهو القرن الخامس قبل الميلاد، واعتبرت الويدات إلى ذلك ثلاثا، ولا يكاد رجال الدين القدماء والمشرعون الهنود يذكرون إلا الويدات الثلاث الأولى حينما يتكلمون عن المجموعة الويدية. وذلك يعني أن تأليف هذا الويدا حصل بعد في عصر متأخر. (٢)

ويذكر أن رجلا اسمه أتروا جمع المنترات والأناشيد التي تخص بعض الموضوعات من الويدات الثلاث وجعلها في كتاب مستقل ثم عرف باسمه، ويشتمل على مقالات في السحر والرقي والتوهمات الخرافية، والتعاويذ التي تعمل على تغيير المصائب وإرهاقات الغيلان والشياطين وطرق السلامة من السموم وظلم الأعداء؛ كما يشتمل على بعض الأمور الدينية والدنيوية. فيه سبعمائة وستون (٧٦٠) قطع أنشودية محتوية على ستة آلاف (٦٠٠٠) منترات. (٣)

---

(١) الهندوسية ديانة وفلسفة لمؤلفه م. م. أكبر،(في اللغة المليبارية) ص٧٦ و Life and culture in Ancient India ص٧٦

(٢) انظر: التيارات الخفية للحضارة الهندية ١/١١٠

(٣) انظر: الهندوسية ديانة وفلسفة ص ٩٣

أبا ويدات (Upavedas)

وقد تفرغ عن كل جزء من الويدات الأربع نوع من الكتب تبين علما من العلوم العملية يسمى أبا ويدا منها:

١ – آيوَرْ ويدا (Ayurveda)، ويتعلق بالأمور الطبية والأمراض وطريقة علاجها ، وهو فرع من رج ويدا.

٢ – دَهانُوَرْ وِيدا (Dhanurveda)، وهو ما يتعلق بالأمور السياسية والحربية وطرق استخدام آلات الحرب وغيرها، وهو متفرع عن يجور ويدا .

٣ – جَانْدْهَرْوَا ويدا (Gandharwaveda)، وهو ما يبين الأمور الموسيقية والغنائية والفنون الجميلة ، وهو تابع لسام ويدا .

٤ – شِلْبَا وِيدا (Shilpaveda)، وهو علم يبين بعض الأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها ، وهو تابع لأترَوا ويدا .(١)

---

(١) انظر: المعرفة الارشية ، مقدمة ص ١٤

٢ - براهمنات (Brahmanas)

ألحقت إلى السمهتات مجموعة أخرى من الكتب تقوم بتفسير المنترات المنظومة التي وردت في السمهتا؛ وبيان أنواع القرابين وأحكامها ومكان المنترات فيها، تعرف بالبراهمنات . وهي منثورة، ظهرت بعد السمهتات بكثير، ويقيد فارق زمن ظهورها بمائتين إلى ستمائة سنة في نظر بعض الباحثين .(١)

يوجد لكل سمهتا براهمنا أو أكثر، ضاع منها كثير ، والبراهمنات التي تعرف اليوم هي كما يلي:

لرج ويدا اثنان:-

(١) أَيْتَرِيَا(Itareya) (٢) كَوْشِيتَكِي (Koushitaki)

ولسام ويدا ثلاثة: -

(١) تَانْدِيَا مَهَا (Tandya Maha) أو بَنْجَا وِمْشَا(Panjavimsha)

(٢) شَدْوِمْشَا (Shadvimsha)

(٣) جَيْمِنِيَا (Jimineeya)

ولشوكلا ياجورويداواحد : -

وهو شَتَبَتَا (Shatapata)

ولكرشنا ياجورويدا واحد : -

وهو تَيْتَرِيَا (Tytireya)

ولأترواويدا واحد : -

وهو جُوبَتَهَا (Gopatha)

وبهذه المجموعتين السمهتا والبراهمنا يتألف الويدا ؛ بمعنى أن الذي يطلق عليه اسم الويدا هو الذي يتألف من السمهتا والبراهمنا على الرأي المعتمد بين الهندوس حيث يوجد بين المتأخرين منهم من يرى أن الويدا هو السمهتا فقط.(٢)

---

(١) انظر: التيارات الخفية ١/١١١-١١٢، والهندوسية ديانة وفلسفة ص٩٦-٩٧،و Life and culture in Ancient Indiaص٧٥

(٢) التيارات الخفية ١/١١٣

آرنيكات (Aranyakas)

هذه المجموعة من الكتب ملحقة بالبراهمنات فيما بعد، وهي من سلسلة الكتب التي يعتقد أن النساك والشيوخ الهنادكة ألقوها على تلاميذهم في الغابات، ولهذا سميت بآرنيكا(١). وتحتوي على العلوم التي تناولوها في الغابات والمنترات التي استخدموها هناك وتفسيراتها وبيان أهمية الشعائر والياجات وغيرها.

ويقال إنه كان لكل مجموعة من الويدات آرنيكات متعلقة بها، ولكن ضاع كثير منها ، وأهم الكتب الموجودة منها الآن أربعة، اثنان لرج ويدا وواحد لكل من يجورويدا البيضاء ويجورويدا السوداء وهي :-

١ – أَيتَرِيبا، ألحق ببراهمنا أيتريبا لرج ويدا ويحتوي خمسة عشر (١٥) فصلا في خمسة أجزاء.

٢ – كَوَشِيتَكي ، وهو جزء من براهمنا كوشيتكي لرج ويدا نفسه .

٣ – تَيْتِرِيبا ، وهو متعلق ببراهمنا تيتريبا ليجور ويدا السوداء ويشتمل على عشرة فصول.

٤ – بِرِهَدَارَنْيَكَا (Brihadaranyaka) وهو الجزء الأخير لبراهمنا شتبتا المتعلق ليجور ويدا البيضاء.(٢)

---

(١) تعني كلمة أرنيا السنسكريتية معنى الغابة، وآرنيكا نسبة اليها وتعني الغابية (معجم أمرا، مادة أرنيا ص ١٠٣ ، ١٥٨)

(٢) انظر: الهندوسية ديانة وفلسفة ص٩٩-١٠٠، والتيارات الخفية ١/١١٤

وقد ذكر الدكتور رؤوف شلبي أهمية كتاب نيباندها - وهو أحد كتب التفسير للويدات البالغ عددها ١٩٢ كتابا والتي يطلق عليها اسم تنترا - (انظر: المعرفة الارشية مقدمة ص٢١) بين الهندوس الاندونيسيين (انظر: كتابه آلهة في الأسواق ص ٩٦-٩٧) ولا يعد كتابا مهما بين البراهمة الهنود حيث لا يعد بين الكتب الرئيسة للبرهمية.

أُبَنِشَادَات (Upanishads)

وهذه مجموعة كتب تأتي بعد الآرنيكات في نهاية كل مجموعة ويدية ، وتحتوي على الحكم والمعارف الدقيقة التي تتعلق بالكون والإنسان، وبأمور الدين العقدية والعملية.
وسمي بهذا الاسم(١) لتضمنه الحكم الباطنية التي نصح بها شيوخ الدين تلاميذهم الذين أصغوا إليهم بالسكينة والهدوء.

ويسمى أيضا "وِيدَانْتَا" (Vedanta) بمعنى منتهى الويدا؛ وذلك لكونه آتيا في نهاية الويدا ولكونه هو الفائدة المنتقاة منه وهي معرفة الإله .

ألفت الأبنشادات كلها فيما بين القرنين العاشر والخامس قبل الميلاد، وتنوقلت على ألسن الناس إلى أن دونت في زمن متأخر، ويظن أن تدوينها في القرن الثالث عشر بعد الميلاد، تعرف الآن منها مائة وثمانية كتب أكثرها أهمية ثلاثة عشر؛ وهي :

١- أَيْتَرِيَا (Aitareya) ٢ - كَوْشِيتَكِي (Koushitaky) ، وهما تابعان لرج ويدا

٣- تشَانْدُوكِيَا (Chandoghya) ٤- كِينَا (Kena) ، وهما تابعان لسام ويدا

٥- بِرِهَدَارَنْيَكَا (Brihadaranyaka) ٦ - إِيشَا (Isha) ، وهما تابعان ليجور ويدا البيضاء.

٧- تَيْتَرِيَا (Tytireya) ٨- كَتهَا (Katha)

٩- مَيْتَرِي (Mytri) ١٠- شْوِيتَاشْوَاتَرَا (Swetashwatara) ، وهذه الأربعة تابعة ليجور ويدا السوداء

١١- بْرَشْنَا (Prashna) ١٢- مَنْدَهَكَا (Mundhaka)

١٣- مَانْدُوكِيَا (Mandookya) ، وهذه الثلاثة تابعة لأترو ويدا . (٢)

---

(١) كلمة أبنيشاد تعني القعود عند آخر ويقصد بها قعود التلميذ أمام المعلم لتلقي المعرفة منه شفاهة. (Life and culture in Ancient India ص٧٧)

(٢) انظر: Life and Culture in Ancient India ص٧٧-٧٨، والتيارات الخفية ١/١١٨-١١٩، والتعريف بالديانة الهندوسية ص١٨٧-١٩٤.

القسم الثاني
مجموعة سمرتي

يطلق اسم "سمْرِتِي" على كل ما عدا المجموعة الويدية ، فيشمل الدَهَرْمَاشَاسْتَرَات والاِتِهَاسَات والبْرَانَات والوِيْدانجْات والدَرْشَنَات وغيرها ، ويقصد به أيضا الدَهَرْمَاشَاسْتَرَات (Dharmashastras)أو السُوتْرَات (Sutras)التي تشرح الأمور الشرعية بوجه خاص•ودونت على أساس تعاليم مجموعة شروتي التي احتفظت عن طريق السماع والحفظ .(١)

وهذه المجموعة أيضا مقدسة في البرهمية مثل مجموعة شروتي حيث تتضح الديانة البرهمية بهاتين المجموعتين معا.(٢)

الدهرماشاسترات (Dharmashastras)

الدَهَرْمَاشَاسْتَرَات أو الدَهرْمَاسُوتْرَات هي كتب الأحكام التي دونت لبيان أحكام الطبقات الاجتماعية والمراحل الحياتية والأعمال اليومية والمعاملات والأخلاق وغيرها، وأعيد تدوينها فيما بعد في عصور مختلفة مرتبة لما ذكر في الكتب القديمة من هذه الأحكام على أبواب الموضوعات وفصولها ؛ وأدخلت فيها بعض العادات والتقاليد الموروثة التي لم تذكر في كتب الويدات تبعا للأحوال الاجتماعية المتغيرة على مر العصور .(٣)

يعرف الآن من هذا القسم عشرون كتابا يسمى كل منها باسم صاحبه ، وهي:

١- مَنُو (Manu)

٢- يَاجْنَاوَلْكِيَا (Yajnavalkya)

٣- شَنْكَهَا (Shankha)

٤- لِكِهتَا (Likhita)

٥- بَرَاشَرَا (Parashara)

٦- جَوْتَمَا (Goutama)

٧- آبَسْتَمْبَا (Apastamba)

---

(١) انظر: Life and culture in Ancient India ص٧٩، والتعريف بالديانة الهندوسية ص١٩٥

(٢) انظر: منو سمرتي ٢/١٠

(٣) انظر: مقدمة تلخيص منو سمرتي لصاحبه ن. جوبناتن ناير، (في اللغة المليبارية) ص٨

٨- وَسِشْتَهَا (Vasistha)

٩- كَاشِيَبَا (Kashyapa)

١٠- أَتْرِي (Atri)

١١- هَارِيتَكَا (Hareetaka)

١٢- أُشَنَاس (Ushanas)

١٣- أَنْكِرَس (Angiras)

١٤- يَمَا (Yama)

١٥- سَمْوَرْتَا (Samvarta)

١٦- كَاتيَايَنَا (Katyayana)

١٧- برِهَسْبَتِي (Brihaspati)

١٨- جَارْجيَا (Gargya)

١٩- دَكْشَا (Daksha)

٢٠- شَتَبَتَا (Shatapata)

أشهر هذه الكتب وأهمها منو سمرتي، ويليه في الأهمية ياجناولكيا، ويأتي بعدهما شنكها ولكهتا وبراشرا، وأقدمها جوتما وآبستمبا ووسستها؛ ألفت قبل القرن السادس قبل الميلاد.(١)

(١) انظر: التيارات الخفية ١/١٢٠-١٢١، والمعرفة الارشية ص٣٤، والتعريف بالديانة الهندوسية ص١٩٥

منو سمرتي

هذا الكتاب هو أهم كتب الشرائع البرهمية وأشهرها؛ والذي اعتمد عليه الحكام والقضاة في المحاكم ؛ والذي صار فيما بعد أقوى المراجع للأحكام البرهمية. ويعرف أيضا "بمَنُو شَاسْتَرَا" و "برِيجُو سَمْهِتَا" و "مَانَوَادْهَرْمَاشَاسْتَرَا". وهو كتاب مقدس في البرهمية حيث يعتقد أنه موحى به من الإله وأن صاحبه منو أحد الآلهة، تلقنه من الإله برهما مباشرة ولقنه لمن بعده ، ومنو نفسه يدعي أنه تلقاه من الإله فيقول في أول كتابه:

"هذا العلم علمني إياه البرهما الأزلي، ثم لقنته للارشيين (الشيوخ الحكماء) مثل مَرِيجِي(Mareeji) وغيره الذين خلقتهم ثم يبينه لكم بْرِيجُو(Brigu) الذي تعلمه مني، وبدأ بريجو بعده أن يلقنه".(١)

لكن الباحثين يرون أن منو صاحب هذا الكتاب يحتمل أن يكون حاكما أو قاضيا عاش في العصر الويدي؛ وأن بريجو أحد تلاميذه جمع تعاليمه وشرائعه في كتاب، وسماه منو سمرتي، ولهذا عرف ببريجو سمهتا أيضا.(٢)

ومن الباحثين من يرجع تاريخ تأليفه إلى ما قبل القرن الثالث قبل الميلاد،(٣)ومنهم من يرى أنه ما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثاني بعده،(٤) كما يرده بعضهم إلى ما بين القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد.(٥)

ألف هذا الكتاب على شكل نظم في ألفين وستمائة واثنتين وثمانين(٢٦٨٢) مادة مقسمة إلى اثني عشر كتابا، يفصل عقائد الديانة البرهمية وعباداتها ومعاملاتها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقضائية والمدنية وما إلى ذلك. وألفت له تفاسير عديدة من قبل علماء البرهمية الكبار.(٦)

---

(١) منو سمرتي ١/٥٨-٦٠

(٢) انظر :تلخيص منو، مقدمة ص٩

(٣) المرجع السابق ص٩

(٤) يقول كاتب هندي اسمه و. بنولي في كتابه الرسالة الارشية (المليبارية): "ان المؤرخين يرون تأليف هذا الكتاب في سنة ١٨٤ق.م. بأمر من الملك بشبامتراسنجا الذي تسلم السلطة من أسرة موريا بعد أشوكا الامبراطور المعروف. (انظر: ص١٣٦)

(٥) منهم المؤرخ الهندي اس.و. كدكار، يرى أن منو سمرتي ألف ما بين سنتي ٢٠٠و٣٢٠ بعد الميلاد، ألفه برهمي عاش في بلدة مَجَدَهَا (Magadha).
(انظر كتابه:History of Caste in India (تاريخ الطبقة في الهند)

(٦) قد فصل الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام عن محتويات منو سمرتي، راجع ص ١٨٠-١٨١ وقد ترجم الكتاب إلى اللغة العربية ترجمه احسان حقي.

إتِهَاسَات (Itihasas)(١)

يشمل قسم سمرتي - بمعناه العام - مع الدهرماشاسترات كتب الإتهاسات والبرانات والويدانجات والدرشنات وغيرها التي لا تدخل في قسم شروتي كما سبق .

والإتهاسات مجموعة من الكتب الدينية تقوم بشرح العقائد الويدية ومحافظتها ونشرها، وحظيت بالتقديس لدى الهنادكة، وهي تحتوي على الأقاصيص الحماسية والأخبار الحربية بالإضافة إلى الأساطير الخرافية والأحداث الوهمية، وتعطي صورة للحياة الهندية القديمة وعاداتها ومستواها الفكري والثقافي وغير ذلك وتعرف في هذا النوع ملحمتان :

الأولى: رَامَايَنَا (Ramayana)

هي الملحمة القديمة التي تصف قصة أسرة ملكية تمركزت في" أَيُودهِيَا" (Ayodhya)(٢) وحكمت الهند، قطبها "رَاما"(Rama) التشخص السابع للإله وشنو في الأرض وزوجته "سِيتا"(Seetha) –القدوة العليا للمرأة الهندية حسب اعتقادهم – وتذكر أخبار حياتهم ومملكتهم ووقائعهم الحربية مع أعدائهم الذين يعدون قوى الشر والضلال . ويضم أربعة وعشرين ألف "شلوكا"(وهو بيت رباعي السطر) مقسمة إلى٧ فصول.

ولا يعرف تاريخ تأليفه على وجه التحديد، بل يظن أنه تم تأليفه بعد القرن الرابع قبل الميلاد حيث يوجد فيه اشارات عن الديانة البوذية التي ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد.

وهناك عدة مؤلفات تعرف بهذا الاسم؛ ولكن الأشهر والأهم منها هو ما ألفه وَالْمِيكِي (Valmeeky) والذي يعرف بـ وَالْمِيكِي رَامَايَنَا.(٣)

---

(١) معنى كلمة اتهاسا القصة القديمة أو الخبر القديم (معجم أمرا ، مادة اتهاسا ص١٦٩)

(٢) هناك مكان بهذا الاسم في ولاية أتر برديش شمال شرقي الهند، يزعم المتطرفون أنه مولد الإله راما، وأن المسجد البابري الذي بناه الملك المغولي قبل خمسة قرون بناه على أنقاض الهيكل باسمه وأثاروا ضجة كبرى حول القضية؛ وقد تم هدم المسجد من قبل المتطرفين الهندوس اليوم السادس من ديسمبر عام ١٩٩٢م ويريدون بناء الهيكل الهندوسي مكانه باسم راما.

(٣) انظر: الهندوسية ديانة وفلسفة ص١٤٢-١٤٥، وانظر: Life and Culture in Ancient India ص١٢٥-١٢٦

الثانية: مَهَابهَارَتَا (Mahabharatha)

هي الملحمة الكبرى عند الهنود تحتوي على مائة وخمسة وعشرين ألـف(١٢٥٠٠٠) شلوكا في أكثر من مائة قصيدة مقسمة إلى ثمانية عشر(١٨) بابا، وهي مصنف واحد ألفه "ويدَا وِيَاسَا" على أغلب الظن ما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقـرن الثـاني بعـد الميـلاد.(١) يصـف قصـة أسرة ملكـت الهنـد متمركـزة فـي "هَسْـتِنَابُوَرَا"(Hastinapura) والحروب التي وقعت بين أمراء هذه الأسرة التي اشترك فيها جميع ملوك الهند ، بل الآلهة أيضا- مع أحد الجانبين ، وهما أولاد "بَانّدُو" (Pandu)الخمسة الممثلون قوى الحق والرشـاد، وأولاد أخيـه "دهرِتَارَاشْـتَرَا" (Dhritarashtra) المائـة المعروفـون بـ"كَـوْرَوَا" (Kouravas)الممثلون قوى الشر والفساد.

جيتا (Geeta)

هو جزء من مَهَا بهَارَتَا يحتوي على المواعظ والحكم التـي ألقاها كِرِشْنَا – أحد الأبطال المقدسين والشكل الثامن للاله وشنو والذي وقف بجانب أولاد باندو الخمسة بحكم أنه جانب الحق – أمـام أرجنا بطل هذا الجانب في ساحة القتال يحرضـه علـى القتال ويذكره واجب اقامة الحق وازالة الظلم والشر، ولهذا نال قداسة كبيرة في البرهمية.

ويحتوي الكتاب على جوانـب فلسفية، وحكم وتعاليم، ولهذا يعتبر مرجعا أساسيا للفلسفة الهندية القديمة.

يضم سبعمائة (٧٠٠) شلوكا في ثمانية عشر (١٨) فصـلا، وقد فسره كثير من كبار المفكرين الهنود كما ترجم إلى كثير من اللغات الهندية والعالمية.(٢)

---

(١) انظر: Life and Culture in Ancient India ١٢٥-١٢٦

(٢) المرجع السابق ص ١٢٧، والتعريف بالديانة الهندوسية ص ٢١٨، وأديان الهند الكبرى ص٨١-٨٩

برانات(Puranas)

البرانات مجموعة من الكتب التي تحتوي على أقاصيص وأساطير الهية وأخبار أشخاص وأقوام أسطورية قديمة، ويقال ان هذه الكتب تفاصيل للقصص التي وردت اشاراتها وأجزاؤها في أماكن متفرقة في كتب الويدات. ويقرؤون هذه الكتب في مناسبات خاصة من صيام وأعياد وغيرها.

ويعد من هذا النوع ثمانية عشر(١٨) كتابا هي:

١- بِرَهْمَا (Brahma)

٢- بَدْمَا (Padma)

٣- وِشْنُو (Vishnu)

٤- شِوَا (Siva)

٥- بهَاجَوَتَا (Bhagavata)

٦- نَارَدَا (Narada)

٧- مَارْكَنديِيَا (Markandeya)

٨- أَجْني (Agni)

٩ - بهَوِيشْيَا (Bhavashya)

١٠- برَهمَاويَوَرْتَها (Brahmavyvartha)

١١- لِنجا (Linga)

١٢- وَرَاها (Varaha)

١٣- سْكَنْدَا (Skanda)

١٤- وَامَنَا (Vamana)

١٥- كُورْمَا (Koorma)

١٦- مَلَسْيَا (Malsya)

١٧- جَرُودَا (Garuda)

١٨- برَهمَانْدَا (Brahmanda)(١)

---

(١) التعريف بالديانة الهندوسية ص٢٢٠- ٢٣٦، والتيارات الخفية للحضارة الهندية ١/١٢٢،١٢٣

ويدانجات (Vedangas)

هذه المجموعة من الكتب تتعلق بالويدات ، وهي ستة أنواع يتناول كل منها علما من العلوم التي تساعد على تعلم الويدات وفهمها والعمل بها، وهي :

١ – شِكْشَا(Shiksha) ويتناول فن تلفظ حروف الويدات وكلماتها وطرق أدائها.

٢ – ويَاكَرَنَا(Vyakarana) ويتناول علم اللغة والقواعد والأحكام لاستعمال ألفاظ الويدات وجملها، وهي ككتب النحو في اللغة العربية.

٣ – جنْدَس(Chandas) يتناول تفاعيل أناشيد الويدات وبحورها وما يتعلق بها كعلم العروض والقوافي في العربية.

٤ – نيرُوكْتَا (Nirukta) وهو المعجم الذي يشرح معاني كلمات الويدات كمعاجم المعاني والغريب في العربية.

٥ – كَلْبَا(Kalpa) يبين أحكام كيفيات أعمال الياجا وغيره من شعائر العبادات ككتب الفقه الإسلامي .

٦ – جيوْدِشَا(Jyotisha) وهو علم الفلك (Astronomy)يبين الأوقات والأزمنة الملائمة وغير الملائمة لأداء الشعائر التعبدية والقرابين وغيرها من الأمور الدينية.(١)

---

(١) انظر: Life and Culture in ancient India ص٧٩-٨٠

درشنات (Darshanas)(١)

الدَرْشَنَات هي الكتب التي تتعلق بأنواع من الفلسفة التي تشرح موضوعات في النفس والطبيعة والحياة والاله وغير ذلك.

وكتب الدرشنات كثيرة جدا، وأهم أنواعها ستة وهي:

١ - نِيَايَا (Nyaya) يتحدث عن الأدلة والحجج الموصلة إلى الحق وهو من وضع رجل اسمه جوتما (Goutama).

٢ - وَيْشِيشِكَا (Vysheshika) يتكلم عن العناصر الطبعية والصفات الإلهية وغيرها، وضعه كنادا (Kanada).

٣ - سَانْكِهيَا (Sankhya) وضعه كَبِلا (Kapila) ومضمونه الرجل والطبيعة.

٤ - يُوجَا (Yoga) وضعه بَاتَنْجَلي (Patanjali) وموضوعه حواس الإنسان وجوارحه.(٢)

٥ - مِيمَامْسَا (Meemamsa) وهو على قسمين ؛ القسم الأول وضعه جَيْمِنِي(Jymini) ويتكلم عن طرق المعرفة لمعاني منترات العبادات والقرابين في الويدات .

٦- وِيدَانْتَا (Vedanta) وهو القسم الثاني لميمامسا وضعه بَادَرَاينا المعروف بويدا وياسا ويتعلق بموضوعات الأبنشادات .(٣)

---

(١) كلمة درشنا تعني الرؤية أو الفكرة، ويراد بها الفلسفة أيضا (معجم أمرا - ص ٤٦٩)

(٢) راجع ص ٧٦-٧٧

(٣) انظر: التعريف بالديانة الهندية ص١٢٨-١٣٥، والتيارات الخفية للحضارة الهندية ١/١٢٤، والهندوسية ديانة وفلسفة ص٣١-٤١.

المبحث الثالث

عقائد الديانة البرهمية

يصعب على الباحث الوصول إلى العقيدة الأصلية للبرهمية من كتبها الموجودة حاليا لتضاربها واختلاف بعضها عن بعض في بيان الأمور الاعتقادية نتيجة لاختلاف أهواء البشر مع تقادم العصور، ولسيادة الأساطير والخرافات الباطلة عليها؛ وبصفتها ديانة مبهمة ذات صورة خفية واتجاهات متعددة ؛ تحتوي على عادات واعتقادات عديدة متناقضة ومتفاوتة المستوى.(١)

وسأحاول عرض أهم عقائدهم فيما يتعلق بالأمور الإلهية وعمل الإنسان وجزائه من خلال كتبها فيما يلي:

أولا : العقيدة الالهية

١ - تعدد الآلهة :

إن الديانة البرهمية في صورتها الحالية - بلا شك - ديانة وثنية ذات آلهة كثيرة يصل عددها إلى ثلاثمائة وثلاثين مليونا - على حد زعمهم -، تقدم إليها أنواع من العبادات والقرابين، ولكن العقيدة الإلهية فيها مرت بعدة مراحل وتطورت(٢) حسب التفكير الهندوسي طوال عصورها، ونشأت فيها تصورات كثيرة عن الألوهية من الوحدانية ووحدة الوجود والثالوث وتعدد الآلهة وما إلى ذلك، حتى استقرت في الاعتقاد بتعدد الآلهة.

---

(١) انظر: Discovery of India (العثور على الهند) ص٧٨

(٢) نحن لا نشك أن الأصل في العقيدة الالهية هو التوحيد حيث إن الله خلق البشر وأودع في فطرهم تفرد الخالق في الربوبية والألوهية ، وأرسل أنبياءه ورسله تترى إلى جميع الأمم يوحي اليهم أنه لا إله إلا هو كما قال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ سورة الأنبياء أية رقم ٢٥، وانحرفت الأمم عن التوحيد بعد ذلك ، وانحدرت إلى الشرك والوثنية بتقادم العهد نتيجة اجتيال الشياطين لها .

ونستطيع أن نقول إن البرهمية كانت في أول الأمر ديانة توحيد حيث توجد في كتبها اشارات واضحة إلى وحدانية الإله وصفاته وأفعاله الأزلية. فهو خالق جميع الكائنات ومصدرها وإليه مصير جميعها. خلق العالم كله ويحفظه ويهيمن عليه بعلمه وقدرته وملكه، ويعجز البشر عن إدراكه ، وهو واحد لا مثيل له رغم تسميتها له بأسماء مختلفة؛ فتسميه أحيانا "هِرَنْيَا جَرْبَهَا" (Hyranyagarbha) أو "بَرَجَابَتِي" (Prajapaty) أو " وِشْوَاكَرْمَا" (Viswakarma) وغير ذلك ، و "بَرَهْمَا" (Brahma) أو "آتْمَا" (Atma) أو غير ذلك أحيانا أخرى.

== وفي القرآن الكريم والسنة النبوية دلائل كثيرة تقرر أن دين البشر في الأصل هو التوحيد وأن الشرك طارئ كما أن الدراسة والبحث بالمناهج الحديثة في تاريخ الأديان وأحوال الأمم ، وتنقيب الآثار وغيرها أيضا تقرر هذا المبدأ . منها قوله تعالى :

﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ سورة الروم آية رقم ٣٠

وجاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " (رواه البخاري ومسلم)(يأتي تخريجه في ص ١٨٣)

وقال تعالى : ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ سورة البقرة آية رقم ٢١٣

وجاء في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه قال: " إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ... " الحديث (راجع ص ١٨٣) وغيرها من الآيات والأحاديث .

هذا هو الحال في البرهمية أيضا حيث توجد في كتبها نصوص كثيرة تدل على أن التوحيد كان أصل عقيدتها، وانحرفت عن التوحيد إلى الشرك والوثنية بتقادم العهد كما هو واقعها الآن .

أما مذهب التطور العقدي الذي ساد في أوربا في القرن التاسع عشر والذي يردده علماء الغرب ومن سار على نهجهم من غيرهم ـ وهو أن الدين بدأ بصورة الخرافة وأن الإنسان يترقى في دينه على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال في التوحيد ـ فهذا باطل عقلا وشرعا ، وقد أوضح العلماء بطلان هذا المذهب بمسالك القائلين به نفسها ـ شواهد التاريخ ونظرية التطور العضوي وغيرها ـ ولا يقف شيئ منها في صف الدفاع عن النظريات الموسومة بالتطورية ، وليس فيها بيان شاف عن ديانة الإنسان الأول ولم يبق في معرفة ذلك إلا الوحي الصادق وهو الخبر اليقيني والطريق الموصل إلى الحق . (انظر: الدين للدكتور محمد عبدالله دراز ص ١١٢ ـ ١١٧ ، والعقيدة نبع التربية للدكتور أحمد بن ناصر الحمد ص ٦٨ ـ٨١ ، ومدخل لدراسة الأديان للدكتور عبدالله بركات ص٥٠ـ ٩٤)

وإليك بعض النصوص من الويدات والأبنيشادات التي تصف الإله الأزلي المتفرد صفاته وأفعاله ، والتي نستدل بها على نزعة التوحيد في العقيدة البرهمية .

جاء في رج ويدا : " وهو الإله رب البشر واحد ، وإنما تدرك فقط قوانينه المنزهة المنتشرة طولا وعرضا " (١)

وجاء فيه : " إن الذي خلق الكون وخلق الآلهة وجعل الأرض والجنة هو " وشواكرما" وهو الواسع في كل شيئ ومصدر كل سعادة فاعبدوه ". (٢)

وجاء فيه أيضا : " لم يكن عند البداية شيئ غير "هرنياجربها" ، هو مالك جميع الكون ، جعل الأرض والجنة في مستقرهما ، منه صدر جميع الكائنات ولأمره يخضع جميع الكون ، فلا تقدموا القرابين إلا إليه" .(٣)

وجاء في يجورويدا : " إن "برجابتي " خالق هذا الكون الواسع خلق الأرض والسماوات وأحاط بها بقدرته العظيمة" .(٤)

وجاء فيه أيضا: "إنه ليس للإله مثيل ، وسمعته عظيمة حقا " . (٥)

وجاء في سام ويدا: "إن هرنيا جربها واحد أحد، فأقدموا إليه ـ رب الجنات ـ بقدرات روحية ، وهو الأحد، محل إكرام البشر، وهو مبتدئ وإن كان أزليا، وتتجه إليه جميع السبل " . (٦)

وجاء في أتروا ويدا : " لقد وصل إلى الحق من علم أن الإله واحد، ولا يوصف باثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة أو ثمانية أو تسعة أو عشرة ؛ يراقب كل كائن متنفس وغير متنفس ، إنما هو واحد، ذو القدرات العلى ، وتجمعت جميع القوى الإلهية واتحدت، واعلموا بأنه الواحد ويبقى وحيدا إلى الأبد ، وليس هناك إله غيره ، وهو المتسع في كل مكان ، وهو يحكم العوالم الثلاث من السماوات والأرض وما بينهما ، وضع أقدامه في عمق خفاء شديد يعجز العلم البشري عن إدراكه" . (٧)

---

(١) رجويدا ١٦/٢٥/٨

(٢) المصدر السابق ٨١/١٠ - ٨٢

(٣) المصدر السابق ١/١٢١/١٥

(٤) شوكلا يجورويدا ١٨/١٧

(٥) المصدر السابق ٣/٣٢

(٦) سام ويدا ، مادة ٣٧٢

(٧) أتروا ويدا ١٤/٥/١٣-٢٢

وجاء في أبنيشاد جهاندوكيا: "لم يكن هذا الكون في البداية إلا "الآتما" الواحد غير المتماثل ".(١)
وجاء في أبنيشاد ماندوكيا : "هو ـ البرهما ـ إله جميع المخلوقات والخبير بها والواسع لها ".(٢)
وجاء في أبنيشاد تيتريبا : "اعلم أن الذي تنشأ منه جميع الكائنات والذي بـه تحيـى ، والـذي فيه تندمج وتتحد بعد الموت هو البرهما " . (٣)
ويبين الابنشاد كينا أن الإله المعبود شيء متباين عـن المخلوقـات لا يسـتطيع العقـل إدراك كيفيته، وأن كل شيء يعبدونـه بنصـب أو فـرض صـورة لـه أو شـكل لا علاقـة لـه بالإله الحق .(٤)

وهناك نصوص كثيرة أخرى في الكتب الدينية البرهمية غير ما ذكرنـاه هنـا، كلهـا تدل على أن التوحيد هو الأصل في العقيدة الإلهية في الديانة البرهمية .

ونشـأت نزعـة تعـدد الآلهـة وتطـورت فيمـا بعـد طبقـا للتطـورات التـي حدثـت فـي تصوراتهم للمظاهر الكونية وعلاقاتهـا بحيـاة الإنسـان ، فصـوروا لكـل قـوة طبعيـة إلهـا يدعونه ويستنصرونه في الشدائد، ثم اعتقدوا أن لكـل مظهـر مـن المظـاهر الطبعيـة روحـا كامنة وراءها فابتكروا لها صورا وهياكل حسـب تصوراتهـم عنهـا؛ وتقربـوا إليهـا بالعبـادة وتقديم القرابين، وجعلوا لها رسوما وطقوسا وهيئـات، ثـم تمكنـت عقيـدة تعـدد الآلهـة فـي كتبهم ومعتقداتهم حتى صارت أصلا من أصول العقائد البرهمية.(٥)

تذكر كتب الويدات والبرانات والاتهاسات وغيرها عددا كبيرا من الآلهـة التـي يبلـغ عددها ثلاثمائة وثلاثين مليونا حسب اعتقادهم،(٦) يرأسهم ثلاثة وثلاثون إلهـا وهـؤلاء فـي تصورهم مخلوقون في صور مرئيـة وغير مرئيـة وذوو قـدرات وميـزات إلهيـة ، وفيهـم أخيار وأشرار، وتتفاوت أهميتهم، وهم كالبشر ليسوا متمـيزين عنهـم حيـث كلهـم مخلوقـون للاله الأزلي ويتمتع الآلهة الأخيار المترفعون بآثار أعمال البشر وأفكارها الصالحة ويتمتع الأشرار بآثار الأعمال والأفكار السيئة .(٧)

---

(١) أبنيشاد جهاندوكيا ، مادة ٦

(٢) أبنيشاد ماندوكيا، مادة ٦

(٣) أبنيشاد تيتريبا ،١٠١/١١١

(٤) أبنيشاد كينا ٤/١-٩

(٥) انظر: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص٢٤٤

(٦) راجع: قصة الحضارة، لول ديورانت ٢٠٧/٣

(٧) انظر: المعرفة الارشية (في اللغة المليبارية) لمؤلفه م.د. نالابات ص١٠٠-١٠٥، ومعجم أمرا (في اللغة المليبارية) فصل الآلهة، ص٤٨٥-٤٨٦

وقد ورد في رج ويدا ذكر ثلاثة وثلاثين إلها (ويسمى دِيوَا Deva) يرأسهم "إِنْدرَا" (Indra)،(١) أعطى كل منهم شكل البشر، ولكل منهم رغبات ونزعات إنسانية، ومآكلهم ومشاربهم أيضا إنسانية يفضلون اللبن والزبدة والحبوب ولحوم الشياه، لكن لا يموتون كالبشر.

ولعشرين من هؤلاء أهمية بالغة منهم:

"إِندرَا" رئيس الآلهة وإله الرياح والأمطار.

"وَرُونَا" (Varuna) إله السماء وإله النور والظلام.

"مِتْرَا" (Mitra) إله الشمس وزميل لورونا.

سُورْيَا (Surya) وبُوشَاوْ (Pusha) ووِشْنُوَ (Vishnu) وسَوِتَاو (Savita) هؤلاء آلهة الشمس أو أشكال لها.

رُدْرَا (Rudra) ومجموعة مَرُتْ (Maruth) يشاركون اندرا في الرياح والأمطار

بَارْجَنْيَا (Parjanya) إله السحاب والمطر والأشجار والنبات.

أَجْنِي (Agny) إله النار والخلود، وسُومَا (Soma) إله الخلود أيضا، وهو في الأصل نبات يصنع منه شراب سوما المخمر ويقدم للآلهة، ثم صار رمزا للخلود وإلها له. (٢)

ونرى بعض علماء البرهمية يحاولون تأويل تعدد الآلهة الواردة في كتب الويدات وجمعها في اله واحد، ويدعون أن الحكماء القدماء سموا الإله الواحد بأسماء مختلفة لإظهار صفاته وقدراته وأعماله المختلفة من خلق وحفظ وتبديل وغير ذلك.(٣)

---

(١) انظر :رجويدا ٢/٣٠/٨

(٢) انظر : من خلال رجويدا لمؤلفه و.و.ك والت (في اللغة المليبارية) ص٢١٩

(٣) جاء في كتاب المعرفة الارشية قول أروندا العالم البرهمى: "ان رأي دياننده سارسوتي في أن المنترات الويدية تحمد الإله الواحد بأسماء مختلفة لاظهار صفاته وقدراته المختلفة صحيح تماما ويقوم على أساس ثابت متين" (ص٩٥)

ب - فكرة وحدة الوجود

من خلال التطورات التي حدثت في الفكر الهندوسي عما يختص بالعقيدة الالهية نشأت فكرة وحدة الوجود عن نزعة تعدد الآلهة، فتصوروا أن كل ما في الطبيعة من قوى وأشياء وغيرها من حجر وشجر وماء وهواء جزء للإله الأزلي. يبين هذه الفكرة كتاب ديني اسمه ويدانتا: "هذا الكون كله ليس إلا ظهورا للوجود الحقيقي الأساسي، وأن الشمس والقمر وجميع جهات العالم، وجميع أرواح الموجودات أجزاء ومظاهر لذلك الوجود المحيط المطلق، ان الحياة كلها أشكال لتلك القوة الوحيدة الأصلية وأن الجبال والبحار والأنهار تفجر من ذلك الروح المحيط الذي يستقر في سائر الأشياء".(١)

ويقول صاحب كتاب المعرفة الارشية.

"المتقون يعبدون الطبيعة كلها متصورين فيها ذات الاله، ويمكن لمن لم يقدر على ذلك أن يتصور الإله في أي شيء من الكائنات الموجودة... فان الهنادكة يتصورون ذات الإله ليس في السماء والشمس والقمر فحسب، بل في الحجر وقطعة المعدن وغيرها من الموجودات ويرون صورته الحقيقية في البحار والأنهار والجبال والأشجار..." (٢)

ونرى أن فكرة وحدة الوجود تنسجم تماما مع الشرك وفكرة تعدد الآلهة حيث نرى الهنادكة يعبدون كل شيء من الكائنات حتى الآلات التناسلية مثلما يعبدون الآلة التناسلية للإله شوا.(٣)

---

(١) ويدانتا ص ٤١-٤٣، نقلا عن الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص ٢٥١

(٢) المعرفة الارشية ص ٤٩٨

(٣) المصدر السابق ص ٤٩٩-٥٠٣

ج – التثليث الهندي (تريمورتي Trimurti)

ونشأ في الفكر الهندوسي منذ القرن التاسع قبل الميلاد تصور إلهي خاص هو أشبه بفكرة التثليث عند النصارى حيث جعلوا للإله الأزلي ثلاثة أشكال وقسموا وظائفه بينها، وهي برهما (Brahma) إله الخلق والإيجاد، ووشنو(Vishnu) إله الحفظ والتدبير، وشوا (Shiva) إله التبديل والدمار، وهؤلاء يسمون "تِرِيمُورْتِي". ثم حاولوا تقريب هذا التصور إلى نزعة التوحيد بتأويله بأسماء مختلفة للاله الواحد الذي يظهر بأشكال عديدة بأعماله من خلق وحفظ وتبديل.(١)

ويظهر هذا التصور واضحا جليا في كتب البرانات التي تذكر القصص والأساطير المتعلقة بالآلهة ، وخاصة ببرهما ووشنو وشوا ، إلا أنها تختلف وتتعارض البعض عن بعض في تقرير السيادة والأصلية لواحد منهم . وكان كل واحد منهم إلها لقوم دون قوم يعبدونه ويعتبرونه الإله المطلق . ومن الممكن أن نشأ من احتكاك وتنافس ومحاربة الأقوام ومقاوماتهم اعتبار كل من هذه الثلاثة على درجة واحدة في الأهمية ، ومن ثم تصورهم أشكالا مختلفة للإله المطلق على شكل تدريجي . (٢)

جاء في "بهَاجَوَتْ بَرَانا" حوار جرى بين كاهن وبين الآلهة الثلاثة حيث توجه الكاهن اليهم بسؤاله : " أيكم الإله الحق ؟ فأجابوا جميعا : " اعلم أيها الكاهن أنه لا يوجد أي فرق بيننا نحن الثلاثة ، فان الإله الواحد يظهر بثلاثة أشكال بأعماله من خلق وحفظ وتبديل ولكنه في الحقيقة واحد، فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعا أو عبد الواحد الأعلى". (٣)

وجاء في وَايُو بُرَانا: "البرَهْمَا يخلق الكائنات ، وكَالَا يفنيها ، وبورَوشَا يحافظ عليها(٤) ، وما هؤلاء إلا أشكال ثلاثة لبرجابتي " .

كما جاء في كُورْمَا بَرَانا أن الخلق والحفظ والإفناء صورمختلفة له، (أي للإله المطلق) ووشنو هو الذي يحافظ على الكائنات وبرهما يخلقها وشوا يدمرها . (٥)

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص٢٤٤–٢٤٥

(٢) انظر: الهندوسية ديانة وفلسفة، ص ١٩١–١٩٥

(٣) نقلا عن الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص٢٤٥–٢٤٦

(٤) كالا (Kala) هو إله الدمار وبوروشا اسم آخر لإله الحفظ

(٥) انظر: الهندوسية ديانة وفلسفة ص ١٩٢

د – تشكل الإله ونزوله (أَوَتَارا Awatara)

يضاف إلى العقيدة الالهية البرهمية اعتقادهم في الإله أنه يتشكل بأشكال وينزل إلى الأرض عند الضرورة لأجل إهلاك المفسدين وكبت الأعداء وإنقاذ الصالحين وإقامة الحق. ويقال لهذا النزول "أَوَتَارا ".

جاء في كتاب جيتا أن كرشنا – وهو صورة إلهية على هذا النمط – قال: "سأنزل في كل عصر يضعف فيه الحق ويتغلب الباطل، أنزل في كل عصر لأنجيَ الأخيار وأهلك الأشرار وأقيم الحق ". (١)

والتشكل من اختصاص وشنو أحد الآلهة الثلاثة، ونزل إلى الأرض بهذه الطريقة بأشكال مختلفة في مناسبات شتى منها عشرة مشهورة وهي:

١- مَلْسِيَا (Malsia) أي السمك، نزل على هذه الصورة لإنقاذ الويدات المسروقة من حضرة البرهما الإله، أخفاها السارق في قاع البحر .

٢- كوُرْمَا (Koorma) أي السلحفاة، نزل بهذه الصورة لإنقاذ الآلهة من الهلاك عندما انهال بهم جبل إلى البحر فثبت الجبل من أصله.

٣- وَرَاها (Varaha) أي الخنزير، نزل لينقذ العالم من رجل شرير سيطر عليه فقتله.

٤- نَرَاسِمْها (Narasimha) أي الأسد الإنساني ، صورة نصفها إنسان ونصفها أسد، نزل ليقتل ملكا شريرا اسمه هِرَنْيَاكَشِيَا (Hiranyakasyapa)، أنكر وجود الإله وصد الناس عن عبادته فنزل من داخل عمود لقصره وقتل الملك ونجى ابنه برَهْلاَد (Prahlada).

---

(١) جيتا ٤/٧،٨

٥- وَامَنا (Vamana) صورة إنسان نزل ليقتل الملك الكشتري "مَهَابَلِي" الذي غلب الآلهة بقوته، فأدخله وامنا بقدمه إلى "باتال لوك" (العالم السفلي) حيا.

٦- بَرَاشُوْرَامَا (Parasurama) إنسان نـزل ليقتـل الحكـام الكشـتريين المفسـدين فـي ذلـك العصر.

٧- رَامَا (Rama) إنسان نزل ليقتل الملك الشرير رَاوَنَـا(Ravana) الـذي اتخـذ ملكـه فـي جزيرة لنكا.

٨- كرِشْنَا (Krishna)

٩- وأخوه بَلاَرَامَا (Balarama) نزلا لقتل الملك "كَمْسَا"(Kamsa) خالهما.

١٠- كَلِّكِي (Kalki) آخر الأشكال، سينزل على شـكل إنسـان بوجـه حصـان عندمـا يكـون الناس كلهم منكرين لوجود الإله ومفسدين في الأرض فيهلك الأشرار وينقذ الأخيـار ويرجع إلى سَوَرْكَ لُوكَ أي الجنة.(١)

---

(١) انظر: المعرفة الأرشية ص٢٩٣-٣٠٦، ومعجم أمرا ص١١٧-١٢٠

ثانيا: عمل الإنسان وجزاؤه

ا - الكرما أو قانون الجزاء

الكرما بمعنى العمل، وتعني في الاصطلاح الويدي "قانون الجزاء" ، يحتم هذا القانون على المرء جزاء أعماله الدنيوية حسنة كانت أم سيئة ثوابا أم عقابا. جاء في كتاب يُوَجَاوَاسِشْتَها:

"لا يوجد في الكون مكان يفر إليه المرء من جزاء أعماله الدنيوية حسنة كانت أو سيئة، ويجد هذا الجزاء سواء أكان في الجبال أم في السماوات أم في البحار أم في الحقول". (١)

وفكرة كرما وثيقة الارتباط بفكرة تكرار المولد إذ تبين كتب البرهمية أن مكان استيفاء المرء جزاء أعماله هو الدنيا، فإذا لم يستوف المرء جزاء أعماله في الحياة الحالية يكن ذلك في الحياة اللاحقة له في الدنيا حيث تتكرر ولادته فيها على سبيل التناسخ. (٢)

---

(١) يوجاواسستها ٣/٥، نقلا عن الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص٢٤٨

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية وتطورها ص٢٤٩

ب - بُنَارْجَنَّمَا أي تكرار المولد (تناسخ الأرواح)

هي عقيدة رجوع الأرواح إلى العالم الأرضي وتكرار مولدها في أجسام جديدة بعد فراقها عن الأجسام السابقة بالموت. وتأتي امتدادا لعقيدة الكرما التي تحتم تحقيق ميول النفس ورغباتها واستيفاء جزاء أعمالها في الحياة.

وخلاصة ما تبينه كتب البرهمية عنها هي: "أن جسد الإنسان المادي هو الذي يولد من جسدي الوالدين، وأما الذي يحركه ويساعده على العمل فهو عنصر لطيف من القوى الأساسية والعناصر اللطيفة، فإذا حدث ما نسميه الموت مات الجسد المادي وبلي؛ وأما العنصر اللطيف فلا يموت بل يخرج من الجسد، ويعمل مدة من الزمن في آفاق الكون اللطيفة التي تشبه حالة أحلامنا، ثم يعود مسوقا بالميول والأعمال الماضية كرة أخرى إلى هذه الحياة متقمصا جسدا جديدا، وتبدأ بذلك دورة جديدة بهذه الروح وتكون هذه الدورة نتيجة للدورة الماضية، فتوجد الروح في إنسان أو حيوان فيسعد أو يشقى نتيجة لما قدم من عمل في حياته السابقة(١).

جاء في جيتا: "إن الروح خالدة ولا تفنى، وهي أقدم من كل الكائنات، ليست لها بداية فلم تولد ولا نهاية فلا تموت، وهي خارجة من قيود الزمان والمكان...، وتترك الأجساد البالية وتركب أجساما جديدة كما يلبس الإنسان الثياب الجديدة بدلا عن الثياب البالية".(٢)

ويكون تقمص الروح بالأجساد الجديدة حسب أعمالها في الحياة السابقة لتلقى جزاءها ثوابا وعقابا وتستوفي ما لها وما عليها من ديون في معاملات الآخرين. فترجع روح الرجل الصالح بعد موته في جسم أعلى منه رتبة وفضلا، وروح الرجل الفاسق في جسم أردأ منه، ولا تزال الروح في تناسخها من جسم إلى آخر في حياة متعددة وتتدرج في الصلاح والمعرفة والقوة حتى ترتقي إلى الإله برهما العليم القوي والمصدر لجميع الكائنات ثم تلحق به وتمتزج فيه. (٣)

---

(١) المصدر السابق ص٢٤٧

(٢) جيتا ٢/٢٠

(٣) انظر: التعريف بالديانة الهندوسية ص ٩٨

ويستمر تناسخ الروح المتردية من أجسام رديئة إلى أردأ منها حتى تتدنى إلى حيوانات خبيثة وتعطى فرصا للاستقامة والصلاح في كل مرة لكي تبدأ من جديد وترتفع إلى حياة أعلى من الأولى، ولا تزال تتناسخ كذلك دون فناء آلاف المرات لعلها تجد في مرحلة من المراحل فرصة للصلاح والاستقامة فتندفع إلى السعادة والاندماج في الإله الأعلى.(١)

جاء في أبنشاد جاندوكيا:

"إن الذي يعيش في الدنيا عاملا الحسنات يولد في بطن امرأة أفضل كالبرهمية أو الكشترية أو الويشية، والذي يعيش مرتكبا السيئات يولد في بطن الكلب أو الخنزير أو الجندالا".(٢)

ويبين منو أن الإنسان يولد بالأعمال الحسنة في بطون الآلهة وبالسيئات في بطون الحيوانات الدنيئة، وإذا اختلطت الحسنات بالسيئات ففي بطون البشر، ويصير إلى شكل الأشجار والنباتات بسبب الخطايا العملية، ويولد في بطن البهائم أو الطير بالخطايا القولية، ويولد في بطن الجندالا بالخطايا القلبية.(٣)

وعقيدة التناسخ هذه لم تكن في البرهمية في العصر الويدى الأول حيث لم يذكر عنها شيء في أسفار الويدات وإنما ظهرت الإشارات إليها في الأبنشادات فيما بعد، ثم شرحها جيتا ودهرماشاسترات وغيرها حتى صارت أصلا من أصول العقيدة.

ويرى بعض الباحثين أن هذه العقيدة اختلقها البراهمة بعد أن طبق النظام الطبقي تبريرا له حيث إنها لا تعتبر طبقات الشودرا والجندالا والمنبوذين وغيرهم بشرا ولا تعطيهم الكرامة الإنسانية ؛ بل تعتبرهم ضمن الكلاب والخنازير وغيرها من الحيوانات الخسيسة؛ وتبين لهم أن ولادتهم في هذه الطبقات جزاء لأعمالهم في الحياة السابقة.(٤)

---

(١) انظر: المصدر السابق ص٩٨ ، ومعجم أمرا، مادة (بنارجنما) ص٦٠٤

(٢) جهاندوكيا ٥/١٠/٧

جندالا أو تشندالا (Chandala) هو الذي يولد لأب شودري وأم برهمية، وهو أخس الناس وأدناهم جميعا، ويراد به أيضا السفلة من الناس الذين هم خارج الطبقات الأربع، وهم على ثلاثة أنواع: أعلى ووسط وأدنى (انظر:كيرالا في القرن التاسع عشر لمؤلفه ب. بهاسكرانوني، في اللغة المليبارية، ص٨٥)

(٣) انظر: منوسمرتي ١٢/٩-١١

(٤) انظر: التيارات الخفية للحضارة الهندية ١/٢٦٣-٢٦٧، والهندوسية – ديانة وفلسفة، لمؤلفه م. م. أكبر ص٢٣٨-٢٣٩

جـ - لوكات أي العوالم

يتعلق بعقيدة العمل والجزاء والتناسخ اعتقاد وجود عوالم تعيش فيها كائنات ونفوس تزداد دقة وخفاء كلما علت رتبتها. وهي سبعة عوالم يتركب كل منها على سبع طبقات، ولا يتعلق بحياة الإنسان وعمله وجزائه مباشرة إلا عوالم ثلاثة تعرف بـ "تراي لوكيا" أي العوالم الثلاثة. وهي:

١ - بهُولوُك، أي العالم الأرضي، وهو الذي يعيش فيه الإنسان ويعمل فيه خيرا أو شرا، ويرجع إليه بعد موته وإتمام مكوثه في العوالم الأخرى ليستكمل عمله وجزاءه حسب عقيدة تكرار المولد.

٢ - بُهوَرْ لُوك، وهو العالم الذي ينتقل إليه الإنسان بعد موته من الأرض مباشرة ويقضي فيه مدة معينة تتفاوت حسب أعماله في العالم الأرضي، ثم ينتقل إلى العالم الثالث.

٣ - سُوَرْلُوك، هو العالم الثالث الذي ينتقل إليه الإنسان ويستكمل حياته من الحياة الحالية قبل الرجوع إلى العالم الأرضي، ولا يدخل فيه إلا الأخيار من الناس، وتتفاوت مدة المكوث حسب الأعمال؛ ثم يرجع مرة أخرى إلى العالم الأرضي على طريق تناسخ الأرواح.

أما العوالم الأربعة التي لا تتعلق بحياة الإنسان مباشرة ويعيش فيها أرواح لطيفة ودقيقة تتمتع بهناء ونعيم خالدين فهي:

١ - مَهَرْلُوك - فهو العالم الرابع، يشوبه شيء من ظلال العوالم الثلاثة إلا أن الأرواح الموجودة فيها خالدة لا يعتريها الموت.

٢ - جَنَرْلوك - تتمتع الأرواح الموجودة فيه بالهناء الخالد غير أنه لا يصل إلى درجة العالمين الأعليين.

٣ - تَبُوَلُوك - وهو عالم بلا هموم بمعنى أنه لا يصيب سكانه هم ولا حزن أبدا.

٤ - سَتْيَالُوك - وهو أعلى العوالم متاعا وهناء، ليس فيه هم أبدا وحتى لا تخاف نفس وقوع الهم عليها البتة.(١)

---

(١) انظر: المعرفة الأرشية ص٢٤-٥٦ و٥١٧-٥١٩

المبحث الرابع

العبادات في الديانة البرهمية

البرهمية ديانة وثنية تعبد فيها أعداد كثيرة من الآلهة ذكورا وإناثا، تنصب تماثيلهم في المعابد وتقدم لهم أنواع من شعائر العبادات بالاضافة إلى عبادة عدد كثير من الموجودات والظواهر الكونية لكونها تجر إلى الإنسان نفعا أو تدفع عنه ضرا أو تتصل إلى إلـه من الآلهة بصلة ما(١)، ويعبر عن شعائر العبادة بكلمة "بوُجَا" (Pooja).

والشعائر التي تقدم للآلهة هي تقديسهم وتمجيدهم وهمهمة أسمائهم والدعاء إليهم والركوع أمام صورهم وتماثيلهم وتقديم القرابين لهم والطواف حول معابدهم والاحتفال بالطقوس والرقصات ودق الطبول فيها بمناسبات شتى مثل المولد والوفاة والانتصار على الاعداء وتشخصه بشكل أرضي وما إلى ذلك.

ومن أهم ما يعبد من الحيوانات البقرة حيث تقدس وتعبد بسبب المنافع المادية التي تقدمها للإنسان وتسمى "جوماتا" أي البقرة الأم، يعتقدون أنها صورة للإلهة لَكْشِمي (Laxmi) (إلهة الحظ الحسن) وتعبد يوم الجمعة.

وقد ورد ذكرها بالتمجيد والثناء على المنافع التي تدرها على الإنسان في الويدا حيث جاء فيه هذا الدعاء :

"أيتها البقرة المقدسة لك التمجيد والدعاء في كل مظهر تظهرين به، أنثى تدرين اللبن في الفجر وعند الغسق ، أو عجلا صغيرا، أو ثورا كبيرا، فلنعد لك مكانا واسعا نظيفا يليق بك وماء نقيا تشربينه ، لعلك تنعمين بيننا بالسعادة ".(٢)

---

(١) راجع: قصة الحضارة لول ديورانت ٢٠٧/٣

(٢) سام ويد ،مادة ٦٢٦ نقلا عن : أديان الهند الكبرى ص٣٠ وانظر: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص٢٦١،
ولا تزال هذه المكانة العظيمة للبقرة تحتل نفوس الهندوسيين حتى في هذا العصر ، ويحرم قتلها أو ذبحها وأكل لحمها. وقد حرمت معظم حكومات الولايات الهندية قتل البقرة أو ذبحها قانونيا تلبية لنداء الهندوسيين المتطرفين . ولم تكن محرمة في البرهمية القديمة حيث نرى في كتبها وأساطيرها إشارات إلى تقديم ألبان البقرة ولحومها إلى الآلهة والبراهمة كما أن الآلهة قتلت أنعام الأعداء وأبقارهم في حروب أسطورية جرت بينهم .

ومما يدل على قداسة البقرة في نفوس الهندوس ما قاله الزعيم الهندي الراحل مهاتما غاندي الذي لعب دورا رئيسيا في استقلال الهند من البريطانيين عام ١٩٤٧م ، يقارن فيها بين الأم الحقيقية والأم البقرة ،ويقول :

" عندما أرى بقرة لا أعدني أرى حيوانا، لأني أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع..."

"وأمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه ، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتطلب منا خدمات طول العمر نظير هذا، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائما ولا تتطلب منا شيئا مقابل ذلك سوى الطعام العادي . وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلفنا نفقات باهظة ، ولكن أمنا البقرة فلا نخسر لها شيئا ذا بال ؛ وعندما تموت الأم الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طائلة، وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهي حية، لأننا ننتفع بكل جزء من جسمها حتى العظم والجلد والقرون ".

" أنا لا أقول هذا لأقلل من قيمة الأم ، ولكن لأبين السبب الذي دعاني لعبادة البقرة. إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال وأنا أعد نفسي واحدا من هؤلاء الملايين". (١)

والحقيقة إنه لا يخلو شيء من الحيوانات إلا وهو محل التقديس والتعظيم خاصة إذا ذكر في الكتب الدينية كمركب أو آلة أو صديق أو بأي صلة أخرى لإله من الآلهة الكثيرة، فيأتي من ضمنها الحية والنمر والكلب والخنزير والفأرة والثعلب والعقرب والغراب والتمساح والأوز وما إلى ذلك.(٢)

ومما يعبد أيضا من الظواهر الكونية النار والماء والهواء والشمس والقمر والشجر وغيرها. يعبدون النار (أَجْنِي Agni) على صور شتى لكونها أعظم العناصر السفلية فأحيانا يحفرون حفرة مربعة يؤججون النار فيها ويطرحون فيها موادا من البخور والعطور والأشياء الثمينة بذكر الأناشيد والأدعية، وأحيانا يصورونها إلها ويضعون له تمثالا باسم أجني ويعبدونه.

وكذا يعبدون بعض الأشجار والنباتات منها "تولاسي" وهو نبات يشبه الريحانة في الشكل والرائحة، ومنها شجرة تسمى "أَشْوَتْهَا" (Fious Religiosia) يطوفون حولها في أيام معينة، ومنها شجرة تسمى "كَوَوَلا" (Cretava Religiosia) وغير ذلك.(٣)

---

(١) نقلا عن أديان الهند الكبرى ص٣٢-٣٣،وانظر: الدعوة الإسلامية وتطوررها في شبه القارة الهندية ص ٢٦١-٢٦٢

(٢) انظر: المعرفة الأرشية ص٥٠٠-٥٠٢

(٣) انظر: المعرفة الارشية ص٥٠٠ -٥٠٢ ، والدعوة الإسلامية وتطورهها في شبه القارة الهندية ص٢٦٣ -٢٦٧

الشعائر التعبدية

١ - عبادة برهما ووشنو وشوا

تعبد الآلهة الثلاثة – برهما ووشنو وشوا – ثلاثة أوقات؛ عند شروق الشمس وعند غروبها وعند الظهيرة، باستحضار صورها في القلب• وطريقته أن يقف الرجل متوجها إلى الشمس رافعا يديه ومغمضا عينيه ويستحضر في قلبه صور الآلهة، يركز في سرته صورة وشنو ذات أربع أياد ولون أسود، وفي صدره صورة برهما ذات أربعة وجوه ولباس أحمر جالسا في زهرة لوتس (النيلوفر) ، وفي رأسه صورة شوا ذات خمسة وجوه وثلاث أعين ولباس أبيض ويذكر بلسانه ذكر "جايتري".(١)

وذكر جايتري أنشودة ذات أربع مقاطع تبدأ بكلمة (أوم)(٢) المقدسة، وهي ثلاثة حروف، تليها ثلاث كلمات تأتي بعدها ثلاث جمل؛ كلها مأخوذة من الويدات الثلاثة– رجويدا ويجور ويدا وسام ويدا– ويتلخص معناه: "أننا نعبدك يا إلهنا بنور الشمس وأنت تهدي قلوبنا".(٣)

وهذا الذكر بنفسه ذكر عظيم يذكر في مناسبات عديدة، وإذا تلفظه الرجل يوميا ألف مرة لمدة شهر واحد يثاب بالغفران وينسلخ من ذنوبه كما ينسلخ الثعبان من جلده.(٤)

---

(١) انظر :تحفة الهند لمؤلفه عبيدالله السندي (في اللغة الأردية)ص٨٤

(٢) بهذه الكلمة تبدأ كل جمل الويدا، ويعتقدون أنها تشير إلى الآلهة الثلاثة وتتضمن كل ما حدث وما سيحدث؛ ولا ينبغي للشودري وغيره من المنبوذين تلفظها لقداستها (انظر: معجم أمرا، مادة أوم ص٢٣٥)

(٣) انظر :تحفة الهند ص٨٤–٨٥

(٤) انظر: منو سمرتي ٧٩/٢.

٢- "ورت" و"تيوهار" أو الصيام والأعياد

من الشعائر التعبدية التي لها أهمية كبيرة في البرهمية الصيام المسمى "ورَتْ" (Vrat) والعيد المسمى "تِيوَهَار" (Tyohar) أو "أُتْسَوْ"(Utsav).

الصيام عبارة عن أعمال بالقلب والجوارح من الامتناع عن الأطعمة كليا أو جزئيا والابتعاد عن النوم واجتناب الفراش والسرير وعدم الاندفاع إلى المنكر قولا أو فكرا، والسكوت عن الكلام والالتزام بالسكينة والتمسك بالصدق والعطف والتصدق بالمال، وتلاوة الكتب المقدسة وتسبيح الآلهة وتقديم القرابين والنذور لها.

وقد يكون بعض الصيام جامعا لهذه المظاهر كلها، كما يكون الامتناع في أوقات محددة أو أنواع معينة منه فقط. وإذا كان الامتناع عن الطعام كليا يسمى "أُبَوَاسَا"(Upavas).

وإذا كان الورت (الصيام) عاما يشترك فيه الناس على شكل جماعي وله مظاهر جماعية يسمى "أتسو" أو "تيوهار" (العيد والاحتفال). والهدف من الصيام والأعياد هو اكتساب البر وكفارة الذنب ونيل السعادة.

وهناك أنواع كثيرة من الصيام والأعياد يقوم الهندوس بالاحتفال بها في مناسبات شتى (١) منها:

ا- سَنْوَتْسَار(Sanvatsar)

هو أول يوم السنة الشمسية، يعتقدون أن البرهما خلق الكون هذا اليوم، ويعبدون فيه صنم البرهما ويتصدقون للبراهمة بصنم ذهبي له، ويعظمون الآلهة الخمسة وهي - البرهما وشوا وسوما وسُورْيَا (الشمس) وأَجْنِي (النار) ويقدمون الأرز والقمح لأجني، ويتلون منترات الكتب المقدسة ويكرمون البراهمة.

(١) عقد البيروني فصلا خاصا عن الصيام والأعياد وذكر أيامها في كتابه" تحقيق ما للهند من مقولة ..." راجع ص٤٤٠-٤٥٠

ب – نَوَا رَاتْرِي أو دُرْكَا بُوجَا(Nawa ratry or Durga pooja)

وهي صيام تسعة أيام من شهر أشوني (السنبلة ، أغسطس ـ سبتمبر)، يأتي المرء منها بما يستطيع من سبعة أيام أو خمسة أو ثلاثة أو واحد حسب طاقته، يقومون فيها بتعظيم صنم دُرْكَا (امرأة الإله شوا) وتلاوة الكتب التي جاء فيها ذكر هذه الإلهة مثل "دِيوِي بهَاجَوَتَا" و"كَالِكَا بُرَانَا" و"مَارْكَنْدِيَا بُرَانَا" وغيرها.

ج – شْرَاوَنِي أو رَكْشَا بَنْدَهَنْ(Srawany or Raksha bandhan)

يقام هذا ليلة البدر من شهر شراون (الأسد ، يوليو ـ أغسطس)، يهتم به البراهمة أكثر من غيرهم؛ يلبسون الخيط على أكتافهم ويمتنعون عن الأكل والشرب ويقومون بمراسم أخرى. وفي هذا اليوم يؤكدون أخوتهم بربط خيط يسمى "رَاكِهي" على معصم الآخر رمزا للأخوة.

د – وِجَيَا دَشَمِي (Vijaya dashamy)

ويأتي بعد صيام نواراتري في اليوم العاشر من شهر أشوني (السنبلة) ويسمى أيضا "دشهرا"، يحتفلونه عيدا ويعتبرونه رمزا للسعادة والفوز حيث انتصر فيه راما (صورة أرضية للاله وشنو) على الملك راونا بقتله، ويحرقون شكل راونا ويعبدون الآلات في ذلك اليوم، ويهتم به طبقة الكشترية أكثر من غيرهم.

هـ – ديباولي (Deepawaly)

ويسمى أيضا ديوالي وديبا مالكا، ويأتي في شهر الميزان، (سبتمبر – أكتوبر) يصومون فيه ويعبدون صنم لكشمي (Lakshmi) إلهة الحظ الحسن والثروة، ويوقدون السرج في جميع الأماكن ويعبدون أيضا نَرَكَا(جهنم) لأجل النجاة من عذابها. وهو عيد طائفة الويشية.

وهناك صيام وأعياد أخرى كثيرة مثل "هُولِي" و"شِوَارَاتْرِي" و"رَامَ نَوَمِي" (مولد راما) و"كِرِشْنَا جَنْمَاشْتَمِي" (مولد كرشنا) و"بَيْسَاكِهي" و"مَكَرَ سَنْكرَانتِي" وغيرها.(١)

---

(١) انظر: مجلة دعوة الأردية ، عدد خاص بالأديان الهندية ص١٥٩-١٦٤، وكتاب التعريف بالديانة الهندوسية ص٣٢٥ – ٣٣٥، ومجلة ثقافة الهند، اصدار المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، مقالة للسيد احسان الرحمن م٣٦ ع٣،٤، ١٩٨٥م، ص١١٣وم٣٨ ع١،٢ ص١٤٩-١٥٦

٣ – اليَجْنَات واليَاجَات (Yajna & Yaga)

اليجنات والياجات من أهم الشعائر التعبدية التي تقام بمناسبات مختلفة تقدم فيها الحيوانات والقرابين والصدقات للآلهة ولرجال الدين الذين يشرفون عليها.

"واليجنات الخمسة العظمى" هي الأعمال الدينية التي يعملها الرجل يوميا في المرحلة الأسرية (كرهستا) يكتسب بها زكاة النفس واطمئنان القلب وطهارة الظاهر ورخاء المجتمع .وجاء في جيتا أنه يعفى عن الرجل جميع سيئاته ويبلغ الوجود الإلهي إذا قام باليجنات على وجهها.(١)

وهذه اليجنات الخمسة هي:

ا – برَهْمَا يَجْنَا

ويتلخص في قراءة الكتب الدينية من الويدات وغيرها وتعلمها وتعليمها لتقويم الحياة الأسرية على قواعد الدين.

ب – دِيوَايَجْنَا

ومظهره عملية "هوَمَا" المسمى "أَجْنِي هُوتْرَا" (عبادة النار) وهو عبارة عن إيقاد النار في حفرة في البيت صباحا ومساء من كل يوم، وتضحي المواد العطرة والمغذية والأدوية فيها إرضاء للآلهة.

ج – بِتْرْ يَجْنا

وهو تقديم القرابين إلى جنس من الآلهة لتحسن إلى أرواح الأموات من الأقرباء وتكريم الأحياء من الوالدين والأجداد والعلماء والشيوخ وإرضائهم ويسمى الأول "شْرَادَها (Shradha) والثاني "تَرْبَنَا" (Tharpana)

د – نَرَ يَجْنا

وهو عبارة عن قرى الضيوف الذين ينزلون في البيت من البراهمة والشيوخ والبرهماجاريين وأبناء السبل وغيرهم، فيجب على الرجل إكرامهم بتقديم الخدمات والأطعمة لهم بكل احترام.

---

(١) انظر: جيتا ٣/١٢– ١٤

هـ - بهوتا يجنا

وهو تقديم المساعدات والأرزاق للبائسين والمتضررين والمرضى ورعاية البهائم والطيور والحيوانات، وخدمة البقرة خاصة.(١)

وهناك يجنات أخرى تقام بمناسبات معينة وهي التي تسمى بالياجات أيضا ، تضحى فيها البهائم وتؤجج النيران وتطرح فيها القرابين وتقدم الصدقات والهدايا :

من هذه الياجات أَشْوَا مِيدَهَا يَاجَا (ياجا الحصان) يكون الحصان فيها أهم ما يضحى به، ويقوم بها الملوك الكشتريين إذا غلبوا في الحرب على أعدائهم كفارة لما قد يحدث منهم من قتل أحد من طبقة البراهمة حيث قتل البرهمي جريمة كبيرة، ويمتد هذا الياجا إلى سنة ويحتاج إلى أموال طائلة.

ومنها أيضا جَو مِيدَها يَاجَا (ياجا البقرة) وأَجَ مِيدَها يَاجَا (ياجاالشاة) ومُهِشَا مِيدَها يَاجَا (ياجا الجاموس) ونَرَ مِيدَها يَاجَا (ياجا الإنسان) وسُوَما يَاجَا (ياجا سوما - وهو نبات يتخذ منه الخمر ويقدم للآلهة-) وغير ذلك.(٢)

---

(١) انظر: المعرفة الارشية ص٣٥٤، والتعريف بالديانة الهندوسية ص٥٨-٦١

(٢) انظر: التيارات الخفية للحضارة الهندية ٢/٢٥١ -٢٥٧، والمعرفة الارشية ص٣٥٤.

٤ - شد الرحال إلى المقدسات

يعتقد الهندوس أن أرض الهند كلها مقدسة فيعتبرون أنهارها وجبالها وغاباتها ومعابدها مقدسة يحج إليها، ويبين كتاب بَتْمَا بُرَانَا أنها تبلغ أكثر من ثلاثة ملايين موضع مقدس. (١)

ومن هذه المقدسات التي لها أكثر أهمية من غيرها "كُرُو كشِيتْرَا" أي مكان كرو وهو المكان الذي وقعت فيه الملحمة الكبرى "بهَارَتَا"، وجبال "وِندهِيَا" و"هِمَالَيَا" و"كَيْلاَسَا" وأماكن "تَيَمْشَارَنْيَا" و"جِتْرَاكوُدَا" و"اِرْشِي كِيشَا" و"دوَارَكَا" و"أيُودْهِيَا" (مولد راما) و"مَدْهُورَا" (مولد كرشنا) و"كَاشِي" وغيرها، ومن الأنهار "الغَنَج"و"اليَمُنَا" و"سَارَاسْوَاتِي" و"كَاوِيرِي" و"السند" وغيرها.(٢)

ذكرت في يجور ويدا وأترَوا ويدا مكانة الرحلات إلى هذه المقدسات وأن المرتحل ينجو من الضلالة والمصائب ويدرك العوالم العليا .(٣)

والذي يريد الرحلة إلى هذه المقدسات يقوم قبل سفره بشعائر خاصة من عبادة وصيام وهُومَا (تقديم المواد إلى النار) وصدقة وغيرها، وكذا بعد سفره، ويعمل في هذه المقدسات أعمالا تعبدية من الصيام والغسل وغيرها.(٤)

---

(١) انظر: التعريف بالديانة الهندوسية ص ٣١٤

(٢) المرجع السابق ص ٣١٥-٣١٦

(٣) انظر: يجور ويدا ٦١/١٦، وأترَوا ويدا ٧/٤/٤/١٨

(٤) انظر: التعريف بالديانة الهندوسية ص ٣٢٣-٣٢٤.

المبحث الخامس

المعاملات والأخلاق في الديانة البرهمية

تبين الأسفار الويدية والدهرماشاسترات (كتب الشرائع البرهمية) أنواعا من الأخلاق والمعاملات وتدعو إلى كثير من الفضائل التي استحسنتها الأمم كالاستقامة والصبر واجتناب الغضب ومقابلة الإساءة بالإحسان واحترام كبار الناس والمربين والمعلمين وإكرام الضيوف وإرضاء السائلين والمحتاجين وما إلى ذلك، كما تحرم كثيرا من المعاصي والأخلاق السيئة كقتل النفس والزنا والسرقة والكذب وشهادة الزور وإهانة المربي والمعلم (١) ونحو ذلك مما يدل على أن الديانة البرهمية كانت دينا سماويا في أصلها حيث إن مثل هذه الأمور لا يمكن الالتزام بها والدعوة إليها إلا بشرع ووحي إلهي لأنها من متطلبات النفس وشهواتها، ولذلك نجد أن الإسلام قد دعا الناس إلى التحلي بالفضائل ومكارم الأخلاق والتخلي عن الرذائل وسوء الأخلاق.

ومن أظهر ما تدعو إليه البرهمية من الفضائل كبح جماح الشهوات والعزوف عن نزعاتها والزهادة في الملذات؛ وتذكر أن الإنسان إذا استطاع التغلب على نفسه استطاع التغلب على الشهوات؛ والإنسان لا يتخلص من أهواء نفسه ولا ينتهي من رغباته بتحقيق مطالبه بل تزداد مطالبه كلما حققها مثل السمن لا يزيد النار إلا التهابا. والأفضل للإنسان أن يكبح شهواته من أن يحقق مطالبها حيث يتضرر بتحقيق نزعاته ويشقى به بخلاف الزاهد فإنه يسعد بالعزوف عنها.(٢)

ومقاصد الحياة الإنسانية في الدنيا أربعة أمور يسعى الإنسان في تحقيقها والمحافظة عليها في مختلف مراحل حياته ليكون سعيدا في حياته وبعد مماته.وهي :

١ – "دهَرْمَا" أي النظام والمسؤولية، وهو الذي يبين ارتباطات المرء مع نفسه وأسرته ومجتمعه، وهو الذي يحافظ عليها.

---

(١) راجع وسائل التقديس ص ٧٦-٧٧

(٢) انظر: منو سمرتي ٢/٩٢ -٩٦

٢ – "أَرْتَهَا" أي المال والثروة.

٣ – "كَامَا" وهو الرغبات واللذات الجسدية.

٤ – "مُوكْشَا" وهو النجاة والسعادة أو الاندماج في الوجود الالهي. (١)

ولأجل تحقيق هذه المقاصد جعلت البرهمية نظاما خاصا يسمى بنظام الآشْرَمَات والوَرْنَات (مراحل الحياة والطبقات)، قسمت حياة الإنسان إلى أربع مراحل (٢)وشرعت لكل مرحلة منها أنواعا من الأخلاق والمعاملات من الزهادة والتقشف وغيرذلك ؛ ويكون التخلق بالزهد المفرط وتعذيب النفس ومحاربة الملاذ والتجول لاكتساب كفاف العيش عن طريق التسول وغير ذلك من أنواع التقشف هو الوسيلة العظمى للاندماج في الإله. وتكون المرحلة الأخيرة أقسى وأصعب حيث هي مرحلة الانتقال من الحياة إلى الاندماج في الوجود الإلهي. (٣) كما شرعت مراسم معينة تسمى "سَنْسكَارَات" (Sanskar) تعمل لكل فرد في مختلف مراحل نموه في نطاق نظام مراحل الحياة والطبقات. وإليك بيانا لهذه المراسم بإيجاز :

---

(١) انظر: التعريف بالديانة الهندوسية ص٧٠

(٢) يأتي بيانها في ص ٧٢ -٧٤

(٣) راجع ص ٧٤

مراسم تقليدية – سنسكارات (١)

تعمل للانسان منذ نشأته حتى موته رسوم دينية تقليدية في مناسبات مختلفة تكفر بها سيئاته وينال السعادة في الحياة الدنيا والحياة بعد الموت وتسمى هذه الرسوم بسنسكار (Sanskar). ومن هذه الرسوم:

ا – جَرْبَهَا هُومَا

أي مراسم الحمل وهي ما يعمل الزوجان من صيام وقرابين وشعائر لأجل تكوين الجنين في الرحم، وما يعملان بعد تكوينه أثناء الحمل ليحفظ من المصائب وليقوى عقله ودماغه.

ب – جَاتَكَرْمَا

وهي التي تعمل للمولود قبل انقطاع حبل السرة؛ وأهم أعمالها تسجيل كلمة (أوم)(٢) على لسانه بماء الذهب مخلوطا بالعسل والسمن مع ذكر منترات الويدا.

ج – جَوْلا

هي مراسم حلق الرأس في السنة الأولى أو الثالثة من عمر المولود.

---

(١) انظر: التعريف بالديانة الهندوسية ص٤١– ٤٥، والمعرفة الارشية ص٣٢٣–٣٤٢، ومنو سمرتي ٢٩/٢ وما بعدها، ومجلة دعوة الأردية، العدد الخاص بالمذاهب الهندية ص١٦٤–١٦٥.

(٢) راجع ص٦٠ من هذه الرسالة

د- أُبَنَيَاتَا

هي مراسم تأهيل الطفل لتعلم أسفار الويدات والكتب الأخرى، وترقيته إلى العلو الطبقي، وتقام فيما بين السنة الخامسة والسنة الرابعة والعشرين من عمر الولد(١). وتتلخص في إلباس خيط مفتول على إحدى الكتفين مرسلا إلى الخاصرة ثم إتيانه إلى حضرة المعلم البرهمي لتلقي الويدات. ويبقى هذا الخيط في كتفه طول حياته حيث هو رمز القداسة والعلو الطبقي، وبهذه المراسم يكتسب الولد ولادة معنوية إضافية ترفعه إلى القداسة الروحية وتؤهله للتعليم والتربية من قبل المعلم البرهمي وتدخله إلى البرهماجاريا أولى مراحل الحياة الأربع.(٢)

هـ- وِوَاهَا أي الزواج

هو مراسم الانتقال من المرحلة البرهماجارية إلى المرحلة الأسرية.(٣) ولهذا تجعل البرهمية للزواج مكانة عظيمة وتعتبره واجبا على من يقدر على ذلك.

وهناك ثمانية أنواع من الزواج يختار الرجل منها ما يليق به طبقيا. وهي:

١ - الزواج البرَاهِمِي وهو أن يختار الرجل لابنته برهمجاريا عالما بالويدات ويهبه إياها دون مقابل ويزينهما جميعا بأزياء خاصة ويعمل مراسم الزواج.

٢- الزواج الدِيوِي وهو أن يختار الرجل الراهب البرهمي الذي يعمل مراسم الياجات زوجا لابنته ويهبه إياها.

٣- الزواج الاِرْشِي وهو أن يزوج الرجل ابنته مقابل ثور وبقرة أو زوجين منهما ليعطيها أو ليعمل بها مراسم الياجا.

---

(١) انظر: منو سمرتي ٢/٣٦-٧٣

(٢) راجع ص ٧٢

(٣) راجع ص ٧٣

٤- البرَاجَابَتِي وهو أن يزوج ابنته لرجل ويأمرهما بالتزام الدين وحسن العشرة ليدل ذلك أنهما زوجان طول حياتهما.

٥- الزواج الآسرِي وهو أن يختار الرجل امرأته ويتزوجها مقابل ما يطلبه والدها من المال.

٦- جَانْتَرْوَا وهو الزواج الذي يتم بين الرجل والمرأة باختيارهما بعد أن تبادلا الحب.

٧- رَاكْشَسِي وهو استيلاء الرجل على امرأة بالقوة والبطش والانتصار على من يحاول مقاومته من أهلها بالضرب والجرح والقتل.

٨- بَيْشَاجِي وهو مباشرة الرجل المرأة حالة نومها أو زوال عقلها في مكان خال.

أفضل أنواع الزواج هي الأربعة الأولى والمواليد فيها أفضل الناس يكتسبون الخير والثروة والشهرة والقوة والجمال؛ أما الأربعة الأخيرة فهي سيئة ويكون المواليد فيها متصفين بالقسوة والكذب والكراهية للويدات والمراسم الدينية.(١)

---

(١) انظر: منو سمرتي ٣/٢١-٣٤

و – تشييع الميت

تقام للميت مراسم معينة وتحرق الجثة في موقد من خشب الصندل ويصب فيه السمن والكافور.

يعتقد البراهمة أن الروح المفارقة لجسدها تحاول العودة إليه لتتنعم بلذات العيش التي كانت تتنعم بها في الحياة، وإذا تلاءمت الروح بالجثة الميتة لا تقدر على التنعم الحسي لعدم وجود الحواس، فتصير ضارة، وتفاديا لهذا الضرر يحرق الجسد توا ويرمى ما تبقى منه من الرميم والرماد في المياه الجارية لتكون مباشرة الروح بالجسد مستحيلة.(١)

وقد كانت هناك عادة إحراق المرأة نفسها في موقد جثمان زوجها وهي حية فتجلس في الموقد واضعة رأسه على فخذيها ويحرقان جميعا، إظهارا لحبها ووفائها له وتسمى هذه العادة بـ"سَتِي" (Saty) وكانت مقدسة لدى بعضهم، وقد اختفت الآن نتيجة لجهود مصلحين منهم وتأثير الحضارات الأخرى فيهم .(٢)

---

(١) انظر: المعرفة الارشية ص٣٤٤-٣٤٦

(٢) انظر: الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية للشيخ أبي الحسن الندوي ص ٥٣، وDiscovery of India ص٣٨٣. راجع ص ٢٨٤

مراحل الحياة

تقسم البرهمية حياة الإنسان عدا الشودري إلى أربع مراحل تعرف بآشرمات (Ashrama) يختلف كل منها عن الآخر في الحقوق والواجبات والأخلاق والمعاملات. وهي:

أولا: برهمجاريا(Brahmacharya)

وهي مرحلة التربية والتعليم والتأديب، يدخل فيها الولد بما يقام له من مراسم تقليدية المسماة بأبنيانا فيما بين الثامنة والثانية عشرة من عمر الطفل؛ وتستمر إلى ما بين الرابعة والعشرين والرابعة والأربعين من عمر الرجل، وما بين السادسة عشرة والرابعة والعشرين من عمر المرأة. والذي يدخل في هذه المرحلة يسمى "برهماجاري"، ويجب على البرهماجاري أن يمرن نفسه على لزوم الصراط السوي، ويربيها على الأخلاق الحسنة، ويعرض عن الشهوات والرغبات الجسمية والنفسية، ويعودها على التزامات شاقة طوال هذه المرحلة؛ فلا ينبغي له أن يتناول الطعام أكثر من مرتين يوميا، ولا أن ينام النهار، ولا أن ينام الليل كثيرا، ولا أن ينام على الفراش أو السرير إلا على الأرض المجردة؛ ولا ينبغي له أن يسمع الغناء ولا أن يمزح في الكلام. ويجب عليه أن يستيقظ قبل الناشئة الأخيرة من الليل ليتطهر بالسواك والغسل ويولع في التحنث والتمرين الروحي والجسدي. وعليه أن يقيم مع المعلم يخدمه طوال فترة التعلم بكل احترام وتواضع مع تسخير عقله وجميع حواسه له ويكتسب رزقه عن طريق التسول ويقدمه بين يدي المعلم ويأكل منه إذا أذن له (١).

---

(١) انظر: منو سمرتي ، الكتاب الثاني

ثانيا: كرهستا (Grihasta)

هي المرحلة الأسرية يدخل الرجل فيها بعد خروجه من المرحلة البرهماجارية بإتمام الدراسة والتربية عند معلمه، ويقام للتخرج مراسم تسمى "سماورتا" (Samavartha)؛ ويدخل إلى هذه المرحلة بزواج مشروع ويكتسب الرزق بوظيفة مشروعة له نظاميا ويعيش مع زوجته تحت دائرة الأسرة. وبهذه المرحلة يسعى الرجل لتحقيق مقصدي المال واللذة الجنسية من المقاصد الأربعة(١) ويقوم بمسؤولياته الاجتماعية حيث يعتمد عليه رجال المراحل الأخرى. ولهذا تعتبر هذه المرحلة أفضل المراحل الأربع لحياة الإنسان .

ومما يجب على الرجل في هذه المرحلة تأدية واجباته نحو الدين فيقيم الياجات واليجنات ويحافظ على الشعائر التعبدية؛ كما يؤدي واجباته نحو أهله وأقربائه وضيوفه وسائر أعضاء المجتمع من إكرامهم وربط صلاتهم، وتقديم الرزق والتبرعات والقرابين للمرتادين من رجال الدين والبرهماجاريين والمتسولين وغيرهم.(٢)

---

(١) راجع ص٦٦

(٢) أنظر : منوسمرتي ، الكتاب الثالث

ثالثا: وانبرستها (Vanaprastha)

وهي المرحلة الثالثة يقضيها الرجل في الغابة مبتعدا عن جميع الملذات الأسرية؛ يدخل فيها بعد ما قضى حقوقه وواجباته نحو المجتمع والدين في المرحلة الأسرية وحينما يرى المشيب على رأسه والتكمش في جلده، أو حينما يولد له الأحفاد، فيترك جميع أمواله وأمتعته ويخرج إلى الغابة ليقيم فيها، وله أن يأخذ زوجته معه أو يتركها مع أبنائه.

وفي الغابة يتبتل للعبادة والنسك وترتيل الويدات، ويلتزم بآداب النسك من إرسال الشعر والأظفار وارتداء الملابس الرثة وغير ذلك، ويغتسل صباح مساء ولا يتغذى إلا بالأوراق والخضراوات والفواكه المحصولة من الغابة. ويجب عليه أن يتكلف بالشدة والتقشف في نسكه فيقف في الصيف تحت الشمس محاطا بالنيران في الجوانب، وفي الشتاء بلباس مبتل ، وعند المطر في مكان بارز تحته.(١)

رابعا: سنياسا (Sanyasa)

هي مرحلة التبتل المنقطع والتجرد الكامل من جميع العلاقات الدينية والدنيوية، يدخل الرجل فيها بعد ما أدى جميع واجباته نحو الدين والأسرة والمجتمع في المراحل السابقة، ولا مانع في الدخول إليها من المرحلة الأولى أو الثانية مباشرة، فيتجرد عن جميع التكاليف الدينية والدنيوية ويتوجه إلى الإله ليندمج فيه.

وينبغي عليه أن يعيش وحيدا في الغابة إلا أن له أن يجلب رزقه من القرية مرة واحدة في اليوم إذا اضطر إليه، وعليه أن يرتدي الملابس البالية وينام تحت الشجرة ويتجول في الآفاق دون أن يؤذي حيوانا ولا يكره عدوا ولا يرتكب ذنبا قولا أو فعلا، ويبالغ في تعذيب النفس وحرمانها من الرغبات حتى إذا جاءه الأجل في هذه الحال تيقن أنه فاز بالسعادة والالتحاق بالعالم البرهمي.(٢)

---

(١) المرجع السابق ٦/١-٣٣

(٢) المرجع السابق ٦/٣٤-٩٧، وقصة الحضارة ٣/٢٢٨-٢٢٩.

اليوجا أو وسائل التقديس

يستطيع الإنسان في نظر البرهمية أن يبلغ الكمال والرفعة والقداسة ويربط نفسه بالنفس الإلهية العظمى عن طريق تنمية جسده ونفسه بجميع قواه وحواسه الظاهرة والباطنة ، ويعرف "باليوجا" (Yoga).(١) ويحتوي عدة وسائل للتسلط على النفس والقلب والعقل والجسد والتغلب عليها. وهي خمسة مستويات:

١- جنانا يوجا (Jnana yoga) أي يوجا العلم ، وهو طريق التأمل والتعلم ، ينطلق من العقل لتصل به إلى مرتبة الحكمة والمعرفة.

٢- بهكتي يوجا (Bhakti yoga) أي يوجا الحب والعواطف، وهو طريق العبادة الدائمة والخدمة التي توجه جميع مشاعر الإنسان إلى الوجود الإلهي ، ويفتح قلب الإنسان على المحبة الكلية في الوجود.

٣- كرما يوجا (Karma yoga) أي يوجا العمل وهو طريق العمل وأداء الواجبات.

٤- هتا يوجا (Hata yoga) أي يوجا القوة الجسدية، وهو طريق تحريرالطاقة التي ائتمن عليها جسد الإنسان ويشتمل على تمرينات جسدية مستمرة تخص أعضاء الجسد كلا على حدة بغية السيطرة على الجسد والمحافظة على صحته وعدم تعرضه للأمراض.(٢)

٥- راجا يوجا (Raja yoga) وهو اليوجا الشامل يضم فروع اليوجا كلها ويؤلف بينها وتهدف إلى إيقاظ الوعي على مستوى الكيان كله مباشرة.

وقد جعل الحكيم البرهمي باتنجلي (يعتقد أنه عاش في القرن الثاني قبل الميلاد) لليوجا فلسفة خاصة تسمى يوجا درشنا،وجعل لها ثمانية مراحل تسمى "أشتانغا يوجا" (Ashtanga yoga) ووضع لها مجموعة من الأمور الأخلاقية والسلوكية يتبعها الإنسان لتحقيق رغبته في الاتحاد بينه وبين الإله . وهذه الأمور الأخلاقية يتخذها البرهميون وسائل لاجتذاب الناس إلى مبادئ الديانة البرهمية . والمراحل الثمانية هي :

١ - يما (Yama) أو ضبط النفس من الأمور المنهية ويشتمل على عشر نقاط: -

(ا) عدم العنف أو عدم إلحاق الأذى بالآخرين (ب) قول الحق (ج) عدم السرقة (د) برهما جريا أي العفة (ه)اللطف (و)التحمل (ز)الصبر (ح) العجلة (ط)الامتناع عن الأطعمة المثيرة (ي) النظافة .

٢ - نياما(Niyama)ويحتوي الأمور التي تجعل المرء في السعادة وهي عشرة أيضا :

(ا) ضبط الانفعالات (ب) القناعة والاكتفاء (ج) الإيمان (د) الصدقة ومساعدة الآخرين (ه) الصلاة والعبادة (و) الاستماع إلى الحكمة والعلم (ز) الحياء والندم (ح) الثبات في فعل الخير (ط) التأمل في مضمون الكتب الحكمية (ي) الصوم والتضحية .

---

(١) تعني كلمة "يوجا" الاتحاد وهي تشير إلى تحقيق الوحدة والتناغم بين الإنسان وبين الحضور الإلهي بقطبيه المحسوس وغير المحسوس (مجلة ثقافة الهند ٢٠١/٣٥ ص١٩)

(٢) يبين شري يوجندرا طرق هذه التمرينات وآثارها في صحة الأعضاء،راجع كتابه "اليوجا تطيل عمرك" ، تعريب محمد روحي بعلبكي .

٣ – آسنا (Asana) وهي طريقة الجلوس . وهناك أربع وثمانون طريقة للجلوس تهدف إلى تطوير وتنمية العمليات النفسية الجسدية لتركيز الطاقة الإلهية في الجسد. من أهمها ميوراسنا (Mayoorasana) (الجلوس على هيئة طاووس) وبتماسنا (Patmasana) (الجلوس على هيئة زهرة لوتس) وغيرهما.

٤ – براناياما (Pranayama) ، وهو تنظيم التنفس وضبطه . وطريقته أن يجلس المرء في مكان كثير الهواء متوجها إلى الشرق أو الشمال ، ويدخل الهواء إلى الجوف ويمسكه لوقت محدود ثم يطلقه إلى الخارج ، ويتكرر ذلك عشر مرات على الأقل ، ويؤدي إلى سيلان إيقاعي لطاقة الحياة في الجسد مما يساعد على تركيز العقل فيما بعد .

٥ – براتياهارا (Pratyahara) ، وهو طريقة السيطرة على الحواس وانسحابها من موضوعاتها مثل انسحاب السلحفاة إلى داخل بيتها .

٦ – دهيانا (Dhyana) وهو التأمل في الألوهية وتركيز النفس فيها ، وعندما يتحقق التركيز التام يتحقق الاستغراق الكامل .

٧ – دهارانا (Dharana) وهو التركيز العقلي الدائم في الأمور التي تجب معرفتها، وهو أول مراحل التأمل ويؤدي إلى الكمال عن طريق إخضاع "تتوا" أي العنصر الإلهي .

٨ – سمادهي (Samadhy) وهو الغيبوبة الروحية التي تندمج الروح الفردية بالروح الإلهية من خلالها .(١)

وتجدر الإشارة إلى أن اليوجا في ثوبه الرياضي أو الفلسفي ما هو إلا وسيلة لاجتذاب الناس إلى البرهمية مرورا بانسلاخهم من معتقداتهم ـ وخاصة المسلمين ـ بدعوى عدم العنف وحرية الدين .

ترتبط وسائل اليوجا بنظام الآشرمات (مراحل الحياة) والطبقات حيث يبلغ المرء غايته من خلال هذا النظام الذي تقسم البرهمية به حياة الفرد إلى أربع مراحل وتعين لكل منها أنواعا من الأخلاق والمعاملات ، كما تقسم كيان المجتمع أيضا إلى أربع طبقات رئيسة تتفاوت في المنزلة والوظائف والحقوق وتعين لكل طبقة منها أنواعا من السلوك الاجتماعي وتجعل لها نظاما خاصا يعرف بنظام الطبقات الأربع الذي اصطلح عليه في الديانة البرهمية بكلمة "جادورورنيا" (Chadurvarnya)، وقد كانت لهذا النظام أهمية بالغة في المجتمع البرهمي ومنهج سلوكه ومعاملاته حيث التزم بقوانينه أتباع البرهمية وطبقت فيهم من قبل الحكام والقضاة زمنا طويلا، ولا تزال مظاهر هذا النظام باقية إلى الآن رغم جهود الحكام غير الهندوسيين الذين حكموا الهند في العصور الأخيرة في القضاء عليه، ورغم تأثير الأديان والمذاهب الأخرى على المجتمع الهندي .

وسوف أتناول هذا النظام بالتفصيل في المباحث الآتية.

---

(١) انظر:التعريف بالديانة الهندوسية ص٧٩–٨١،والمعرفة الارشية ص٣٦٥–٣٨٠،معجم أمرا ، ص ١٣٣، مجلة ثقافة الهند٣٥ /٢،١ سنة ١٩٨٤م، ص١٧.

الفصل الثاني

الطبقية في الهند وأقسامها

المبحث الاول : نظام الطبقات في الهند

المطلب الاول : نشأة نظام الطبقات

المطلب الثاني : ظروف نشأة النظام الطبقي

المطلب الثالث : عوامل نشأة النظام الطبقي

الفصل الثاني
الطبقية في الهند وأقسامها

المبحث الأول
نظام الطبقات في الهند (١)

المطلب الأول : نشأة نظام الطبقات

كانت الهند القديمة مركز حضارة زاهرة وعمران راق أشادهما السكان الأصليون فيها آنذاك المسمون بـ"الدراوديين". وعرفت هذه الحضارة بحضارة وادي السند ، ظهرت آثارها في أعمال التنقيب التي جرت في قريتي موهنجودارو وهاربا بين عامي١٩٢٢و ١٩٢٧م.(٢)

وقبل ميلاد المسيح بعشرين قرنا تقريبا دخل الآريون إلى الهند عن طريق منافذها الشمالية واستطاعوا السيادة على الأراضي الشمالية بقوتهم وشجاعتهم ومهارتهم في الحرب والغلبة على السكان الأصليين والاستيلاء على أراضيهم السكنية والزراعية بحروب متتابعة طويلة، فاندمجت حضارتهم ومعتقداتهم بما عند السكان الأصليين وجعلوهم خدما وعبيدا لهم وسموهم "الدَاسَا" (Dasa) و"الدَسْيُو" (Dasyu) ليدل ذلك على معنى العبيد والخبثاء، كما سموا أنفسهم "الآري" بمعنى النسيب والأصيل لاعتقادهم أنهم أفضل الناس نسبا وعنصرا.

ووصف الآريون أعداءهم أعداء الآلهة أيضا لكونهم لم يعبدوا آلهة الآريين ولم يؤدوا شعائرهم الدينية وعاداتهم التقليدية، وكانت معتقداتهم وعاداتهم وعباداتهم مختلفة تماما عما كان عليه الآريون .(٣)

---

(١) المقصود من نظام الطبقات هو النظام المصطلح في الديانة البرهمية بكلمة "جادرورنيا" (chadur varnya) والذي يقسم أفراد المجتمع إلى أربع طبقات ويحدد لكل طبقة منها حقوقا ووظائف معينة بالنصوص الدينية المقدسة وكلمة جادر أو (تشادر) تعني أربعة وورنا تعني اللون أوالنوع أوالجنس أوالشكل ويدل التركيب على معنى نظام الطبقات الأربع (انظر: معجم أمرا ص٣٨٨، والدعوةالإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية هامش ص٣٣٠)

(٢) راجع ص ١٥ من هذه الرسالة

(٣) انظر: روح الهند لمؤلفه ك دامودران (في اللغة المليبارية) ص٢٢

ويقول أحد مؤرخي الهند القديمة:

"لما قدم الآريون إلى الهند اضطروا إلى داربة السكان الأصليين لأجل الأرض وسموهم (الدسيوس) أي العبيد، والآريون كانوا بيض الألوان؛ وأما الدسيوس فكانوا دكن الألوان وواسعي الأنف؛ وهم لم يعبدوا آلهة الآريين ولم يفهم الآريون لغتهم؛ وكانت لغة الآريين السنسكريتية؛ فلم يحسنوا إلى الدسيوس بعد غلبهم عليهم بل جعلوا أكثرهم عبيدا لهم، واستعملوهم في الأعمال الشاقة والرذيلة ومنعوا التزوج منهم والعكس."(١)

وتوجد في كتب البرهمية القديمة أخبار عديدة عن الحروب التي وقعت بين الآريين الغزاة والدراوديين – السكان الأصليين – لأجل طموحات الأولين في التسلط على الهند، ويشير رج ويدا - أقدم الكتب البرهمية - في أماكن كثيرة إلى أن الآريين اضطروا إلى مقاومة قوم أشد منهم قوة سموهم (داسا) و(دسيو) وأنهم استعانوا إلههم (اندرا) في إهلاك هؤلاء كما أن اندرا نفسه تحمل إخضاعهم للآريين.(٢)

هذا الاحتلال للأراضي الهندية الخصبة واستعباد سكانها الأصليين واعتقاد المحتلين أنهم أفضل نسبا وكرامة من سائر الناس أدى إلى تفرقة بين المتسلطين والمغلوبين حتى تطورت تدريجيا وصارت نظام حياة اجتماعية حكم جميع شؤون الحياة يميز بين طبقة وأخرى ويفرقها بين درجات من حيث المنزلة ومن حيث الوظائف والواجبات والامتيازات الطائفية ومن حيث القداسة والطهارة.

يقول جواهر لال نهرو :

"لقد تولدت من قدوم الآريين إلى الهند مشاكل سياسية وعنصرية جديدة، وكان للدراوديين – الأمة المغلوبة – تراث حضاري طويل، ومع ذلك اعتقد الآريون – بلا شك – أنهم أعلى منهم بكثير فأبعدت إياهم عن أولئك فجوة كبيرة؛ وكانت هناك أيضا قبائل بدائية سكنوا في الغابات أو تنقلوا غير مستقرين في مكان واحد، ومن خلال المنازعات والاحتكاكات بين هذه الأجناس تولد النظام الطبقي على شكل تدريجي أثر فيما بعد في الحياة الهندية عبر القرون المتتالية تأثيرا بالغا."(٣)

---

(١) روميلا تابر – Ancient India ص٣٤

(٢) انظر: رج ويدا ٢/١١/٤، ٢/١٣/٨، ٤/٢٥/٢، ١٠/١٤٨/٢، ٥/٣٤/٦.

(٣) Discovery of India (العثور على الهند) ترجمة مليبارية ص٩٠

ويقول أيضا:

"بدأ النظام الطبقي بتمييز قاطع بين الآريين وغيرهم من القبائل البدائية والقبائل الدراودية؛ وكان الآريون في أول الأمر أمة واحدة لا يمتاز بعضهم عن بعض؛ ثم رجع النظام الطبقي الذي كان يفرق بين الآريين وغيرهم على الآريين أنفسهم فنشأت فيهم طبقات على أساس طبائع الأعمال وخصائصها."(١)

وبعد ما صارت الأمة المغلوبة خدما وعبيدا للآريين واستقر النظام الطبقي في الحياة الاجتماعية صبغ رجال الدين هذه الظاهرة صبغة دينية وألبسوها لباس القداسة الإلهية وتمكنت في الكتب الدينية على أنها موضوعة من قبل الخالق وليست من صنع البشر؛ ووضعت أحكام دينية في مجالات الحياة تجعل المغلوبين أرذل الناس وتبعدهم عن مرافق الحياة بدعوى الدنس وعدم التماس، ووقع عليهم أسوأ معاملة من تعذيب وقهر وإبادة لم ير في تاريخ البشر مثله .

والنظام الطبقي في صورته الحالية، المسمى (جادرورنيا) والذي يقسم المجتمع إلى أربع طبقات بدأ يتطور في آخر عهد رج ويدا؛(٢) ونرى في معظم الكتب البرهمية القديمة جذوره؛ بدءا من رج ويدا أقدم وأهم الويدات الأربع حيث جاء فيه أن الطبقات الأربع للمجتمع نشأت من أربع أعضاء للإله، فيقول في صورة سؤال وجواب :

---

(١) المرجع السابق ص٩٠

(٢) انظر: Ancient history of India, L.P. Sharma (تاريخ الهند القديم لمؤلفه ل.ب. شرما)ص٤٠ وLife and culture in Ancient India, B.N.Lunia (الحياة والثقافة في الهند القديمة لمؤلفه ب. ن. لونيا) ص١٣٥

"لما قسم الآلهة "الرجل "(PURUSHA)(١)إلى كم جزء قسموه؟ ماذا كان وجهه؟ وماذا كانت يداه؟ وما فخذاه؟ وما قدماه؟ – وجهه البرَاهْمَنَا؛ ويداه الكْشَتِّرِيَا؛ والوَيْشِيَا هو فخذه؛ ونشأ الشُّوْدْرَا من قدميه."(٢)

وفي أتروَاويدا أخذ التمييز الطبقي يتبلور حيث جاء فيه أن إهانة البرهمي وسرقة ماله جريمة من الجرائم الكبيرة.(٣)

وجاء في جيتا قول الإله كرشنا إنه هو الذي خلق هذه الطبقات الأربع بين الناس حسب الرتبة والحرفة؛ كما جاء فيه بيان وظائف الطبقات الأربع وفقا لصفاتها الفطرية .(٤)

ثم قامت كتب الشرح للويدات من البراهمنات والبرانات وكتب الشرائع التي تعرف بسمرتي ودهرماشاسترات ببيان هذا النظام وتفسير أحكامه في شؤون الحياة؛ فنرى بيانه في وشنو برانا وأجني برانا وغيرهما من البرانات وشتبتا براهمنا وأيتريبا براهمنا وغيرهما من البراهمنات ومنو وياجناولكيا ووشنو وآبستمبا ووششتها وجوتما وبرهسبتي وناردا وغيرها من كتب سمرتي. (٥)

ومنو سمرتي هو الذي أصبح قانونا رسميا ومرجعا أساسيا في حياة البلاد ومدنيتها فيما بعد.(٦)

---

(١) المقصود من الرجل هو المسمى (وراد) (Virat Purush) الذي وجد قبل خلق الكون كله؛ وهو الصورة الالهية التي انبثق منها جميع الكائنات. وهو بهذا التصور صورة أخرى لبرهما الذي يقال انه هو الخالق لكل شيء. (أنظر: رجويدا ١٠/٩٠/١-٣)

(٢) رج ويدا ١٠/٩٠/١١-١٢

(٣) أتروَاويدا ١١/١٨-١٩

(٤) انظر: جيتا - ٤/١٣ و١٨/٤١-٤٤

(٥) راجع:Selected works of Dr. Ambedkar مختارات من مؤلفات الدكتور أمبيدكار،ترجمة مليبارية) ١/٢٣-٢٥

(٦) تقدم بيان عن هذا الكتاب في مبحث كتب الديانة البرهمية، راجع ص ٣٩

وساعدت عقيدة التناسخ وعقيدة الكرما في ترسيخ واستمرار النظام الطبقي في المجتمع الهندي حيث اقتنع كل إنسان – على ضوء هذه العقائد – بما قسم له من قبل الخالق من المنازل الاجتماعية والوظائف المعيشية؛ وخضع لها خضوعا تاما عن طيب النفس سواء أكانت خيرا أم شرا ليحظى بالثواب والسعادة ويرجع إلى الأرض في الحياة اللاحقة بحظ أوفر؛ ولهذا سارعت الطبقات السفلى إلى امتثال قوانين الطبقات وخدمة الطبقات العليا بجد وإخلاص وطيب خاطر؛ والطبقات العليا إلى تنفيذ هذه القوانين لمصالحهم الدينية والدنيوية حتى ترسخ نظام الطبقات واستولى على تركيب المجتمع بضراوته وقسوته لزمن طويل.(١)

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي:

"أما نظام الطبقات فلم يعرف في تاريخ أمة من الأمم نظام طبقي أشد قسوة وأعظم فصلا بين طبقة وطبقة وأشد استهانة بشرف الإنسان من النظام الذي اعترفت به الهند دينيا ومدنيا؛ وخضعت له آلافا من السنين ولا تزال. وقد بدت طلائع التفاوت الطبقي في آخر العهد الويدي بتأثير الحرف والصنائع وتوارثها وبحكم المحافظة على خصائص السلالة الآرية المحتلة ونجابتها."(٢)

وفي القرن السادس قبل الميلاد ظهرت الجينية والبوذية وقامتا بثورة على النفوذ الويدي ورهبانية طائفة البراهمة وسلطتها على المجتمع، وحاولتا تغيير بناء الحياة الاجتماعية على أساس الأخوة والعدل الاجتماعي، ولكن البرهمية استعادت قوتها بعد ضعفها وقاومت هذين المذهبين بأساليب قاسية مما أدى إلى انكماش نفوذهما وإعادة سيادة البرهمية والنظام الطبقي في المجتمع الهندي. (٣)

---

(١) انظر: الفلسفة الهندية (في اللغة المليبارية) لمؤلفه ك دامودران ص٨٨

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي ص٤٩

(٣) انظر: معالم تاريخ الانسانية، هـ.ج. ولز، ص٢٣٥

وحكم النظام الطبقي بعد ذلك جميع حياة المجتمع حتى بلغت الطبقية أوجها في القرن الثالث ق .م؛ ووضعت لها قوانين وأحكام مدونة أصبحت فيما بعد قوانين رسمية اعتمد عليها الملوك والحكام. وكان العصر الموري (Mouryan Age) والعصر الجبتي (Gupta Age) من أشهر تاريخ الهند القديم حكما وحضارة وازدهارا، حكم العصر الموري الهند من سنة ٣٢١ إلى سنة ١٨٤ ق. م، ألف في هذا العصر كتاب في النظم الاقتصادية اسمه "أَرْتَهَا شَاسْتَرَا" (Artha Sastra)(١) يعتبر إلى الآن مرجعا مهما يشيد بميزات النظام الطبقي. ويعد العصر الجبتي العصر الذهبي للهند القديمة؛ استمر من سنة ٢٧٥ إلى سنة ٥١٠ بعد الميلاد، وملوك هذا العصر تمسكوا بالنظام الطبقي وطبقوه بأوامر ملكية مع الشدة ومنعوا الطبقات الوضيعة عن جميع المرافق الحياتية حتى عن الطرق العامة.(٢)

ولما انتشر الإسلام في ربوع البلاد وقامت إتجاهات اصلاحية في الهندوسية نفسها ضد تقاليدها الجائرة توترت حدة النظام الطبقي وضعفت شدته تدريجيا؛ إلا أن مظاهرها لا تزال قائمة في جميع أنحاء الهند بشكل أو آخر بدرجات متفاوتة. وقامت في الآونة الأخيرة جماعات هندوسية متطرفة مثل بِهَارَاتِيَا جَنَاتَا (Bharatheeya Janatha Party) ورَاشْتِرِيَا سْوَيَامْ سِيوَاك سَنْكَه (Rashtreeya Swayam sevak Sankh) ووِشْوَا هِنْدُو بَرِيشَادْ (Viswa Hindu Parishad) وبهَجْرَانْجْ دَالْ (Bhajrang Dal) وغيرها (٣)، تنسب إلى الأصل الآري وتعتز بوراثتها للحضارة البرهمية القديمة وتسعى لإعلان هذا النظام القائم على التمييز الطبقي والتفرقة العنصرية والاحتكام إليه علنا.

---

(١) يرجع تاريخه إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، ألفه رجل برهمي اسمه كودليا (Koutilya) أو جانكيا (Chanakya)؛ كان رئيس الوزراء لجندراجبتا (Chandra gupta) أول ملوك الأسرة المورية.(انظر: India Life and Culture in Ancient ص٢٤٢)

(٢) انظر: History of Ancient India, R.S. Tripadi (تاريخ الهند القديمة، آر.اس. ترِبادي) ص٢٢٥

المطلب الثاني

ظروف نشأة النظام الطبقي

نشأ النظام الطبقي في ظروف حياة جديدة متولدة من قدوم الآريين إلى الهند قبل أربعين قرنا على وجه التقريب واستيلائهم على أراضيها وغلبتهم على سكانها الأصليين واستخدامهم في أعمالهم كما تقدم.

دخل الآريون إلى الهند رعاة متنقلين بأنعامهم من البقر والخيل والغنم التي هي من وسائل عيشهم، واضطروا إلى منازعة السكان الأصليين على الأراضي الغنية بالكلأ والماء ومحاربتهم؛ فاستطاعوا الغلبة عليهم والاستيلاء على أراضيهم في البنجاب شمال الهند نتيجة لشجاعتهم ومهارتهم في الحرب؛ ثم انتقلوا تدريجيا إلى منطقة شمال دلهي على شاطيء نهر يسمى سَرَاسْوَتِي (Saraswathy) طلبا للأراضي الزراعية كما استطاعوا توسيع الأراضي الزراعية بإزالة الغابات وتسوية الأراضي باختراع الحديد واستخدام الفؤوس والمعاول والأدوات الأخرى حتى استقروا في وادي نهر الجنج شمالا بعد زمن طويل. (١)

وبعد أن استقروا في شواطيء الجنج وتحولوا من رعي الأنعام إلى زراعة الأرض في المناطق القروية بدأوا يأتلفون في القرى حيث ينظم معظم أفراد كل قبيلة في قرية واحدة أو عدد من القرى المتجاورة ويسمون أفرادها باسم (وش) يحكمهم رئيس أو ملك مهمته رعاية القبيلة وحمايتها، يختار لشجاعته وقوته؛ ويساعده مجلس قبلي ومجموعة من الجنود.

وسكن أفراد الأمة المغلوبة في أماكن بعيدة عن مساكن الآريين من القرية يخدمونهم وينشغلون في أعمال أخرى، وفرق بين القومين من حيث لا يمكنهم الاختلاط والتزاوج حتى انقسموا على أساس اللون والعنصر والسيادة إلى فرقتين: فرقة الآريين الغالبين بيض الجلود وطوال الأنوف ، وفرقة غير الآريين المغلوبين من الدراوديين والقبائل البدائية ذوي ألوان سود وأنوف واسعة.(٢)

---

(١) انظر: Ancient India, Romila Thapar ص٣٣

(٢) المصدر السابق ص٣٤-٣٥، وقصة الحضارة ٢١/٣، وحضارات الهند لغوستاف لوبون ص٢٥٨-٢٦٠

ولما حل السلم محل الحرب وتطورت الحياة بعد استقرارها زمنا طويلا وتوزع الناس في أعمال حياتية مختلفة مثل الزراعة والصناعة والأعمال اليدوية وغيرها، واستخدمت الأمة المغلوبة في خدمة الأمة الغالبة في أعمالهم بدأت طلائع الطبقات تظهر تدريجيا نظرا لأوصاف الناس وخصائصهم وانشغالهم في أعمال مختلفة؛ فتفرق الآريون أنفسهم إلى ثلاثة أصناف: الصنف الأول تألف من الحاكم وجنوده وأعوانه وسمي بـ(الكشترية) وكان أقوى سلطانا ونفوذا من غيره؛ والصنف الثاني ضم المفكرين والكهنة ورجال الدين ومجلس الحاكم الذين اعتبروا حفاظا لمباديء الدولة وهداة لسياستها وسمي (البرهمية) ونشأ الصنف الثالث المسمى (ويشيا) من مجموعة المزارعين والتجار والبنائين. ونشأ من الدراوديين والقبائل البدائية ومن خالطهم وتزوج منهم من الآريين صنف رابع وسمي (الشودرا).(١)

وتطورت أصناف الناس مع مر السنين إلى طبقات اجتماعية وأصبحت الأعمال موزعة حسب الولادة والوراثة بدلا عن تعيين الطبقات حسب الأعمال، فالذي ولد للبرهمي اعتبر برهميا وعمل أعمال أبيه؛ والذي ولد للكشتري اعتبر كشتريا وزاول عمل أبيه؛ والذي ولد للويشي اعتبر ويشيا وعمل أعمال والده؛ دون أن ينصرف إلى أعمال أخرى، فتحددت الفروق الطبقية بوضوح وجلاء كما تعينت مراتب الطبقات ومنازلها وامتيازاتها في المجتمع وترسخت فيه حين انتقال العصر الويدي إلى عصر البطولة الذي ألفت فيه الملاحم مثل مهابهارتا وراماينا، والذي يعتبر من القرن العاشر إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وذلك بعد قدوم الآريين إلى الهند بألف عام تقريبا.(٢)

ويقول المؤرخ هـ.ج.ولز:

"ولربما كانت الحقيقة أن ظروف الحياة المتسقة التي لا تتغير في حوض نهر الكنج خلال قرون طويلة قد ساعدت على رسوخ فوارق في الطبقات لم يكن لها مثل هذا الرسوخ في الظروف الأكثر تنوعا وتغيرا ظروف العالم الغربي الأوسع رقعة وأعظم شأنا".(٣)

---

(١) انظر: Discovery of India ص٩١ Ancient India ص٣٩

(٢) انظر: الفلسفة الهندية، ك. دامودران ص٧٦، وقصة الحضارة ٢٢/٣

(٣) معالم تاريخ الانسانية ٢٣٥/١

ولما صارت زعامة المجتمع في يد البراهمة وتقوى نفوذهم بعد ما استقرت الحياة السلمية وازدادت الديانة وطقوسها أهمية اجتماعية واحتاج الناس بجميع أصنافهم إلى رجال الدين الذين يتوسطون بينهم وبين الآلهة تبنى البراهمة بخلق أحكام وقوانين لتقرير الفروق الاجتماعية والتمييز الطبقي وأدخلوها في الكتب الدينية. فظهر أول اشارة إلى النظام الطبقي في آخر رج ويدا حيث ورد فيه أن الإله الخالق خلق الطبقات الأربع من مختلف أعضائه – البراهمنا من وجهه، والكشتريا من سواعده، والويشيا من أفخاذه، والشودرا من أرجله.(١) ولما انتقل العهد إلى أترواويدا تقررت امتيازات الطبقات وخصائصها حيث ورد فيه أن اهانة البرهمي وسرقة ماله جريمة من الكبائر،(٢) وجاء بيان النظام الطبقي بعد ذلك في الأبنشادات وكتب الشرائع وغيرها حتى استقر النظام الطبقي استقرارا كاملا وتمكن من المجتمع الهندي كنظام مقدس يطبق في جميع مجالات الحياة دون تقصير ليحظى المجتمع بالسعادة في الحياة الدنيا وما بعدها.

---

(١) انظر: رج ويدا ١٠/٩٠/١١-١٢

(٢) انظر: أتروا ويدا ١٠/١٨-١٩

المطلب الثالث

عوامل نشأة النظام الطبقي

تسبب في نشأة النظام الطبقي في المجتمع الهندي بعد قدوم الآريين إلى الهند أمور كثيرة سياسية واقتصادية ودينية وعنصرية وغيرها.

وذلك أن الآريين اعتقدوا أنهم أعلى من غيرهم عنصرا ودينا فحاولوا قهر الشعوب الأخرى واستعبادها لخدمتهم ووضعوا أحكاما وقوانين تميز بين مختلف الأجناس؛ تطورت فيما بعد إلى نظام حياة يحكم جميع شؤون الحياة.(١)

ويمكننا أن نلخص العوامل التي أدت إلى قيام النظام الطبقي إلى ثلاثة عوامل رئيسة.

١ - تأثير الدين والتقاليد وتمسك طائفة رجال الدين زمامهما.

٢- الحفاظ على سلامة اللون والجنس الآري دون أن يندمج في الأجناس الهندية الأخرى التي بدأ يتصل بها.

٣ - تأثير الحرف والمهن التي مارسها مختلف أصناف الناس في العهد الويدي .

وهاك شرحا موجزا عن هذه العوامل فيما يلي:

---

(١) راجع ص٧٩

(الأول) تأثير الدين البرهمي وتقاليده

لقد أثرت الأمور الاعتقادية والتقليدية في نشأة النظام الطبقي وترسخه في المجتمع الهندي. وذلك أن الآريين حينما قدموا إلى الهند وجدوا أعداءهم مختلفين عنهم تماما من حيث اللغات والاعتقادات والتقاليد والعادات وغيرها، وكان الآريون يتكلمون اللغة السنسكريتية ولم يفهموا لغة سكان الهند، وكانوا يعبدون آلهة شتى لم يعبدها أولئك فلم يعظموا شعائرهم، فوصف الآريون أعداءهم بأعداء الآلهة أيضا لكونهم لم يعبدوا آلهتهم ولم يؤدوا شعائرهم الدينية وعاداتهم التقليدية. وأصبحت هذه الاختلافات والفروق بين الآريين والأمة المغلوبة عاملا للتفرقة بين الأمتين من حيث الحقوق والمنزلة الدينية.

وتوجد في رج ويدا وأترو ويدا إشارات في أماكن كثيرة أن الآريين استعانوا بآلهتهم – وخاصة بالاله اندرا – للانتصار على أعدائهم.(١)

وبعد أن انقسم الناس على مر العصور إلى طوائف حسب الأعمال والوظائف وازدادت الديانة أهمية اجتماعية وتطلبت الأمم إلى وسطاء دينيين بينهم وبين آلهتهم استطاعت طبقة البراهمة – وهم رجال الدين وعلماؤه – الوصول إلى رئاسة المجتمع وصار التشريع والتنفيذ بأيديهم فبدءوا يضعون أحكاما وقوانين دينية تضمن لهم السيادة الاجتماعية والامتيازات الطبقية؛ وتميز الطبقات الأخرى عنهم وترتبها على درجات في المجتمع، وتجعل كل ذلك حسب الولادة والوراثة؛(٢) ثم فصلت كتب الشرائع هذه القوانين حتى وصل التمييز الطبقي إلى جميع شؤون الحياة، واستقر في نفوس الناس وأصبح نظاما شرعيا له قداسته وكرامته، فلا يجرؤ أحد على انتهاكه، وطبقه جميع أفراد المجتمع بكل جد وإخلاص .

---

(١) انظر: Sudras in Ancient India, R.S.Sharma (الشودرا في الهند القديمة لمؤلفه آر. اس. شرما) ص١٠-١١

(٢) انظر: تلخيص لمنو سمرتي، مقدمة ص١٠

(الثاني) الحفاظ على سلامة الجنس واللون

كان من أهم عوامل نشأة الطبقات المحافظة على سلامة الجنس الآري من الاندماج في الأجناس الهندية الأخرى. وكان الآريون يعتقدون اعتقادا جازما بعلو جنسهم وسلالتهم على من سواهم، ولذلك سموا أنفسهم الآريين ويعنون بها الأشراف؛ وحاولوا الاحتفاظ بعلو جنسهم وبألوانهم فمنعوا التزاوج بينهم وبين السكان الأصليين ذوي الألوان الغامضة؛ الذين كانوا يعيشون في البوادي والقرى. ولما غلب عليهم الآريون ساقوهم إلى الأماكن البعيدة ، وكان ذلك أول تقسيم بين الناس فصاروا فريقين على أساس الجنس واللون: ذوو البشرة البيضاء والعلو العرقي وذوو البشرة السوداء ودناءة الجنس؛ ثم بدأ هذا التقسيم بين الآريين أنفسهم إلى أن تطور في آخر العهد الويدي إلى نظام يقسم الناس إلى أربع طبقات كما هو في صورته الحالية.(١)

ووردت إشارات في بعض الكتب البرهمية تفيد أن تفرقة الناس كانت على أساس اللون والجنس حيث ورد في وشنو برانا أن البرهمي أسمر اللون والكشتري أحمر والويشي أصفر والشودري أسود،(٢) كما ورد في مهابهارتا أن البراهما خلق طبقات الناس الأربع وسائر الحيوانات وجعل لون البرهمي أبيض، والكشتري أحمر، والويشي أصفر، والشودري أسود.(٣)

وإلى هذا يشير أيضا اللفظ المصطلح للطبقات في الكتب البرهمية وهو الورنات بمعنى الألوان أو الأجناس. (٤)

والخلاصة ان النظام الطبقي في الهند أول ما نشأ على أساس الجنس منذ التقاء الآريين بالسكان الأصليين، ومنعهم الاختلاط بهم والتزاوج معهم وحافظوا على السلالة الآرية البيضاء وساقوا غيرهم إلى الغابات والجبال أو أخذوهم أسرى وعبيدا وسموهم أمة العبيد.(٥)

---

(١) انظر: Life and culture in ancient India ص١٣٧، وقصة الحضارة ٢٢/٣، وحضارات الهند لغوستاف لوبون ص٢٩١

(٢) انظر: معجم أمراكوشم (في اللغة المليبارية) ص٥٠٩

(٣) انظر: مهابهارتا ٤/١٨١/١٢

(٤) راجع مبحث نظام الطبقات – هامش ص ٧٨

(٥) انظر: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص٣٢٩

(الثالث) تأثير الحرف والصنائع

كانت الحرف والصنائع التي تمارسها الطوائف المختلفة أحد عوامل نشأة النظام الطبقي في الهند. وقد تقدم أن الآريين لما قدموا إلى الهند اضطروا إلى مقاومة قوم كانوا أشد منهم قوة فخاضوا معهم حروبا طويلة.

وكان كل من يرى في نفسه القوة البدنية والمهارة الحربية يتبع رئيسه في الحرب مع الأعداء ويستقر قريبا منه في السلم. ولما استقرت الحياة وحل السلم محل الحرب تفرغ قوم من الذين يتنعمون بالقوة البدنية والشجاعة والمهارة الحربية لسياسة الدولة وحراستها والدفاع عنها عند الحاجة؛ وكانوا غالبا أقرباء الحاكم وأحباءه وحراسه وسائر خواص الدولة. ثم تشكلت منهم طبقة تمتاز بحقوق ووظائف محددة.

ورغب الناس إلى تأدية الشعائر والأمور الدينية وتعلم الأسفار الويدية فاحتاجوا إلى رجال يقومون لهم بذلك؛ فتفرغ لذلك مجموعة من الآريين الذين يعلمون الأسفار ويعملون الشعائر؛ فأصبحوا تدريجيا طبقة خاصة تمتعت بحقوق وامتيازات عديدة فيما بعد، وسموا بالبراهمة.

أما بقية الناس من الآريين فانشغلوا بأعمالهم من الزراعة ورعي الأنعام والتجارة والأعمال الأخرى حيث كانوا أصلا أمة زراعية. فهؤلاء العوام الذين اشتغلوا في رعي الأنعام وزراعة الأرض والتجارة أصبحوا فيما بعد طبقة خاصة وسموا بالويشية.

وتكونت طبقة الشودرا في البدء من الأمة المغلوبة حيث استخدمهم الآريون وحملوهم الأعمال الشاقة، ثم ألحق بهذه الطبقة من ليس عنده معرفة علمية أو مقدرة جسمية ممن اختلطوا بأمة العبيد، وأفراد القبائل الأخرى؛ وصارت وظيفتهم بعد تطور النظام الطبقي خدمة الطبقات العليا دون منازعة؛ وصارت منزلتهم في الدرجة السفلى من سلم المجتمع.(١)

---

(١) انظر: Life and culture in ancient India ص١٣٨-١٣٩ و Discovry of india ص٩١ و Ancient India ص٣٩-٤٠

ثم أصبح تقسيم الأعمال والوظائف والمكانة الاجتماعية حسب الولادة والوراثة حيث يرث الولد طبقة أبيه ومكانته ووظيفته،(١) وقررت الكتب الدينية هذا النظام وجعله نظاما شرعيا يطبق في جميع مجالات الحياة.

جاء في جيتا:

"يجب على كل فرد ممارسة عمل طبقته الأصلي ولو لم يكن فيه الخير، فهو أفضل له من أعمال الطبقات الأخرى ولو أتقنها، لأنه لا يقع الاثم على من يعمل عمله الأصلي أبدا".(٢)

كما جاء فيه أيضا أن الأعمال عينت لجميع الطبقات حسب الطبيعة والأوصاف لكل منها .(٣)

---

(١) انظر: قصة الحضارة ٢٢/٣؛ والفلسفة الهندية ص٧٦

(٢) جيتا ٤٧/١٨

(٣) المرجع السابق ٤١/١٨

المبحث الثاني : طبقات المجتمع الأصلية والفرعية

المطلب الاول : طبقة البراهمنا

المطلب الثاني : طبقة الكشتريا

المطلب الثالث : طبقة الويشيا

المطلب الرابع : طبقة الشودرا

المطلب الخامس : طبقات فرعية

المبحث الثاني

طبقات المجتمع الأصلية والفرعية

تقرر الديانة البرهمية أن البشر ليسوا سواء في الخلق والكرامة والوظائف والحقوق بل ينقسمون إلى أربع طبقات يميز بينها من حيث مكانتها وكرامتها في المجتمع وامتيازاتها في مجالات الحياة؛ وما هذا التقسيم إلا من قبل الإله الخالق؛ قسمهم عندما خلقهم من أعضائه المختلفة وجعل لكل منهم أعمالا ووظائف معينة ينبغي عليهم ممارستها لكون مصلحة العالم تتوقف على ذلك.

ونجد هذا التقرير في معظم كتب البرهمية الدينية من الويدات وملحقاتها وكتب الشرائع يذكر رج ويدا ـ وهو أقدم كتب الويدات أن الإله خلق البراهمنا من وجهه وراجنيا – هو الكشتريا – من سواعده والويشيا من أفخاذه والشودرا من أرجله .(١)

وجاء في آبستمبا ووسستها أن الطبقات أربع، هي البرهمية والكشترية والويشية والشودرا، وتسمى البراهمنا والكشتريا والويشيا بدوِيجَا (Dwija) يعني المولود مرتين؛ الولادة الأولى من الأم والولادة الثانية من مراسم لبس الخيط؛ والأولى من الطبقات أفضل من التالية.(٢)

وجاء في منو سمرتي:"إن القادر المطلق ـ برهما ـ قد خلق لمصلحة العالم البراهمنا من وجهه والكشتريا من سواعده والويشيا من أفخاذه والشودرا من أقدامه ووزع لهم فرائض وواجبات لصلاح العالم؛ فعلى البرهمي تعليم الويدا وتقديم النذور للآلهة وتعاطي الصدقات، وعلى الكشتري حراسة الناس والتصدق وتقديم النذور ودراسة الويدا والعزوف عن الشهوات وعلى الويشي رعي السائمة والقيام بخدمتها وتلاوة الويدا والتجارة والزراعة، وليس للشودري إلا خدمة هذه الطبقات"(٣)

فالطبقات التي تقررها البرهمية للمجتمع هي:

١- طبقة البراهمنا ٢- طبقة الكشتريا

٣- طبقة الويشيا ٤- طبقة الشودرا

وإليك بيانا لهذه الطبقات ووظائفها ومكانتها حسب تقرير الكتب البرهمية.

---

(١) رج ويدا ١٠/٩٠/١١-١٢، وانظر: تيتريبا سمهتا ٤/١/١/٧، وشتبتا براهمنا ٢٣/٢/٤/١٤

(٢) انظر: آبستمبا دهرماسوترا ٦/١/١/١، ووسستها دهرماسوترا ٢/١-٤

(٣) منوسمرتي ٧٨/١-٩١ (نقلا عن : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للشيخ أبي الحسن الندوي ص ٥٠ مع تصرف في بعض الكلمات)

المطلب الأول

طبقة البراهمنا (Brahmana)

طبقة البراهمنا أو البرهمية هي أعلى طبقات المجتمع تتمتع بأكرم مكانة وأوفر حظ من الامتيازات والحقوق، وتقوم بأعلى الوظائف؛ فهم رجال الدين والكهنة والرهبان الذين يقومون بتعلم الكتب الدينية وتعليمها وتفسيرها، وإقامة الشعائر الدينية وقبول الصدقات والهدايا، ولهم حق تشريع الأخلاق والعادات والحكم في قضايا الناس وتنفيذ هذه الأحكام بوساطة الحاكم؛ فاتخذوا أحكاما دينية تضمن لهم السيادة والامتيازات على سائر الطبقات في جميع مجالات الحياة.

يقول عالم هندوسي في مقدمة تلخيصه لمنو سمرتي:

"يعطي هذا الكتاب المؤلف في عصر نفوذ البراهمة وسلطانهم رخصا كثيرة لهم، وليست عليهم إلا عقوبات يسيرة للجرائم عندما تكون على غيرهم عقوبات قاسية للجرائم نفسها، ويكرر أن كل شيء من عند البراهمة، ولا غرابة فيه إذ إن الحكام في أمريكا وأفريقيا حتى في العصر الحاضر يشرعون قوانين تعطي لطوائفهم رخصا خاصة لهم"(١)

وذلك لاعتقادهم أن الإله الخالق خلقهم من وجهه الذي هو أكرم الأعضاء وأطهرها وعين لهم وظائفهم من تعليم أسفار الويدات وإقامة الياجات وقبول الصدقات وجعل لهم حق إرشاد الناس والتشريع لهم فصاروا أفضل البشر جميعا وصفوة الإله بل الآلهة في الأرض - ولو كانوا جهلاء يعملون المنكرات - ، وهم الذين يحملون أسفار الويدات ويعلمون الدين سائر الطبقات، ويحافظون على كنز الدين لجميع الكائنات كما يحافظ الملك على جميع رعاياه.(٢)

---

(١) جوبناتن ناير، تلخيص لمنو سمرتي ص١٣

(٢) انظر:منو سمرتي ١/٩٢-٩٩، و٩/٣١٢-٣١٩، و١١/٨٤ ، وجيتا ١٨/٤٢

والقوانين التي اتخذها البراهمة تعطيهم الحق في تعيين واجبات الطبقات الأخرى وأساليب معاملاتها اللائقة بها، وتوجب على الطبقات امتثال أوامر البراهمة كما توجب على الحاكم تنفيذها بسلطته، والحاكم متسلط على جميع الطبقات إلا طبقة البراهمة فانها لا تدخل تحت امرته؛ ويشكل منهم مجلس قضاء لينظروا في المسائل والقضايا حسب ترتيب الطبقات. ولا يستشهد البرهمي إذا لم يكن المشتكي برهميا.(١)

ويراعي الحاكم بحكمه مصالح البراهمة ويفضل سعادتهم على سعادة غيرهم، فلا ينبغي له أن يجبي من البرهمي العالم جباية أو إتاوة حتى في أشد حالات الاضطرار والفاقة؛ ولا ينبغي له أن يموت برهمي في بلاده جوعا أو يشكو من عدم القوت.(٢) فيجب عليه أن يعين للبراهمة المحرومين من الرزق ما يكفيهم للعيش من خزانة الملك، وأن يتصدق عليهم من الذهب والنقود والبقر وغيرها من الأموال حيث لا يليق لبرهمي أن يشتكي إلى الحاكم مما يعانيه،(٣) ويوزع عليهم أموال الغرامات والكفارات التي تؤخذ من مرتكبي الذنوب، وكذا يعين للمتعلمين البراهمة رواتب من خزانة الدولة، ويقسم الحاكم أموال البرهمي الميت حالة عدم وجود الوارث بين البراهمة في حين أنه يأخذه من سائر الطبقات؛ وإن وجد الحاكم ركزة يوزع نصفها بين البراهمة، ولا يجب على البرهمي إذا وجد ركزة أن يدفع إلى الحاكم شيئا منها.(٤)

ولا يجوز قتل البرهمي حتى وان ارتكب جريمة قتل؛ لأن جسم البرهمي مقدس وقتله والاعتداء عليه وضربه واراقة دمه وتهديده وسبه ونحو ذلك جريمة كبيرة يوجب جزاء رادعا يضاعف كل ما انحطت رتبة طبقة الجاني. أما اذا ارتكب البرهمي جناية فان جزاءه أقل من سائر الطبقات.(٥)

---

(١) انظر: منو سمرتي ٧/٣٧-٣٩،و٥٨-٦٠،و٨/٢٤،و٩/٣١٩

(٢) المصدر السابق ٧/١٣٣

(٣) المصدر السابق ٩/٢٤٤،و١١/٢٢

(٤) المصدر السابق ٨/٣٧،٣٨،و٩/١٨٧-١٨٩

(٥) المصدر السابق ٨/١٢٣،١٢٤

ويفوق البرهمي على الكشتري في المنزلة الاجتماعية من حيث أن البرهمي الذي هو في العاشرة من عمره يفوق الكشتري الذي يناهز المائة كما يفوق الوالد ولده.(١)

وأما علاقته مع الشودري فهي علاقة السيد مع عبده، له أن يستخدمه لأي عمل في أي وقت شاء، وله أن يأخذ من ماله ما شاء حيث كل ما يملك العبد لسيده. وإذا سرق الشودري شيئا من مال البرهمي يقتله الحاكم بتقطيع أعضائه.(٢)

وقد استطاعت طبقة البراهمة الحفاظ على سيادتها وزعامتها ونفوذها على المجتمع بدعم من الدين البرهمي وحكمه ولا تزال تحتل المكانة الأولى في المجتمع الهندي وتسيطر عليه رغم قلة أفرادها.

---

(١) المصدر السابق ١٣٥/٢

(٢) المصدر السابق ٤١٠/٨-٤١٨،٢٤٨/٩.

المطلب الثاني

طبقة الكشتريا (Kshatrya)

هي طبقة المحاربين والأشراف الذين يتعاطون الإدارة والسياسة ويساهمون في المعارك، ومنهم يختار الملك الذي يحكم البلاد ويرعى الناس ويحافظ على النظام الطبقي(١) ويختار الملك من طبقة البراهمة وزراءه ومستشاريه وقضاته ليستعين بهم في سياسة البلاد.

وكانت لطبقة الكشتريا المكانة الأولى في المجتمع الآري عند بداية نشأة الطبقات حيث كانوا غالبا جنودا وأمراء وأقرباء الحاكم وأحباءه وحراسه وخواص الدولة وغيرهم الذين لهم السيادة والنفوذ السياسي؛ ثم نازعتهم طبقة البراهمة في ذلك عندما استقرت الحياة الاجتماعية وازدادت الديانة وطقوسها أهمية واحتراما في نفوس الناس؛ فاستطاع البراهمة أن يتقدموا على الكشتريين ويحتلوا المرتبة الأولى في المجتمع وصاروا محل الاحترام والامتيازات الخاصة.(٢)

ومع ذلك كان هناك تعاون بين الطبقتين في رعاية المجتمع وسياسة الدولة حيث يختار الملك من طبقة البراهمة كهنة ومستشارين يرافقونه في تنقلاته يتلون الصلوات ويتممون أعمال الرقى والشعائر ليضمن للملك النصر والنجاح في الأعمال؛ ويستعين الكشتريون بهم في أعمال الياجات (الذبائح) العظيمة التي يسيطرون بها على الممالك المجاورة ويعززون بها سطوتهم عليها.(٣)

---

(١) انظر: مهابهارتا، شانتي بروا ١٣٠/٥٧

(٢) انظر: Life and Culture in Ancient India ص١٣٨، وقصة الحضارة ٢١/٣

(٣) انظر: تاريخ الحضارات العام، تأليف - أندريه ايمار وجانين أوبوايه، ترجمة فريد م داغر وفؤاد ج أبو ريحان ٥٦١/١

وتبين الكتب البرهمية أن الإله الخالق خلق الكشتريا – ويسمى "رَاجَنْيَا (Rajanya)" أيضا – من سواعده التي هي رمز القوة والبطش؛(١) وعين له وظائفه من حراسة الناس وتعلم الويدات والتصدق وتقديم النذور والعزوف عن الشهوات (٢) وجعل أعماله المعيشية في رعاية البلاد وحمايتها من العدو بالسلاح والحرب؛(٣) وجعل من صفاتهم الفطرية الشهامة والقوة والعزة والثبات والشجاعة والسطوة وعدم التولي من الحرب والتصدق بالمال.(٤)

وتحتل طبقة الكشترية – حسب النظام الطبقي – المرتبة الثانية في المجتمع ومنزلتها دون البرهمية بكثير حيث يفوق برهمي في السنة العاشرة كشتريا يناهز المائة ويعتبران كالوالد والولد.(٥)

---

(١) انظر: رج ويدا ١٠ /٩٠/١١-١٢، ومنو سمرتي ٣١/١،٨٧

(٢) انظر: منو سمرتي ٨٩/١

(٣) المرجع السابق ٧٩/١٠

(٤) انظر: جيتا ٤٣/١٨

(٥) انظر: منو سمرتي ١٣٥/٢

المطلب الثالث

طبقة الويشيا (Vishya)

هي الطبقة الثالثة من طبقات المجتمع تركبت من عامة الآريين الذين جاءوا إلى الهند وقاموا بأعمال الزراعة والتجارة ورعي المواشي وغيرها من الأعمال المعيشية؛ ولم يتمتعوا بقدرة عقلية وعلمية عالية كالبراهمة ولا بقدرة جسمية ونفسية كالكشترية.

وحسب اعتقاد البرهمية نشأت طبقة الويشيا من أفخاذ الإله الخالق وعين لها الخالق الزراعة والتجارة ورعاية البقر أعمالها المعيشية حيث هي التي تلائم صفاتها الفطرية، ويكتسب الويشي احترام المجتمع بالمال والثروة.(١)

ويوجب النظام على الويشيين معرفة أسعار البضائع وتغيراتها التي تعتري الملابس والمعادن والأحجار الثمينة وغيرها، ومعرفة صفات الأراضي، وطرق الزراعة وأساليبها ومقاييس الكيل والوزن وربح التجارة وخسارتها، ومحاسن البضائع ومساوئها، ومعرفة رواتب الرعاة وما إلى ذلك كما ينبغي لهم معرفة لغات الشعوب المختلفة.

ومن واجباتهم أيضا بذل الجهود في تنمية الأموال بالبيع والشراء وإطعام جميع الحيوانات .(٢)

أما من ناحية المنزلة والحقوق فان طبقة الويشية تحتل المرتبة الثالثة في تركيب المجتمع فلا يتمتع الويشي بامتيازات البرهمي ولا الكشتري بل حقوقه أقل بكثير بالنسبة اليهما، إلا أنه يفوق الشودري دينيا واجتماعيا فله الولادة الثانية التي يحصل عليها بشعائر "أبنيانا" وترفعه من درجة الخساسة وتؤهله لتعلم الكتب المقدسة وعمل الشعائر التعبدية خلافا للشودري الذي يولد عبدا وخادما للطبقات العليا. وللويشي حقوق وامتيازات كثيرة على الشودري في القوانين المدنية أيضا.

---

(١)انظر: منو سمرتي ٨٧/١-٩١ و١٥٥/٢، وجيتا ٤٤/١٨

(٢)انظر: منو سمرتي ٣٢٥/٩-٣٣٢

المطلب الرابع

طبقة الشودرا (Sudra)

هي الطبقة الأخيرة التي تدخل في نطاق النظام الطبقي للبرهمية، تركبت من أحفاد السكان الأصليين في الهند وقت زحف الآريين إليها فغلبوا عليهم بحروب طويلة وجعلوهم عبيدا وخدما لهم؛ وأضيف إليهم الأفراد الذين حكم عليهم لعدم تسديدهم ديونهم، والأفراد الذين أبدلت عقوبتهم بالرق، وأسرى الحرب حتى رجال تخلوا بملء إرادتهم عن حقوق طبقتهم واعتبروا أنفسهم عبيدا رغبة في التكفير أو قهر النفس.(١)

من المؤرخين من يرى أن طبقة الشودرا كانت من الآريين أنفسهم وكان يطلق عليهم الويشيين عامة؛ فنشأت منهم طبقة رجال الدين والكهنة وطبقة الملوك ورجال السياسة وارتفعتا إلى الرياسة والسيادة بالقوة والثروة والامتيازات الخاصة على عامة الناس الذين بقوا في الزراعة والتجارة وغيرهما من الأعمال؛ ثم ظهرت منهم طبقة الفقراء تدنت أوضاعهم سوء حتى تطورت وعرفت فيما بعد بطبقة الشودرا.(٢) كما يرى بعضهم أن طبقة الشودرا كانت جزء من طبقة الكشترية، حيث لم يكن في العهد الويدي إلا ثلاث طبقات تكونت من الآريين المحتلين، وهي البراهمة والكشترية والويشية، وأن السكان الأصليين لم يدخلوا في نطاق الطبقات بل بقوا خارجها دون "لون" أو طبقة، وكانت الرياسة والنفوذ لطبقة الكشتريا فنازعتها طبقة البراهمة في ذلك حتى اشتدت المنازعات العدائية بين بعض الملوك الكشترية والبراهمة، فامتنعت البراهمة عن تأدية الشعائر الدينية، خاصة شعائر أبنيانا التأهيلية، لهم حتى انحطوا إلى طبقة جديدة لا تستحق حقوقا دينية ولا اجتماعية ، سميت بطبقة الشودرا أي المنبوذة.(٣)

---

(١) أنظر: تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديمة، ص٥٦١
يقول منو: أن الخدم أو العبيد سبعة أصناف هم المولود في بيوت الطبقات العليا، وأسرى الحرب، والخادم العابد، والمشترى، والمهدى، والموروث، والمحكوم عليه عقوبة الرق.(٨/٤١٥)

(٢) انظر: Sudras in Manu, Chitra Tivari(الشودرا في منو سمرتي، لمؤلفه جترا تواري) ص١٥-١٧

(٣) انظر: Selected works of Dr. Ambedkar. ١/٩١-١٦٠

وبعضهم يرى أن الشودرا دفعة من المهاجرين إلى الهند في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد بعد استقرار الآريين في الهند، فقاومهم الآريون حتى غلبوا عليهم، ثم أدخلوا تدريجيا في التركيب الطبقي حتى صاروا طبقة رابعة.(١)

ومهما يكن من أمر فان البرهمية جعلت طبقة الشودرا أدنى طبقات المجتمع رتبة وكرامة وحقوقا إذ تدعي أن الخالق خلقها من أقدامه التي هي أدنى أعضاء الإنسان لغرض واحد فقط هو خدمة الطبقات العليا بالاخلاص وطيب الخاطر،(٢) واتخذت ضدها قوانين قاسية تحرمها من جميع أنواع التكريم والشرف والمساواة ومن أولى حقوق الإنسان وأبسط مبادىء الإنسانية وتبعدها عن جميع مرافق الحياة العامة بدعوى النجاسة.

ويمكننا أن نلخص الأحكام التي اتخذتها البرهمية ضد طبقة الشودرا في الأمور التالية:

١- وقوعهم في المرتبة السفلى في تركيب المجتمع، يولد عبدا ويبقى عبدا إلى الأبد.(٣)

٢- نجاستهم الحسية، فلا يقتربون من أفراد الطبقات العليا، ولا يعمل أمام أعينهم أو أسماعهم شيء من الأعمال الدينية من تلاوة الويدات وعمل الياجات وغيرها(٤)

٣- الاستهانة بهم فلا يحترمون كما يحترم أفراد الطبقات الأخرى، وليس لحياتهم قيمة حيث يجوز قتلهم دون مطالبة منهم بدية، ولو طولب فبشيء يسير إضافة إلى غيرهم من أفراد الطبقات الأخرى.(٥)

---

(١) انظر: Sudras in Ancient India , R.S.Sharma ص٣٩-٤٠

(٢) انظر: رج ويدا ١٠/٩٠/١١-١٢، وجيتا ١٨/٤٤، ومنوسمرتي ١/٨٧و٩١، وآبستمبا سوترا١١/١/١/٧-٨

(٣) انظر: آبستمبا سوترا ١/١/١/٦، ومنو سمرتي٨/٤١٤، ٤/١٠، وجوتما دهرما سوترا ١٠/٥٠-٥٩،

(٤) انظر: آبستمبا ١/٣/٩/٨-١١، ووسستها ٤/١٤، ١٨/١١-١٥، ومنوسمرتي ٣/١٨٧، ٥/٩٢

(٥) انظر: آبستمبا ١/٩/٢٤/١-٣، وجوتما ١٢/٨-١٣، وبرهسبتي ٢٠/٧-١١، منو سمرتي ١١/١٢٧-١٣١

٤- عدم أحقيتهم في التعليم، فلا ينبغي لأحد أن يعلمهم ولا أن يتعلموا بأنفسهم ولا أن يسمعوا شيئا من كتب الويدات، ولا يتلفظوه، ومن يفعل ذلك يتعرض لعقاب شديد مثل أن يقطع لسانه وأن يصب في أذنيه الرصاص المصهور.(١)

٥- عدم التملك، فلا ينبغي لهم أن يقتنوا المال، ومن ملك شيئا من المال فهو لسيده البرهمي يسلبه منه متى شاء دون معارضة.(٢)

٦- عدم شغل الوظائف، فلا يتولون الأعمال الوظيفية غير خدمة الطبقات الأخرى وسعادتهم متوقفة على خدمة الطبقات العليا بالجد والإخلاص.(٣)

٧- عدم التزاوج معهم إلا أنه يجوز لأفراد الطبقات العليا أخذ المرأة الشودرية ضرة وليس لها حقوق الزوجات الأصلية، لكن الشودري إذا مس امرأة أعلى منه طبقيا يتعرض لعقاب رادع.(٤)

٨- عقاب الشودري إذا ارتكب شيئا من المعاصي أو الجرائم أضعاف ما يعاقب عليه أفراد الطبقات العليا.(٥)

---

(١) انظر: منو سمرتي ٤/٧٨-٨١و٩٩، وبرهسبتي سمرتي ١٢/١٢، وجوتما دهرما سوترا ١٥/٤-٦

(٢) انظر: منو سمرتي ٨/٤١٧و١٠/١٢٩

(٣) المرجع السابق ٨/٢٠-٢٢و٤١٣-٤١٤

(٤) انظر: آبستمبا ٢/١٠/٢٧/٨-٩

(٥) انظر: مبحث القوانين المدنية والقضائية ص١٦٨-١٧٧

المطلب الخامس

طبقات فرعية

تولدت من الطبقات الأربع الأصلية طبقات فرعية بسبب التزاوج بينها وبحكم أنواع الحرف التي يزاولها أفرادها وبالتقصير في تأدية الشعائر أو اقتراف الذنوب وغيرها على مر العصور حتى وجدت الآن آلاف الطبقات التي يتميز بعضها عن بعض في المنزلة الاجتماعية؛ وأخذت تمارس أعمالا معينة من الأعمال الدينية التي تحددها الكتب الدينية وتقع عليها بالوراثة.(١)

وقد بينت كتب الشرائع الطبقات التي تتفرع عن الطبقات الأصلية بهذا الوجه وحددت لكل طبقة منها أعمالها المعيشية إلا أن هذه الطبقات ليس لها وجود في نظام الطبقات ولا تأتي تحت نطاقه حيث تبين أن الطبقات أربع وليس هناك طبقة خامسة،(٢) ولكن بعض المؤرخين يجمعون ما عدا الطبقات الأربع في طبقة خامسة يسمونها "بَنْجَمَا(Panjama)" أي الطبقة الخامسة كما يطلقون عليها لفظ "أَوَرْنَا" أي عديمي اللون بمعنى خارجين عن نطاق الطبقات الأربع؛ في حين يطلقون على الطبقات الأربع لفظ "سَوَرْنا" أي ذوي الألوان.(٣)

وقد ذكر منو خمسا وثلاثين طبقة فرعية تندرج في خمسة أقسام وهي:

١ - ورَاتِيَا (Vratya)

ينشأ هذا القسم من الطبقات بسبب تقصير أفراد الطبقات الثلاث العليا في عمل شعائر أبنيانا التي ترفعهم إلى العلو الطبقي وتعطيهم ولادة ثانية حسب الاصطلاح البرهمي، والذي لم تعمل له هذه الشعائر يبقى مثل الشودري على حالته الوضيعة دون أهلية للحقوق التي تتمتع بها الطبقات العليا، ويسمى "وراتيا"، وتنزل مكانة أولاده إلى خارج النظام الطبقي دون وجود فرصة للخلاص منها؛ وهم:

---

(١) انظر: دراسات في النظام الطبقي، تحرير م. جنجادران (في اللغة المليبارية) ص٥٣

(٢) انظر: منو سمرتي ٤/١٠

(٣) انظر: BCs Neither Sudras nor Hindus, N.K.Sharma (المنبوذون ليسوا شودرا ولا هندوس) ص٤

ا - بهُرْجَاكَنْدكَا (Bhurjakandaka) الذي يولد لبرهمي وراتي من امرأة مثله.

ب - جَلاَّ (Jella) أو مَلاَّ (Malla) الذي يولد لكشتري وراتي من امرأة مثله.

ج - سَدَهنْوَا (Sudhanva) الذي يولد لويشي وراتي من امرأة مثله. وتختلف أسماء هـؤلاء باختلاف الأماكن.(١)

٢- أَنوُلوَمَا (Anuloma)

يتولد هذا القسم من الطبقات بسبب زواج الرجل من امرأة أدنى منـه طبقـة، فيكـون الولد في منزلة أعلى من منزلة الأم وأدنى من منزلة الوالد، ويتأهلون لحقوق الأم.

وتأتي في هذا القسم ستة أنواع من الأولاد وهم:

ا - مُرْدَهاوَسِكْتَا (Murdhavasikta) الذي يولد للبرهمي من امرأة كشترية.

ب - أَمْبَشْتَهَا (Ambashta) الذي يولد للبرهمي من امرأة ويشية.

ج - نِشَادَا(Nishada) أو بارشوا (Parashava) الذي يولد للبرهمي من امرأة شودرية.

د - مَاهِشِيَا (Mahishya)الذي يولد للكشتري من امرأة ويشية.

هـ - أُجْرَا(Ugra) الذي يولد للكشتري من امرأة شودرية.

و- كَرَنَا (Karana)الذي يولد للويشي من امرأة شودرية.

٣ - برَتِلوَمَا (Pratiloma)

ينشأ هذا القسم من الطبقات بسبب زواج الرجل من امرأة أعلـى منـه طبقـة، ويـأتي فيه أيضا ستة أنواع من الأولاد وهم:

ا - سُوتَا (Suta)الذي يولد للكشتري من امرأة برهمية(٢)

ب - مَاجَدَها (Magatha)الذي يولد للويشي من امرأة كشترية(٣)

---

(١) انظر: منو سمرتي ١٠/٢٠-٢٥

(٢) هو ولد الويشي من البرهمية حسب جوتما شاسترا (Selected works of Dr. Ambedkar ١٧٣/١)

(٣) هو ولد الكشتري من البرهمية حسب جوتما (المصدر السابق)

ج – وَيْدِيهَا (Videha)الذي يولد للويشي من امرأة برهمية(١)

د – أَيوَجَوَا (Ayogava)الذي يولد للشودري من امرأة ويشية.

هـ – كْشَتَاو (Kshatavu)الذي يولد للشودري من امرأة كشترية.

و – جَنْدَالاَ (Chandala)الذي يولد للشودري من امرأة برهمية .

وهؤلاء الثلاثة الأخيرة لا يصلحون لأي عمل من الأعمال الدينية أبدا، وأما جندالا فهو أخس الناس جميعا.

٤ – أَنْتَرَالا (Antarala)

يتولد هذا القسم من الطبقات بسبب زواج أفراد الطبقات الأصلية من أفراد الطبقات الفرعية غالبا. ومن أنواع هذا القسم :

ا – أَوِرْتَا (Avirta) الذي يولد للبرهمي من امرأة أجرية.

ب – آبِهيرَا(Abheera) الذي يولد للبرهمي من امرأة أمبشتهية.

ح – دِجْوَانا(Digvana) الذي يولد للبرهمي من أيوجوية.

د – بَلْكسَا (Pulkasa)الذي يولد لنشادي من شودرية.

هـ – كُكَّدَا (Kukkada)الذي يولد لشودري من نشادية.

و – شْوَبَاكَا(Shvapaka) الذي يولد لكشتاو من امرأة أجرية.

ز – وِيدَا(Veda) الذي يولد لويديهي في أمبشتهية.

٥– سَنْكِيرْنَا (Sankeerna)

وهي الطبقات التي تتولد بالتزاوج مع طبقات أنولوما وطبقات برتلوما من الطبقات الفرعية، ومن هذه الطبقات:

ا – سَيْرَنْتَرَا(Sirantra) الذي يولد لدسيو (٢) من امرأة أيوجوية.

ب– بَانْدُوسُوبَاكَا(Pandusopaka) الذي يولد لجندالا من ويديهية.

---

(١) هو ولد الويشي من الكشترية حسب جوتما (المصدر السابق)

(٢) المراد بدسيو هنا هو الذي تلحقه الدناءة والبذاءة لارتكاب السيئات من أولاد الطبقات الأربع (تلخيص منو ص١٦٢)

ج – آهِنْدِكَا (Ahindika) الذي يولد لنشادي من ويدهيهية.

د – سوَبَاكَا (Sopaka) الذي يولد لجندالا من بلكسية.

هـ – أَنْدِيَاوَسَاي (Andyavasai) الذي يولد لجندالا من نشادية.

و – مَيْتَرِيَا (Mytareya) الذي يولد لويديهي من أيوجوية.

ز – مَارْجَوَا (Margava) الذي يولد لنشادي من أيوجوية.

ح – مِيدَا (Meda) الذي يولد لويديهي من نشادية.

ط – كَارَاوَرَا (Karavara) الذي يولد لنشادي من ويديهية.(١)

ي – آندْرَا (Andra) الذي يولد لويديهي من امرأة كاراورية.

ك – جَنّجُو (Gungu)

ل – مَدْجُو (Madgu)

م – وِينَا (Vena) وهؤلاء الثلاثة لم يذكر منو انتسابهم.(٢)

وتبين الشريعة البرهمية أن على هؤلاء أن يسكنوا خارج المدن والقرى إما في الجبال أو تحت الشجر أو جنب المقابر أو الحدائق يعملون ما حدد لهم من الأشغال حتى يستطيع أهل البلاد أن يميزوهم بأعمالهم، ولا يجوز لجندالا وشوباكا منهم أن يستعملوا الأواني المعدنية حيث لا يتطهر ما استعملوه أبدا بالتطهير، ولا أن يربوا الأنعام بل عليهم تربية الحمير والكلاب، ولبس ملابس الموتى والتحلي بالحلي من المعادن الرخيصة مثل الحديد والبرونز، والأكل في الأواني المكسورة والتنقل طلبا للأشغال على الدوام، ولا ينبغي لهم أن يتمشوا في المدن والقرى ليلا إلا أنه يجوز لهم دخولها نهارا للبيع أو الشراء لابسين علامات يعينها الحاكم ليتميزوا عن غيرهم، ولا ينبغي للطبقات العليا أن يطعموهم إلا عن طريق الخدم في الأواني المكسورة، ولا ينبغي كذلك أن يروهم أو يكلموهم عند أداء الشعائر الدينية.(٣)

---

(١) ينقسم أولاد نشادي من ويديهية إلى آهنديكا وكاراورا لأجل الفرق في النظافة (المصدر السابق ص١٦٢)

(١) انظر: منو سمرتي ١٠/٦-٤٦

(٢) المرجع السابق ١٠/٥٠-٥٦

وتخصص القوانين لهؤلاء الطبقات كثيرا من الأعمال التي تعتبرها رذيلة وتعدها في نفس الوقت ضرورية لمصالح الطبقات العليا مثل التمريض في الحروب وصيد السمك وقيادة المراكب وإبادة الفئران والجرذان والأرانب وحراسة المنازل والنجارة والأعمال الجلدية وقنص الوحوش والطيور وصناعة الأشياء من القصب ومعاقبة المجرمين بالضرب والوثاق والقتل وتنفيذ القصاص بالقتل وحراسة المقبرة ومواقد الجثث وغير ذلك.(١)

ويستمر تولد طبقات فرعية جديدة كلما حصل التزاوج بين الطبقات المختلفة وتتفاوت كرامتها ومنزلتها الاجتماعية حسب اختلاف طبقة الأب والأم، فكلما تدنت طبقة الوالد وارتفعت طبقة الأم ازدادت الفرعية خساسة. وقد بلغ عدد الطبقات والطوائف في الهند الحديثة أربعة آلاف طائفة حسب الإحصائيات الجديدة.(٢)

---

(١) انظر:المرجع السابق :١٠/٣٢-٣٩و٤٧-٤٩

(٢) انظر: دراسات في النظام الطبقي، تحرير م. جنجادرن ص٥٣

المبحث الثالث

نقد نشأة الطبقية على ضوء الإسلام

أولا : مصدر التشريع

ثانيا : التمييز بين الناس بحسب أجناسهم وألوانهم

المبحث الثالث

نقد نشأة الطبقية وأقسامها على ضوء الإسلام

من خلال دراستنا لنشأة النظام الطبقي فيما سبق نرى أن الأمور التي أدت إلى نشأته ترجع إلى معتقدين أساسيين:

(أولهما) الاعتقاد بأن حق التشريع وتنفيذ الأحكام في طائفة معينة من البشر، فقد جعلت البرهمية طبقة البراهمة آلهة في الأرض يحافظون على كنز الدين ويشرحونه للناس ويشرعون لهم الأحكام. فأثرت مطامعهم وأهواؤهم في تشريع الأحكام للمحافظة على مصالحهم الخاصة وتطبيقها بالشدة والاجبار.

(ثانيهما) الاعتقاد بأن الناس متفاوتون في القيمة والمنزلة والحقوق والاختصاصات تبعا لاختلافهم نسبا ولونا ولغة ودينا ومنصبا وغير ذلك؛ وأن الفرد يحمل طبقيته ووظيفته وراثة بولادته في طبقة قدرها الإله الخالق حين خلق البشر.

وقام النظام الطبقي على هذين المعتقدين في المجتمع الهندي وطبق فيه زمنا طويلا بمظاهره المتعددة في مختلف مجالات الحياة.

ومن أهم هذه المظاهر:

١- تفريق المجتمع إلى طبقات متباينة بمنزلتها ووظائفها، وتحريم اقامة علاقات اجتماعية بينها، في حين يجب أن يكون الدين ونظم الحياة وسائل توحيد المجتمع واشراك جميع أفراده في بناء أمة مستقيمة، وترقيتها وتنميتها دينا وحضارة وعمرانا.

٢- اعتبار بعض الناس نجسا فطريا حيث لا يجوز التماس أو الاقتراب، ومن ثم يبعدون عن مرافق الحياة العامة إلى خارج المدن والقرى، يقاسون رذالة العيش

ومرارته ويحرمون من الحقوق الإنسانية الأولية؛ ويقدس أفراد الطبقات العليا بمراسم دينية خاصة ليتمتعوا بحقوق وامتيازات في المجتمع.

٣- تحريم بعض الناس من حق التعلم والتعليم والقيام بالأمور الدينية؛ ومنعهم عن إظهار وتنمية المواهب الفطرية والقدرات العقلية والفكرية وإشباع تطلعات الروح والفكر إلى إصلاح الحياة الفردية والاجتماعية ونيل الكمال والسعادة.

٤- تصنيف الأعمال والوظائف الاجتماعية إلى مراتب وتخصيصها لكل طبقة حسب منزلتها بحيث لا يجوز التحول عنها لأي فرد من أفراد المجتمع؛ وتسخير الطبقات السفلى واستغلال طاقاتها لصالح الطبقات العليا دون مقابل، وقيد أولئك في أحوالهم السيئة دون إتاحة فرصة للتخلص منها أو إجادتها.

٥- التمييز في تقويم الجرائم والعقوبات تبعا لمنزلة المجرم الاجتماعية وتشديد العقوبات على الطبقات الوضيعة لكي لا يمس على امتيازات الطبقات العليا.

وسأبين بطلان هذه الأمور وظلمها على ضوء الهدي الإسلامي فيما يلي:

أولا : مصدر التشريع

إن البشر لا يصلحون لتشريع الأحكام لأنهم متصفون بطبيعتهم بالقصور والعجز عن الإحاطة بكل مصالحهم، وبالنتائج المترتبة عليها في الحال والاستقبال، ومحكومون بنزعات ورغائب نفسية وجسمية تلح على تقديم مصالحهم الشخصية على مصالح الآخرين وتحقيق مطالبهم ولو على حساب الآخرين. ولهذا لا يخلو تشريع بشري من النقص والظلم والطغيان. وهذا هو حال الديانة البرهمية حين شرعت طبقة البراهمة أحكامها لمجالات الحياة المختلفة؛ وتجاوزت الحد في الظلم والطغيان حين جعلت الناس على طبقات متفاوتة في القيمة الإنسانية والوظائف الاجتماعية وأجزية الأعمال المختلفة.

ولا تصلح أحوال البشر إلا إذا اتبعوا شريعة خالقهم المحيط بجميع أحوالهم وأسرارهم ، فلهذا يتوحد مصدر التشريع لله تعالى وحده ؛ ويكون الحكم لله وحده وهو خير الحاكمين، وما عدا ذلك فهو خروج عن النهج القويم واتباع لأهواء البشر.

قال الله تعالى: ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (٣)

وقال تعالى :﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا** ﴾ (٤)

وما محمد عليه الصلاة والسلام إلا نبي ورسول من الله تعالى يبلغ ما أنزل إليه ويبين ما يحتاج إلى بيانه ، ولم يأت بشيء من عنده إلا ما يوحى إليه كما قال الله تعالى:

﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾(٥)

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾(٦)

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٥٤

(٢) سورة الجاثية ،الآيات ١٨-٢٠

(٣) سورة الشورى، الآية ٢١

(٤) سورة النساء ، الآية ١٠٥

(٥) سورة النجم، الآيتان ٣،٤

(٦) سورة يونس ،الآية ١٥

ولا يوجد بين نصوص الدين الإسلامي تعارض ولا اختلاف قط سواء أكان بين الآيات القرآنية أم بين الآيات وبين الأحاديث ؛ الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أن التشريع من عند الله تعالى وحده ، ولم يتدخل فيه أهواء البشر وأطماعهم. كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (١)

أما كتب الديانة البرهمية فإنها متضاربة ومتعارضة بعضها مع بعض في جميع الأمور ؛ سواء أكانت في الأمور الاعتقاديية أم في المعاملات والأخلاق، مما يدل على تدخل أهواء البشر فيها في مختلف العصور .

ونظام الإسلام بصفته دينا ربانيا متكاملا؛ منزلا من عند الله تعالى إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذي لم ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؛ سالم من النقص والظلم والطغيان وضامن تحقيق الحق والعدل لجميع البشر في كل زمان ومكان.

قال ابن القيم رحمه الله:

" فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد؛ وهي عدل كلها؛ ورحمة كلها؛ ومصالح كلها؛ وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها؛ وعن المصلحة إلى المفسدة؛ وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها؛ وهي نوره الذي به أبصر المبصرون؛ وهداه الذي به اهتدى المهتدون؛ وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل؛ وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل ... فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة".(٢)

---

(١) سورة النساء الآية ٨٢

(٢) اعلام الموقعين ٣/١٤،١٥

وعلماء الإسلام قسموا الأصول التشريعية إلى أربعة أقسام وهي الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس والاستدلال؛ مع أنهم بينوا أن أصل الأحكام كلها واحد وهو وحي الله سبحانه المشرع للأحكام اذ الكتاب كلام الله سبحانه المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم اخبار عن الله تعالى أنه حكم بكذا وكذا، والاجماع يستند إلى الكتاب والسنة، وأما القياس والاستدلال فحاصله يرجع إلى التمسك بمعقول النص أو الاجماع. فالكتاب والسنة والاجماع أصل والقياس والاستدلال فرع تابع لهما.(١)

سأوجز فيما يلي تعريف الأصول التشريعية التي فصلها العلماء وبينوا كيفية تعلقها بالأصل الأساسي وهو وحي الله تعالى.

١- كتاب الله تعالى

كتاب الله هو كلامه تعالى الذي نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ليبينه للناس ليكون لهم رحمة وهداية.(٢)

قال الامام ابن حزم رحمه الله:

"ولما تبين بالبراهين والمعجزات أن القرآن هو عهد الله الينا والذي ألزمنا الاقرار به والعمل بما فيه وصح بنقل الكافة الذي لا مجال للشك فيه أن هذا القرآن هو المكتوب في المصاحف المشهور في الآفاق كلها، وجب الانقياد لما فيه فكان هو الأصل المرجوع اليه، لأننا وجدنا فيه ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ**﴾(٣) فما في القرآن من أمر ونهي فواجب الوقوف عنده ..." (٤)

---

(١) انظر: المستصفى للامام الغزالي ١/١٠٠، وروضة الناظر وجنة المناظر للامام ابن قدامة ص٣٣، والاحكام في أصول الأحكام للآمدي ١/١٥٨.

(٢) انظر: روضة الناظر لابن قدامة ص٣٣، والموافقات في أصول الأحكام للشاطبي ٣/٢٤٣

(٣) سورة الأنعام، آية ٣٨

(٤) الاحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/٨٥

٢- السنة النبوية

السنة عند علماء الأصول هي ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير في غير الأمور الطبعية.(١) والسنة راجعة في معناها إلى كتاب الله تعالى لكونها تفصيلا لمجمله وبيانا لمشكله، وبسطا لمختصره، وهو الذي دل عليه قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِمْ﴾(٢)

وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصل للشريعة لدلالة المعجزة على صدقه صلى الله عليه وسلم ولأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ولأمر الله تعالى ايانا باتباعه صلى الله عليه وسلم.(٣)

ويبين الإمام ابن حزم تعلق السنة بالكتاب وكونها أصلا للأحكام فيقول:

" لما بينا أن القرآن هو الأصل المرجوع إليه في الشرائع نظرنا فيه فوجدنا فيه إيجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدناه عز وجل يقول فيه واصفا لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾(٤) فصح لنا بذلك أن الوحي ينقسم من الله عز وجل إلى رسوله صلى الله عليه وسلم على قسمين: أحدهما وحي متلو مؤلف تأليفا معجز النظام وهو القرآن؛ والثاني وحي مروي منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو ولكنه مقروء. وهو الخبر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المبين عن الله عز وجل مراده منا. قال الله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِمْ﴾(٥) ووجدناه تعالى قد أوجب طاعة هذا القسم الثاني كما أوجب طاعة القسم الأول الذي هو القرآن، ولا فرق. قال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾(٦) فكانت الأخبار التي ذكرنا أحد الأصول الثلاثة التي ألزمنا طاعتها في الآية الجامعة لجميع الشرائع أولها عن آخرها. وهي قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ﴾(٧) فهذا أصل وهو القرآن. ثم قال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا الرسُولَ﴾(٨) فهذا ثان وهو الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال تعالى ﴿وَأُوْلِي الأَمرِ مِنكُمْ﴾(٩) فهذا ثالث وهو الاجماع المنقول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمه".(١٠)

---

(١) انظر:الاحكام في أصول الأحكام للآمدي١٦٩/١، وتيسير التحرير لأمير بادشاه ١٩/٣، ٢٠، وفواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ص٩٧، ونزهة الخاطر العاطر شرح كتاب روضة الناظر للشيخ عبدالقادر بن مصطفى بدران الدومي ص٢٣٦، وارشاد الفحول للشوكاني ص٣٣

(٢) سورة النحل، آية ٤٤

(٣) انظر: المستصفى للامام الغزالي ١٢٩/١، والموافقات في أصول الأحكام للامام الشاطبي ٩/٤

(٤) سورة النجم، آية ٣،٤ (٥) سورة النحل، آية ٤٤

(٦) سورة المائدة، آية ٩٢ وسورة التغابن، آية ١٢

(٧)و(٨)و(٩) سورة النساء، آية ٥٩ (١٠) الاحكام في أصول الأحكام لإبن حزم ٨٧/١

٣- الإجماع

قال الآمدي في تعريف الإجماع :"الإجماع عبارة عن اتفاق جملة أهل الحل والعقد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في عصر من الأعصار على حكم واقعة من الوقائع".(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في حجيته وتعلقه بالكتاب والسنة:

" دلالة كون الإجماع حجة هو الشرع، وقيل: العقل أيضا؛ نثبته حجة إما بالسمع، وإما بالعقل. والسمع إما بالكتاب وإما بالسنة؛ وتثبت السنة بالتواتر المعنوي، وبأن العادة والدين يمنع من تصديق ما لم يثبت، ومن معارضة القواطع ما ليس بقاطع، والعقل إما العادة الطبيعية، وإما دين السلف الشرعي المانع من القطع بما ليس بحق".(٢)

وقد اتفق العلماء على حجية هذه الأصول الثلاثة إلا أن مرتبة الإجماع متأخرة عن الكتاب والسنة، كما أن مرتبة السنة تأتي بعد القرآن الكريم.

قال شيخ الإسلام: "وقد جاء الاعتماد على الكتاب والسنة والإجماع في كلام عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وغيرهما حيث يقول كل منهما: اقض بما في كتاب الله، فان لم يكن فبما في سنة رسول الله، فان لم يكن فبما أجمع عليه الصالحون، وفي لفظ: بما قضى به الصالحون، وفي لفظ: بما أجمع عليه الناس، لكن تقتضي تأخير هذا عن الأصلين، وما ذاك إلا لأن هؤلاء لا يخالفون الأصلين".(٣)

---

(١) الاحكام في أصول الأحكام للآمدي ١٩٦/١

(٢) المسودة ص٣١٧

(٣) المرجع السابق ص٣١٦- ٣١٧

٤- القياس والاجتهاد

عرف الإمام ابن قدامة القياس بقوله:

"وهو في الشرع حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما"(١)

وقال الآمدي في تعريفه : "والمختار في حد القياس أن يقال إنه عبارة عن الاستواء بين الفرع والأصل في العلة المستنبطة من حكم الأصل".(٢)

واستدل العلماء على حجية القياس بقول الله تعالى :﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ﴾(٣)

قال ابن قدامة في بيان وجه دلالة الآية: "وحقيقة الاعتبار مقايسة الشيء بغيره كما يقال اعتبر الدينار بالصنجة وهذا هو القياس".(٤)

وقال أيضا في بيان حجيته: "القياس ثابت بالإجماع والسنة، وقد دل عليهما القرآن المنزل ولا يرده إلا العلة المستنبطة من كتاب الله تعالى ونص رسوله، فالقياس يفهم معاني النصوص بتجريد مناط الحكم وحذف الحشو الذي لا أثر له".(٥)

قال شيخ الإسلام في بيان تعلقه بالكتاب والسنة: "ذكر ابن عقيل هل الأصل في القياس الشرعي النص أو حكم النص؟ وأيهما يقع الاستناد اليه؟ اختلف أهل الأصول في ذلك؛ فقال قوم الأصل النص والنطق، وقال قوم الحكم، قال ابن عقيل والذي أختاره أن الأقرب هو المستند والأصل هو حكم النص وعلته. قلت: الأصل في القياس يقع على النص، وعلى الحكم، وعلى العلة، وعلى المحل، والمحل قد يكون العقل وقد يكون العين"(٦)

---

(١) روضة الناظر ص١٤٥

(٢) الاحكام في أصول الأحكام ١٩٠/٣

(٣) سورة الحشر، آية ٢

(٤) روضة الناظر ص١٥٠

(٥) المرجع السابق ص١٥٢

(٦) المسودة ص٣٧٠-٣٧١

وأما الاجتهاد فقد قال الغزالي في تعريفه:

"صار اللفظ في عرف العلماء مخصوصا ببذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة والاجتهاد التام أن يبذل الوسع في الطلب بحيث يحس من نفسه بالعجز عن مزيد طلب ".(١)

ويقول في شروط المجتهد:

"وله شرطان، أحدهما أن يكون محيطا بمدارك الشرع متمكنا من استثارة الظن بالنظر فيها وتقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره، والشرط الثاني أن يكون عدلا مجتنبا للمعاصي القادحة في العدالة، وهذا يشترط لجواز الاعتماد على فتواه، فمن ليس عدلا فلا تقبل فتواه، أما هو في نفسه فلا"(٢)

القياس والاجتهاد اسمان لمعنى واحد كما هو جواب الإمام الشافعي (٣)إلا أن العلماء فصلوا في المعنى الاصطلاحي للقياس ولست في مجال تفصيل ذلك.

وذكر العلماء حديث معاذ رضي الله عنه دليلا على القياس والاجتهاد وهو ما رواه الترمذي وأبو داود بسنديهما عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن قال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في كتاب الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو؛ فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله".(٤)

---

(١) المستصفى ٣٥٠/٢

(٢) المستصفى ٣٥٠/٢

(٣) انظر: الرسالة ص٢٠٥،٢٠٦

(٤) سنن الترمذي، كتاب الأحكام باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، قال: "هذا حديث لا نعرفه الا من هذا الوجه، وليس اسناده عندي بمتصل" ٦١٦/٣،٦١٧، وسنن أبي داود، كتاب الأقضية باب اجتهاد الرأي في القضاء ٣٠٣/٣

قال ابن قدامة عن الحديث: "قلنا قد رواه عبادة بن نسي عن عبدالرحمن بن غنم عن معاذ .ثم هذا الحديث تلقته الأمة بالقبول فلا يضره كونه مرسلا".(روضة الناظر ص١٥١)

وقال الامام ابن القيم: "هذا حديث وان كان عن غير مسمين فهم أصحاب معاذ، فلا يضره ذلك لأنه يدل على شهرة الحديث وأن الذي حدث به الحارث بن عمرو وعن جماعة من أصحاب معاذ لا واحد منهم، وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون عن واحد منهم لو سمي، كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالمحل الذي لا يخفى، ولا يعرف في أصحابه متهم ولا كذاب ولا مجروح، بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم، لا يشك أهل العلم بالنقل في ذلك، كيف وشعبة حامل لواء هذا الحديث؟ وقد قال بعض أئمة الحديث: "اذا رأيت شعبة في اسناد حديث فاشدد يديك به"، وقال أبو بكر الخطيب: وقد قيل ان عبادة بن نسي رواه عن عبدالرحمن بن غنم عن معاذ، وهذا اسناد متصل، ورجاله معروفون بالثقة،على أن أهل العلم قد نقلوه واحتجوا به فوقفنا بذلك على صحته عندهم".(اعلام الموقعين ٢٠٢/١)

وهناك أمور أخرى تعتبر أصولا للأحكام اختلف العلماء في حجيتها، منها الاستصلاح ،(١) وقول الصحابي، (٢)وشرع من قبلنا،(٣) والاستصحاب،(٤) والاستحسان (٥)وغيرها، والذين يعتبرونها حجة لا يعتبرونها إلا من ناحية كونها موافقة للشريعة وموفية للمقاصد والمصالح. ولسنا بحاجة إلى شرح هذه الأمور حيث إن هذا القدر يكفينا بالغرض من شرح أصول الشريعة.

---

(١) الاستصلاح هو اتباع المصلحة المرسلة ، والمصلحة هي جلب المنفعة أو دفع المضرة . والمصلحة المرسلة هي التي لم يشهد لها الشرع بإبطال ولا اعتبار معين .(انظر: روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة ص ٨٦، الموافقات للشاطبي ٣٩/١)

(٢) قول الصحابي : الصحابي هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مسلما ثم مات على الإسلام (انظر: التقييد والايضاح ، مع المصباح على مقدمة ابن الصلاح ص ٢٥١)

(٣) شرع من قبلنا : يقصد به شرائع رسل الله تعالى قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

(٤) الاستصحاب معناه لغة: طلب المصاحبة ، وأما معناه الاصطلاحي فقد عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية هوالبقاء على الأصل فيما لم يعلم ثبوته وانتفاؤه بالشرع , وعرفه الآسنوي :هو عبارة عن الحكم بثبوت أمر في الزمان الثاني بناء على ثبوته في الزمان الأول . (انظر: أصول الفقه وابن تيمية ،د/ صالح عبدالعزيز آل منصور ٤٤١/٢،٤٤٢، ونهاية السول شرح الآسنوي على منهاج الوصول للبيضاوي ١٣١/٣)

(٥) الاستحسان معناه لغة : عد الشيء حسنا، واصطلاحا: عدول المجتهد عن مقتضى قياس جلي إلى مقتضى قياس خفي أو عن حكم كلي إلى حكم استثنائي لدليل انقدح في عقله رجح لديه هذا العدول (منهاج الصالحين ، لعزالدين بليق ص٥٤٧)

ومن هذا الشرح الموجز لأصول الشريعة تبين لنا أن مرجع أحكام الشريعة الإسلامية كلها هو وحي الله سبحانه وهو أصل التشريع؛ فأصبحت الشريعة الإسلامية محفوظة معصومة من تدخل البشر.

وقد بين الامام الشاطبي رحمه الله كون هذه الشريعة معصومة فقال:

"إن هذه الشريعة المباركة معصومة كما أن صاحبها صلى الله عليه وسلم معصوم، وكما كانت أمته فيما اجتمعت عليه معصومة، ويتبين ذلك بوجهين:

(أحدهما) الأدلة الدالة على ذلك تصريحا وتلويحا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١)، وقوله: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾(٢) وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ، فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ، ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾(٣) فأخبر أنه يحفظ آياته ويحكمها حتى لا يخالطها غيرها، ولا يداخلها التغيير ولا التبديل، والسنة وان لم تذكر فانها مبينة له ودائرة حوله، فهي منه وإليه ترجع في معانيها، فكل واحد من الكتاب والسنة يعضد بعضه بعضا ويشد بعضه بعضا، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(٤)

(والثاني) الاعتبار الوجودي الواقع من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الآن، وذلك ان الله عز وجل وفر دواعي الأمة للذب عن الشريعة والمناضلة عنها بحسب الجملة والتفصيل، أما القرآن الكريم فقد قيض الله له حفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر فضلا عن القراء الأكابر، وهكذا جرى الأمر في جملة الشريعة، فقيض الله لكل علم رجالا حفظه على أيديهم ...

ثم قيض الحق سبحانه رجالا يبحثون عن الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أهل الثقة والعدالة من النقلة حتى ميزوا بين الصحيح والسقيم وتعرفوا التواريخ وصحة الدعاوى في الأخذ لفلان عن فلان حتى استقر الثابت المعمول به من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وكذلك جعل الله العظيم لبيان السنة عن البدعة ناسا من عبيده بحثوا عن أغراض الشريعة كتابا وسنة، وعما كان عليه السلف الصالحون وداوم عليه الصحابة والتابعون، وردوا على أهل البدع والأهواء حتى تميز أصحاب الحق عن أتباع الهوى..."(٥)

---

(١) سورة الحجر، آية ٩

(٢) سورة هود، آية ١

(٣) سورة الحج، آية٥٢

(٤) سورة المائدة، آية ٣

(٥) الموافقات في أصول الأحكام ٢/٤٠،٤١

هكذا بقيت الشريعة الإسلامية بعقائدها النقية وأحكامها السمحة معصومة محفوظة من تدخل أهواء البشر ومطامعهم؛ تنشر العدل والرحمة لجميع الناس عربهم وعجمهم؛ أبيضهم وأسودهم دون تفريق بينهم لاختلاف جنس أو لون أو منصب أو غير ذلك.

وقد شغل أفراد الأمة الإسلامية جميع المناصب والوظائف والأعمال في المجتمع دون تمييز بين أجناسهم، حيث نرى في تاريخها أنه قد اشتهر كثير من العلماء والأمراء والقواد والقضاة وغيرهم بلغوا قيادة الأمة بمواهبهم الفطرية وقدراتهم النفسية والعقلية، وهم مختلفون جنسا ولونا ولغة لم يمنعهم انتماؤهم إلى شعب خاص من الوصول إلى المكانة المرموقة في المجتمع.

وقد زعم بعض الكتاب الهندوسيين أن المجتمع الإسلامي أيضا ينقسم إلى أربع طبقات مثل طبقات المجتمع الهندي، وهي طبقة "أولو العلم" وطبقة "أولو الأمر" وطبقة "الزمرة" وطبقة "المزدور"، وبتعبير آخر أسهل "عالم" و"آمر" أو "أمير" و"تاجر" و"مزدور"؛ (١) ويزعم أن الثلاثة الأولى مذكورة في القرآن.(٢)

ولا ننكر أن الجهل بأحكام الدين والاختلاط بمجتمعات الأديان المحرفة والوضعية، والمذاهب والأفكار المزيفة وغير ذلك من الأمور التي قد أثرت في بعض المسلمين في بعض بقاع الأرض وأدى إلى انحرافهم عن المنهج الإسلامي الصحيح في سلوكياتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم ، والشريعة الإسلامية منه براء؛ ولكن عقائد الإسلام النقية وشريعتها الطاهرة تبقى واضحة جلية ولا يصعب الرجوع اليها على الباحث عن الحق، ولا يزال أهل الحق والصواب يبذلون جهودهم لتصحيح ما انحرف فيه المنحرفون. وإن كان في المجتمع المسلم بعض الصور المنحرفة عن مسار الإسلام عقديا أو سلوكيا فليس لها حكم في ظل الشريعة الإسلامية لأن الناس بحكم الله ورسوله إما مسلمون أو غير مسلمين .

---

(١) ومزدور في اللغة الهندية تعني عامل أو أجير(انظر: معجم أردو-عربي، تأليف مولانا خليل الرحمن نعماني، ص٦٠٢)

(٢) انظر: المعرفة الارشية ص ٣٠٧-٣٠٨

ثانيا: التمييز بين الناس بحسب أجناسهم وألوانهم

مبدأ التفرقة بين الناس إلى طبقات بحكم الولادة والنسب واللون وما إلى ذلك من الاختلافات الطبعية يتنافى مع مبدأ الإسلام في القيمة الإنسانية والحقوق العامة، إذ البشر كلهم عبيد الله وأبناء رجل واحد وامرأة واحدة، فلا يتميزون في الفضل والكرامة والامتيازات من حيث الفروق العارضة من لون أو جنس أو لغة أو غنى أو منصب أو غير ذلك، وإنما يتفاضلون بالتقوى والصلاح والإيمان، فيفترقون إلى مؤمن تقي وفاجر شقي.

وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة تقرر هذا المبدأ بوضوح حتى لا يتفاخر الناس بآبائهم وأنسابهم.

قال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذِي خَلَقَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيكُمْ رَقِيبًا﴾(١)

وقال تعالى:

﴿يأَيهَا النـاسُ إِنَّا خَلَقنَكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلنَكُمْ شُعوبًا وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢)

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: " زجرهم عن التنافر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء فإن المدار على التقوى؛ أي الجميع من آدم وحواء، وإنما الفضل بالتقوى".(٣)

وروى الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: إن ربكم واحد وأباكم واحد فلا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى(٤)

---

(١) سورة النساء، آية ١

(٢) سورة الحجرات، آية ١٣

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٤٢/١٦

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٧/٨ ولم أقف على نسخة الأوسط، وأخرجه البزار في باب التفاخر بنحوه، الا ان لفظه: "ان أباكم واحد وان دينكم واحد أبوكم آدم وآدم خلق من تراب" ، وقال الهيثمي : " رجال البزار رجال الصحيح" (مجمع الزوائد ٨٧/٨ ، وكشف الاستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ، ٤٣٥/٢) .

وروى أبو داود بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء؛ مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب؛ ليدعن رجال فخرهم بأقوام؛ إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن(١)

قال أبو الحسن الندوي:

"أما الإسلام فقد أعلن مبدأ المساواة البشرية في لفظ صريح مفهوم ليست فوقه صراحة وليس فيه تحفظ وجعل التفاضل بالتقوى والفضائل المعنوية فقط، فقال: ﴿يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ...﴾"(٢)

وأما اختلاف البشر من حيث الألوان والأجناس والبلدان واللغات والأنساب والقبائل وغيرها لا يقتضي تمييزا بينهم في الرتب أو الكرامة أو الامتيازات الاجتماعية؛ وإنما هو آية من آيات الله سبحانه في خلقه ووسيلة من وسائل التعارف والتعاون بينهم.

قال تعال:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ خَلْقُ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾(٣)

قال الإمام الشوكاني في تفسير الآية:

﴿اخْتِلَٰفُ أَلسِنَتِكُمْ﴾ أي لغاتكم من عرب وعجم وترك وروم وغير ذلك من اللغات، ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾ من البياض والسواد والحمرة والصفرة والزرقة والخضرة مع كونكم أولاد رجل واحد وأم واحدة ويجمعكم نوع واحد وهو الإنسانية وفصل واحد وهو الناطقية، حتى صرتم متميزين في ذات بينكم لا يلتبس هذا بهذا، بل في كل فرد من أفرادكم ما يميزه عن غيره من الأفراد، وفي هذا من بديع القدرة ما لا يعقله إلا العالمون ولا يفهمه إلا المتفكرون".(٤)

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب التفاخر بالأحساب ٣٣١/٤، وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل الشام واليمن ٧٣٤/٥،٧٣٥، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح (انظر: تحفة الأشراف ٣١١/١٠)

(٢) الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الانسانية ص٣٨ وأما الآية فهي من سورة الحجرات آية ١٣

(٣) سورة الروم، آية ٢٢

(٤) فتح القدير ٢١٩/٤،٢٢٠

وإن الناس – على أساس هذا المبدأ- في الأحكام الدينية والحقوق والواجبات العامة سواء لا يميز شريف عن وضيع ولا نسيب عن دنيء ولا غني عن فقير.

روى الشيخان بسنديهما عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة)(١)

تأول الحديث على معنى أن الناس في أحكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف على مشروف ولا لرفيع على وضيع كالإبل المائة التي لا يكون فيها راحلة، وهي التي ترحل لتركب.(٢)

ولقد تحقق هذا المبدأ في المجتمع الإسلامي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، فصار الجميع سواء في الحقوق العامة لم يفرق فيها شريف عن وضيع ولا أمير عن مأمور ولا عربي عن عجمي.

وكذا لم تتدخل مؤثرات خارجية في ميزان العدالة من الشرف أو الجاه أو القرابة أو الشفاعة أو غير ذلك، وإنما كان جزاء قضية إذا رفعت إلى القاضي سواء للجميع.

روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فكلم رسول الله فقال: "أتشفع في حد من حدود الله" ؟ ثم قام فخطب فقال: "يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها."(٣)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة ١٨٩/٧، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله صلى الله عليه وسلم الناس كالابل مائة لا تجد فيها راحلة٤٠٧/٥، واللفظ للبخاري. وانظر: سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب من ترجى له السلامة من الفتن ١٣٢١/٢، وسنن الكبرى للبيهقي، كتاب آداب القاضي، باب انصاف الخصمين في المدخل عليه والاستماع منهما والانصات لكل واحد منهما حتى تنفذ حجته وحسن الاقبال عليهما ١٣٥/١٠

(٢) انظر: فتح الباري ٣٤٣/١١، وشرح مسلم للنووي ١٠١/١٦، والسنن الكبرى للبيهقي ١٣٥/١٠

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد اذا رفع إلى السلطان ١٦/٨، وباب اقامة الحدود على الشريف والوضيع ١٦/٨، وكتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب ذكر أسامة بن زيد ٢١٣/٤، وكتاب الأنبياء، باب حدثنا قتيبة بن سعيد ١٥٠/٤، وصحيح مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود ١٣١٥/٣، وسنن الترمذي، كتاب الحدود، باب ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود ٢٩/٤، وسنن أبي داود، كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه ٤٤٥/٢، وسنن ابن ماجة، كتاب الحدود، باب الشفاعة في الحدود ٨٥١/٢، وسنن النسائي، كتاب قطع السارق، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر الزهري في المخزومية التي سرقت ٦٤/٨، ومسند الامام أحمد٣٨٦/٣،٣٩٥، ٤٠٩/٥، ٣٢٩/٦

روى الشيخان بسنديهما عن المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال: إني ساببت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فان كلفتموهم فأعينوهم"(١)

ونرى في تاريخ الإسلام نماذج كثيرة لتحقيق هذا المبدإ؛ منها قصة جبلة بن الأيهم – الأمير الغساني – الذي جاء إلى المدينة مسلما ومعه جمع من أعوانه، ورحل إلى مكة موسم الحج ليؤدي مناسكه، وبينما هو يطوف بالبيت إذ وطيء رجل أعرابي من فزارة على إزاره فانحل الإزار، فلطم الأمير الغساني الرجل بغير حق؛ فشكاه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأحضر عمر الأمير وطلب منه أن يمكن الأعرابي ليقتص منه – لطمة بلطمة – إلا إذا عفا عنه الأعرابي وصفح. وعز على الأمير أن يفعل ذلك فقال لعمر: كيف يقتص مني إنه رجل من السوقة وأنا ملك ابن ملك؟ والله لقد ظننت أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية؛ فقال عمر: "إن الإسلام وعدله بخلاف الجاهلية فأرضه من نفسك".

ولم يسع جبلة بن الأيهم، الأمير الغساني، هذا المبدأ الذي جعل الملك رجلا عاديا مثل أعرابي من البادية أمام القضاء فخرج من المدينة هاربا مرتدا عن الإسلام.(٢)

ومن هذه النماذج أيضا حكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ابن عمرو بن العاص عامله على مصر حينما ضرب قبطيا بغير حق.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ١٣/١، وصحيح مسلم، كتاب الايمان، باب صحبة المماليك ٢١٣/٤، وانظر: البخاري، كتاب العتق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: العبيد اخوانكم فأطعموهم مما تأكلون، ١٢٣/٣، وسنن أبي داود، كتاب الآداب، باب حق المملوك ٣٤٠/٤، ومسند الامام أحمد ١٦١/٥

(٢) انظر: كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ٣٠٢/١،٣٠٣

أخرج عبد الرحمن بن الحكم بسنده عن أنس رضي الله عنه أن رجلا من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم قال: عذت معاذا، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو رضي الله عنهما يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه، فقدم فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الألأمين، قال أنس: فضرب والله! لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال للمصري: ضع على صلعة عمرو، فقال: ياأمير المؤمنين، إنما ابنه الذي ضربني؛ وقد استقدت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس؟ وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا! قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتني.(١)

إن اختلاف الناس في ألوانهم وأنسابهم وألسنتهم لا ينبغي أن يكون سبب تمييز بينهم في القيمة الإنسانية والمنزلة الاجتماعية كما أن اختلافهم في الحرف والأعمال المعيشية والوظائف والمناصب الاجتماعية أيضا لا ينبغي أن يكون سببا لتقسيمهم إلى طوائف أو طبقات تتميز بعضها عن بعض وتختص بحقوق وامتيازات معينة دون غيرها. وكذا لا ينبغي أن تختص أعمال معينة لطائفة معينة من الناس نظرا إلى أنسابهم وألوانهم دون اعتبار بمواهبهم وقدراتهم وصلاحهم؛ بل الحق في ذلك أن يتعين الرجل لأي عمل من الأعمال لأحقيته وأصلحيته لذلك العمل. ويجب على ولي الأمر تولية الأصلح لكل عمل من أعمال المجتمع؛ والأصلحية بالقوة والأمانة؛ لا بالنسب والولاء ولا غير ذلك، فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما أو ولاء عتاقة أو صداقة أو موافقة في بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس كالعربية والفارسية والتركية والرومية أو غير ذلك من الأسباب فإن ذلك خيانة في حق الله تعالى ورسوله والمؤمنين.(٢)

---

(١) فتوح مصر وأخبارها لأبي القاسم عبد الرحمن بن الحكم ص١٦٧-١٦٨، وانظر: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للامام جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي ص٩٨،٩٩ ، ومنتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلي بن حسام الدين المتقي ٤٢٠/٤ (بهامش مسند الامام أحمد بن حنبل، دار الفكر)

(٢) انظر: السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٠

وكل شيء ينبني على تمييز الناس في القيمة الإنسانية والمنزلة الاجتماعية بمجرد اختلافهم نسبا ولونا ولغة وما إلى ذلك بغير شرع لا أساس له في الهدي الإسلامي، بل أساسه الجهل والهوى ، وكان أول من احتج به هو إبليس الذي ادعى لنفسه الشرف والعلو على البشر قياسا على الأصل والجنس واحتج بذلك على إبائه السجود لآدم عليه السلام حيث جاء في القرآن قوله : ﴿ **قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ﴾ (١) فرد الله تعالى عليه بقوله: ﴿ **فَاهْبِطْ مِنهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾ (٢)

وتمييز البرهمية بين الناس على هذا الأساس واعتبارها بعضهم نجسا عينيا دون بعض وإبعادهم عن مرافق الحياة العامة، وتحريم التعليم والتربية والتطلع إلى الكمال والسعادة على بعضهم، وتشديد العقوبات على بعضهم دون بعض وغير ذلك من مظاهر النظام الطبقي – كل ذلك يتنافى مع مباديء الإسلام في الكرامة الإنسانية والأخوة البشرية والعدالة الاجتماعية التي جعلها الله سبحانه وتعالى أسسا لسعادة الفرد والمجتمع في الحياة الدنيا والآخرة.

وسيأتي تفصيل هذه المباديء عند الكلام على نظام الطبقات في مختلف مجالات الحياة إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة الأعراف ،الآية ١٢

(٢) سورة الأعراف ،الأية ١٣

الفصل الثالث

واقع الطبقية عند البراهمة في مجالات الحياة

المبحث الاول

الطبقية في أمور الدين

المطلب الاول : الزعامة الدينية

المطلب الثاني : سدانة المعابد

المطلب الثالث : تعلم الكتب المقدسة وتعليمها

المطلب الرابع : عقوبات الطبقات الوضيعة

المطلب الخامس : نقد الطبقية عند البراهمة في أمور الدين على ضوء الإسلام

الفصل الثالث

واقع الطبقية في مجالات الحياة

إن الذي وضع النظام الطبقي في الديانة البرهمية جعل لها أحكاما مختلفة حسب اختلاف طبقات المجتمع في أمورها الدينية والمدنية والاجتماعية والسياسية وغير ذلك. فجعل لكل طبقة من الطبقات الأربع أحكاما خاصة تزداد قسوة وضراوة كلما تدنت منزلة الطبقة في المجتمع، فحينما تكون لطبقة البراهمة امتيازات وتسهيلات كثيرة، يكون لطبقة الشودرا والمنبوذين أشد الأحكام وأقسى العقوبات في كل أمر من أمور الحياة.

وقد ذكرنا أن هذا التمييز في الأحكام والأجزية ينبني على أمرين رئيسين،

أحدهما : تقرير الديانة البرهمية أن البشر ليسوا سواء في الخلق والكرامة والوظائف، وإنما خلقهم الإله برهما على طبقات أربع تختلف منازلهم ومزاياهم تبعا لذلك، وأن طبقة البراهمة هي أعلى الطبقات وأطهرها وأفضل البشر أجمع، بل الآلهة في الأرض، فلا ينبغي أن يمس الحكم كرامتهم وقداستهم.

والأمر الثاني الذي ينبني عليه التمييز الطبقي هو أن التشريع والتنفيذ للقوانين والقضاء في الاختلافات كان كل ذلك في سلطة طبقة البراهمة، وضعوا القوانين في العصر الويدي الذي كان عصر نفوذ البراهمة واستيلائهم على جميع الطوائف من سكان الهند، وجمعت هذه الأحكام وشرحت بعد ذلك في كتب القوانين التي عرفت ب"سمرتي" مثل منو وياجناولكيا وبراشرا وغيرها والتي كان عليها اعتماد الحكام الهندوسيين في القضاء في جميع أنحاء الهند.(١)

ولندخل الآن إلى واقع الطبقية في مختلف مجالات الحياة.

---

(١) راجع ص ١٠٩

المبحث الأول

الطبقية في أمور الدين

المطلب الأول

الزعامة الدينية

لقد أعطى النظام الطبقي لطبقة البراهمة حقوقا متميزة دون غيرها من سائر الطبقات، هي المكانة الأولى في جميع شؤون الحياة.

ففي أمور الدين لها الزعامة على الطبقات الأخرى ، وذلك للقيام بالعبادات لجميع الناس والإشراف عليها وسدانة المعابد وبنائها.

ويعتقد البراهمة أن الإله براهما الخالق هو الذي أعطاهم هذه الحقوق حين خلقه للناس وتعيينه لوظائف ومهمات كل طبقة من الطبقات الأربع، فعين لطبقة البراهمة القيام بالأعمال التعبدية والإشراف عليها وتعلم الويدا وتعليمه.

يقول منو:
"وعين براهما وظائف كل طبقة من الطبقات الأربع من البراهمة والكشترية والويشية والشودرا التي خلقها من وجهه ويده وفخذه وقدمه على الترتيب للحفاظ على العالم. فعين للبراهمة تعلم الويدا وتعليمه وإقامة الياجا وإعماله من غيره والتصدق بالصدقات وقبولها من غيره".(١)

على هذا فإن الويدات والكتب الدينية الأخرى تقرر هذه الحقوق لطبقة البراهمة في أمور الدين؛ فلا يجوز لأي واحد من أفراد الطبقات الأخرى أن يقوم بالأعمال الدينية في المعابد، ولا تقام إلا بحضرة البرهمي العالم للويدا الذي يشرف على المراسم ويتقبل الأضاحي والنذور للآلهة، ويبارك العابدين بإعطائهم المواد المُتَبَرَّكَة من الآلهة.

---

(١) منو سمرتي ٨٨،٨٧/١

ويقول منو:

"إن جسم الرجل طاهر فما فوق العانة أطهر، فصار وجه البراهمة أطهر من الكل، ويصير البرهمي إلى منزلة عالية دينا حيث هو مولود من وجه براهما وحامل للويدا وواعظ الدين لكل الطبقات. وقد أوجد براهما الموجود بنفسه البرهمي من وجهه لكي يرضي الآلهة بأعمال الياجات والشرادهات(١) ولكي ينقذ سائر الطبقات بتعليمهم الدين"(٢)

ويقول أيضا:

"إن ولادة البرهمي تجسد للدين الخالد، والبرهمي الذي خلق لبيان الدين يتأهل للسعادة بمجرد معرفته، والذي ولد في الأرض بأفضليته يحافظ على كنز الدين لجميع الطبقات كالملك يحافظ على جميع رعاياه".(٣)

وحصرت القوانين حق قبول الصدقات والهدايا ممن تصح منهم في طبقة البراهمة حيث إنهم الذين وضعهم الإله لذلك دون غيرهم فهم الآلهة في الأرض، وعلى هذا تأتي إلى البراهمة أموال كثيرة من الصدقات والهدايا والكفارات.

ويذكر شانكراسمرتي، أحد كتب التشريع، أنواعا من الصدقات التي تقدم للبراهمة في أول يوم من كل شهر من شهور السنة. من هذه الصدقات أشياء منزلية ومعيشية مثل اللبن والسمن والقمح والحبوب، ومثل المراوح والمظلات والنعال والملابس والحرير وغيرها. ومنها البهائم مثل الشاة والبقرة مع عجلها، وبقرة ذات وجهين وست أرجل، يجزيء عنها – إذا لم توجد – بتمثالها من الذهب والفضة، كما يقدم الذهب والفضة على صورة الحصان أو السمك أو غير ذلك.(٤)

وأساس ذلك اعتقادهم أن البرهمي أعلى جميع الكائنات لكونه مولودا من وجه الإله براهما، وأن جميع ما في الكون ملك له، فإذا أخذ أغراض غيره فانها في الحقيقة له، وإنما يستخدمها غيره بفضل كرمه وسماحته.(٥)

---

(١) راجع مبحث العبادات في الديانة البرهمية ص٦٣ و ٦٤

(٢) منو سمرتي ١/٩٢-٩٤

(٣) المصدر السابق ١/٩٨،٩٩

(٤) انظر: شانكرا سمرتي ٥/٣/١٢-١٥

(٥) انظر: منو سمرتي ١/١٠٠-١٠١

وهناك أنواع من الأعمال التعبدية تقام لإرضاء البراهمة الذين يشرفون على المعابد والمراسم، منها إطعام البراهمة المشرفين على الشعائر بأطعمة شهية بأنواعها المختلفة يقدمها العباد إرضاء وتعظيما وعبادة لذواتهم وتبركا بهم، لأن رضا البراهمة سعادة الناس في الدنيا حيث إنهم آلهتهم في الأرض، ولا ينال رضاهم إلا بعبادتهم وإكرامهم وتقديم الهبات والصدقات لهم.

في هذه الشعائر التعظيمية يجلس البراهمة على منصات في المعابد يتلون الويدات ويهمهمون بالأوراد والأذكار، فيأتي العباد يقدمون لهم نذورا ويسجدون أمامهم بالأعضاء الثمانية ثلاث مرات، فيباركهم هؤلاء، ثم يقدم لهم العباد موائد مختلفة.(١)

ولأجل المحافظة على الزعامة ينشأ البرهمي منذ صغره معودا على الأعمال الدينية وتعلم الكتب المقدسة، وتدرب إقامة الشعائر التعبدية في المعابد، ولا يخرج من بيته أو معبده لمزاولة الأعمال المعيشية الأخرى مثل الزراعة والتجارة حيث حرمتها عليه القوانين إلا عند الضرورة وجعلتها من وظائف الطبقات الأخرى.(٢)

---

(١) انظر: كيرالا في القرن التاسع عشر، لمؤلفه بي بهاسكرانوني ص٧٢

(٢) المصدر السابق ص٥٥

المطلب الثاني

سدانة المعابد

سدانة المعابد وعمارتها من حقوق طبقة البراهمة حيث لها الزعامة الدينية في المجتمع الهندوسي دون غيرها، فهي تقوم ببناء المعابد البرهمية وعمارتها وإقامة الشعائر التعبدية فيها، وتقبل الصدقات والقربات التي تقدم للآلهة فيها، وتختص هذه الأمور بطبقة البراهمة لكونها أعلى الطبقات ولأن الخالق جعل لها جميع تلك الوظائف الدينية كما تقدم.

ولهذا اهتمت طبقة البراهمة ببناء المعابد ونصب الآلهة وإقامة الشعائر والاحتفالات الدينية فيها اهتماما كبيرا حتى أصبح من عاداتهم بناء معبد خاص بكل منزل من منازلهم، وكذا شيدوا معابد ضخمة في كل بقعة من بقاع الأرض التي احتلوها ونصبوا فيها كبار آلهتهم وأقاموا فيها شعائرهم. ووضعوا قوانين لارتياد هذه المعابد مثل ألا يدخلها أحد إلا بطهارة القلب واللسان والأركان، وألا يكون بجوارها في حدود معينة مساكن أو متاجر، وأن يقدم مرتادوها الأشياء الثمينة التي يقتنوها للآلهة مراعاة لمصلحة المجتمع وما إلى ذلك؛ وزينوا المعابد بالحدائق والبرك وغيرها كما شيدوا بجوارها مدارس لجميع العلوم.(١)

وقد استطاع البراهمة ببناء هذا العدد الكبير من المعابد ـ وسدانتها وإقامة الشعائر فيها ـ أن يحافظوا على زعامتهم الدينية ومصالحهم الدنيوية حيث تأتيهم أموال طائلة من الصدقات والهدايا والكفارات والنذور وغير ذلك من الأموال التي يقدمها المعتقدون بآلهتهم وأن يستغلوا نزعاتهم الدينية ويستخدموهم لتحقيق امتيازات الطبقات العليا وطموحاتها والحفاظ على سيادتها على سائر الطبقات حيث هم الذين شرعوا القوانين حسب أهوائهم ومطامعهم ونفذوها في المجتمع بسلطتهم وقوتهم .

---

(١) انظر: التعريف بالديانة البرهمية ص٣٠٨و٣١٣

المطلب الثالث

تعلم الكتب المقدسة وتعليمها

من الامتيازات التي أعطاها النظام الطبقي لطبقة البراهمة تعلم الويدات – الأسفار المقدسة في الديانة البرهمية – وتعليمها الناس؛ ويعتقد البراهمة أن هذا الحق محصور فيهم جعله لهم الإله براهما عندما خلق الطبقات وعين وظائف كل طبقة.

وقد أعطى براهما حق تلاوة الويدا لطبقة الكشترية وطبقة الويشية أيضا، حيث يستقر الكشتري والويشي في علوهما الطبقي بعمل المراسم التأهيلية المسماة بأبنيانا التي تؤهل المرء لتلاوة الكتب المقدسة.

ولكن البرهمي هو الذي أعطي حق تعليم الكتب المقدسة وتفسيرها وتأويلها وشرحها وتشريع الأحكام على ضوئها للناس دون غيره من الناس؛ فهو لكونه حاملا للويدات ومعلما لها ومشرفا على الشعائر الدينية في المعابد صار إلها في الأرض؛ ولهذا، نرى أتباع البرهمية يعبدون البراهمة أنفسهم وهم في منصات المعابد يستقبلون النذور والصدقات والأضاحي.

يبين منو منزلة البراهمة في ذلك ـ وحقهم في تعليم الأسفار الدينية وشرح الأحكام ـ حيث جاء في كتابه قوله:

"إن البرهمي يصير إلى منزلة عالية دينا لكونه مولودا من وجه براهما الذي هو أطهر الأعضاء، وحاملا للويدات، وواعظا للدين لكل الطبقات. (١) وإن ولادته تجسد للدين الخالد، والبرهمي الذي خلق لبيان الدين يتأهل للسعادة بمجرد معرفته؛ وهو الذي يحافظ على كنز الدين لجميع الطبقات كالملك الذي يحافظ على جميع رعاياه. (٢) ويجب أن يدرس هذا العلم عن طريق البرهمي الذي يعرف عظمة هذا العلم ويعظ به تلاميذه دون غيرهم من الطبقات؛ والبرهمي الذي يقوم بوعظ هذا العلم بالمعرفة والإخلاص يسلم من شرور أعمال القلب واللسان والأركان ويزكي كل واحد من جماعته ويهدي قبيلته إلى الحق مع سبعة قرون من قبله وسبعة من بعده، ويتأهل لقبول ما في الأرض كلها صدقة".(٣)

---

(١) انظر: منو سمرتي ٩٣/١

(٢) المصدر السابق ٩٨/١، ٩٩

(٣) المصدر السابق ١٠٣/١، ١٠٥

وجاء فيه أيضا:

إن البراهمة الذين لهم الحق في عمل المراسم الدينية من الحمل إلى اللحد بالمنترات (الأذكار الدينية) لهم الحق أيضا في تعلم أو تفسير هذا العلم المتعلق بحقوق الإنسان دون غيرهم.(١)

والبرهمي ينال سعادته بمجرد تلفظ ذكر "جايتري" وإن لم يعمل لنفسه أعمال الياجات؛ فله أن يعملها أو يتركها؛ ولهذا يصير البرهمي صديقا لجميع الحيوانات.(٢)

وإذا وقع الناس في شك أو اختلاف في المسائل المبينة في هذا العلم باختلاف الزمان أو المكان، وحيث لم يبين فيه كل الأحكام، فإن الحكم في تلك المسائل هو الذي يحكمه البرهمي.(٣)

أما الكشتري والويشي فيجوز لهما تلاوة الويدات والكتب الدينية الأخرى، إلا أنه لا ينبغي لهما تعليمها وتفسيرها إذ إن هذا ليس من وظائفهما؛ وإنما وظيفة الكشتري سياسة البلاد ورعاية الناس ووظيفة الويشي رعاية المواشي وزراعة الأرض وتجارة المواد.

أما الشودري فليس له حق أبدا في تعلم الويدات أو تلاوتها أو تلفظ كلماتها أو سماعها من غيره.

---

(١) المصدر السابق ١٦/٢

(٢) المصدر السابق ٨٧/٢، وتقدم شرح للياجات وذكر جايتري في مبحث العبادات،راجع ص٦٠ و٦٣-٦٤

(٣) المصدر السابق ١٠٨/١٢

المطلب الرابع

عقوبات الطبقات الوضيعة

حينما تجعل الديانة البرهمية كل الامتيازات والحقوق الدينية في الطبقات الرفيعة تحرمها جميعا على الطبقات الوضيعة؛ وتحكم بعقوبات شديدة على من يحاول من أفرادها ممارسة شيء من الأعمال الدينية.

ويمنع الشودري عن جميع أعمال الدين لكونه نجسا، مخلوقا من أقدام البراهما التي هي أحط أعضاء الجسم؛ فلا يحق له أن يعمل شيئا من أمور الدين؛ وإن واجبه الوحيد الذي ينال به الغبطة والسعادة في الدنيا هو الخضوع الكامل للعالم البرهمي. وإن سعادته بعد الموت تتوقف على خدمة طبقة البراهمة بجد وإخلاص، وإذا وفى بما عليه طوعا وبدون كراهية في النفس يولد في الحياة اللاحقة في طبقة أعلى؛ ويستحق القيام بالأعمال الدينية حسب النظام الطبقي.(١)

تبين كتب الشرائع أن الشودري يبعد من الأماكن التي تقام فيها تلاوة الويدات أو تعليمها، أو الشعائر التعبدية، ولا يجوز له أن يتلو الويدات أو يتلفظ بمنترات العبادة ولا الاستماع إليها؛ فإذا حاول أن يمارس شيئا منها أو أن يقترب إلى أماكنها فانه يعاقب على ذلك عقابا رادعا.

ورد في هذه الكتب أنه لا ينبغي للقائم بأعمال الياجات أن يكلم الشودري عند اقامتها ولا يجوز للشودري أن يحضرها(٢) ولا ينبغي له أن يحلب البقرة التي يستخدم لبنها في شعائر "أجني هوترا"(٣) ولا أن يحضر مشرب "سوما"؛(٤) وإذا سمح له أحد بذلك أو أكرمه عندما تقام أعمال الياجات يغرم بمائة نقد.(٥)

---

(١) انظر: منو سمرتي ٩/٣٣٤،٣٣٥ و١٠/١٢١

(٢) انظر: شتبتا براهمنا ١/١/٣/١٠، وبنجومشا براهمنا ١/٤/١١، وميترايني سمهتا١/١/٧/٦

(٣) انظر: كادهكا سمهتا٢/٣١، وميترايني سمهتا ٤/١/٣ و٨/١/٣
أجني هوترا شعيرة دينية تضحى فيها المواد وتقدم للاله أجني إله النار(معجم أمرا مادة أجني هوترا ص٢٧)

(٤) سوما شراب مسكر يصنع من نبات يسمى سوما، ويحبه الآلهة فيقدم لهم في مناسبات، وهناك شعيرة خاصة باسم "سوما ياجا" (معجم أمرا، مادة سوما ص٩٥٧)

(٥) أنظر:وشنو سمرتي٥/١١٥، والمراد بالنقد عملة قيمتها ربع روبية كانت متداولة في العصر القديم •

وكذلك لا ينبغي لأحد من الطبقات الثلاث العليا أن يتعلم الويدا بحضور الشودري فهو في ذلك مثل المقبرة التي لا تتلى فيها الويدات، ويقلع القاريء عن تلاوته إذا لاحظته امرأة شودرية(١) ولا يجوز له أن يعلم شودريا شيئا من العلوم التي تنفعه في الدنيا، كما لا يعطيه فضل الأكل الذي يبقى في المناسبات الدينية، ولا يوعظ بحكم أو أمر ديني مباشرة إلا بحضور برهمي آخر، والذي يعظ الشودري بحكم ديني يلقى معه في ظلمات جهنم تسمى "أنتورتا"(Antavrata) ولا يدعى لأعمال الشرادها.(٢)

وإذا حاول الشودري أن يتعلم الكتب المقدسة أو يتلفظ بكلماتها أو يستمع إلى من يقرؤها يكون جزاؤه بعد الموت عذاب جهنم، وأما جزاؤه في الدنيا فهو شديد كما بينته كتب الشرائع.

جاء في آبستمبا سوترا وجوتما سوترا أن الشودري الذي يحاول تعلم الأوامر الدينية أو يتلفظ بكلمات الويدات يعاقب بقطع لسانه؛ وإذا حاول استماع تلاوة الويدا قصدا يصب في أذنيه رصاص مذاب؛ وإذا لم يزل يذكر تلك الكلمات يشق جسمه إلى شقين.(٣)

وجاء في كتب وشنو ومنو وناردا أنه إذا حاول أحد من الطبقات السفلى أن يذكر أحدا من الطبقات العليا بواجباته أو وظائفه يعاقب بصب الزيت المغلي في فمه وأذنيه.(٤)

وبهذا العقاب الرادع بقيت طبقات الشودرا والمنبوذين بعيدة عن أسباب النمو والسعادة خوفا من انتقام الطبقات العليا، وازدادت أحوالهم الاجتماعية سوءا ومهانة بتقادم العصور.

---

(١) انظر: آبستمبا دهرما سوترا ١/٣/٩/٨-١١، ووسستها دهرما سوترا ١٨/١-٣

(٢) انظر: منو سمرتي ٣/١٥٦، و٤/٧٨-٩٩،٨١

(٣) انظر: آبستمبا ٢/١٢، وجوتما ١٥/٤-٦

(٤) وشنو سمرتي ٢/٢٤، ومنو سمرتي ٨/٢٧٢، وناردا سمرتي ١٥/٢٤

المطلب الخامس

نقد الطبقية في أمور الدين عند البراهمة على ضوء الإسلام

تبين لنا مما سبق من عرض النظام الطبقي للبرهمية في أمور الدين أن طبقة البراهمة قد وضعت لنفسها منزلة عالية في أمور الدين وبنت حولها سياجا دينيا منيعا، فلا يمكن لأحد من سائر الطبقات أن يبلغها، ولا تتحول هذه المكانة من طبقة البراهمة إلى غيرها أبدا.

فللبراهمة الزعامة الدينية وقد جعلوا أنفسهم وسطاء بين الناس وبين الآلهة، فاستأثروا بحقوق تعلم الدين وتعليمه والقيام بالأعمال الدينية لأنفسهم ولغيرهم من جميع الطبقات وكذا سدانة المعابد والمؤسسات الدينية وقصروا على أنفسهم حق قبول الصدقات والهدايا والنذور والكفارات التي يقدمها العباد لهم ولآلهتهم، لتكون هذه الصدقات موارد عيش لهم بغير جهد منهم.

وكذلك منعت طبقة البراهمة أفراد الطبقات الأخرى من القيام بأي عمل من الأعمال المخصصة للبراهمة؛ كما أبعدت الطبقات السفلى من الشودرا والمنبوذين عن الاقتراب من معابدهم ومحافلهم، وتوعدتهم بعقوبات رادعة حفاظا على امتيازاتهم وقداستهم الطبقية.

ونرى من خلال دراستنا لقوانين البرهمية الدينية على وجه خاص أن البراهمة هم الذين وضعوا هذه القوانين حفاظا على مصالحهم الخاصة ونفذوها بسلطانهم ونفوذهم في المجتمع. وفرقوا بين أتباع الدين إلى منازل متفاوتة يختلف بعضهم عن بعض في مزاولة الأمور الدينية والتقدم إلى الكمال النفسي والعقلي إيمانا واعتقادا وامتثالا للأوامر الإلهية في حين يجب أن يكون الدين جامعا لأتباعه في منزلة واحدة، غير مفرق بينهم في تعلق تكاليفه وأحكامه بهم وفتح أبوابه أمام كل من أراد الدخول فيه.

وسنتناول فيما يلي موقف الإسلام من أتباعه في الإيمان به والدخول فيه والامتثال لأوامره وتلقي علومه والتطلع إلى الكمال النفسي سواء أكانوا أشرافا أم دون ذلك في اعتبار الناس مختصرا في النقاط التالية :

أ ـ عدم التمييز في أمور الدين . ب ـ عموم الدعوة لجميع الناس . جـ ـ عدم التمييز في بلوغ الشرف . د ـ طلب العلم وتعليمه .

عدم التمييز في أمور الدين

لقد قرر الإسلام كرامـة الإنسـان وبيـن أن البشـر جميعـا أبنـاء رجـل واحـد وامـرأة واحدة لا يميز بعضهم عن بعض فروق طبعيـة مـن لـون أو لغـة أو غنـى أو فقـر أو نحـو ذلك.

قال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(١)

والناس كلهم عبيد الله لا يتفاضلون بفـروق عرقيـة أو لونيـة أو عضويـة أو غيرهـا إلا بالإيمان وتقوى الله وطاعته ومتابعة رسله عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٢)

وروى الامام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيـل للنبـي صلـى الله عليه وسلم: "من أكرم الناس؟" قال: "أكرمهم أتقاهم" (٣)

---

(١) سورة النساء، آية ١

(٢) سورة الحجرات، آية ١٣

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ١١٩/٤، وبـاب قـول الله تعالى: لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين ١٢١/٤، وكتاب المناقب، بـاب قـول الله تعـالى: يأيها الناس انا خلقناكم الآية ١٥٣/٤، وكتاب التفسير، تفسير سورة يوسف، بـاب قولـه تعـالى: لقد كـان فـي يوسف واخوته آيات للسائلين ٢١٦/٥، وانظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب مـن فضـائل يوسـف عليه السلام ١٨٤٦/٤، ومسند الامام أحمد ٤٢١/٢

عموم الدعوة لجميع الناس

والدخول في الدين مطلوب من كل إنسان، والرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا يدعون الناس كلهم – عامتهم وأشرافهم – إلى الإيمان بعقيدة الإسلام والإذعان لأحكامه، فمن دخل فيه وآمن بعقيدته وامتثل أوامره فقد حصل على الكرامة والحرمة في عرضه ودمه وماله.

وردت في القرآن الكريم قصة نوح عليه السلام مع قومه، عابه أشرافهم الكفرة بأن الذين اتبعوه أراذل القوم وسفلتهم، فأجابهم بأن الذين يزدرونهم ويعتبرونهم أراذل الناس استحقوا ثواب الله تعالى ونالوا كرامتهم وعصمتهم بالإيمان، وليس لأحد أن يمنعهم أو يطردهم أو يبعدهم، لأن ذلك ظلم لهم.

قال تعالى:

﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾(١)

قال الامام القرطبي رحمه الله في تفسير الاية:

"أرادوا اتبعك أخساؤنا وسقطتنا وسفلتنا... وكان ذلك جهلا منهم، لأنهم عابوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لا عيب فيه، لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم انما عليهم أن يأتوا بالبراهين والآيات وليس عليهم تغيير الصور والهيئات، وهم يرسلون إلى الناس جميعا فإذا أسلم منهم الدنيء لم يلحقهم من ذلك نقصان، لأن عليهم أن يقبلوا اسلام كل من أسلم منهم"(٢)

فرد عليهم نوح عليه السلام بقوله الذي حكاه الله تعالى عنه:

﴿وَيَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ؛ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ؛ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾(٣)

---

(١) سورة هود، آية ٢٧

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩/٢٩

(٣) سورة هود، آيات ٢٩-٣١

قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية:

"ولا أقول عن هؤلاء الذين تحتقرونهم وتزدرونهم أنهم ليس لهم عند الله ثواب على أعمالهم؛ الله أعلم بما في أنفسهم فإن كانوا مؤمنين باطنا كما هو الظاهر من حالهم فلهم جزاء الحسنى ولو قطع لهم أحد بشر بعد ما آمنوا لكان ظالما قائلا ما لا علم له به".(١)

والناس من حيث هم يتساوون أيضا في تلقي أمور الدين ولحوق التكاليف بهم؛ فلا يحجب أي إنسان حاجب أن يأتيها في أي وقت شاء؛ فالذي يتقرب إلى الله بالتقوى والعبادة وفعل الواجبات أكثر من غيره هو الأكرم عند الله.

روى الامام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ؛ وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها؛ وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته".(٢)

جاء النهي في القرآن الكريم للنبي صلى الله عليه وسلم عن طرد أولئك المؤمنين الضعفاء عنه حين اشترط أشراف قريش لاتباعهم له صلى الله عليه وسلم طرد أولئك المؤمنين؛

فقال تعالى:

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ﴾(٣)

(١) تفسير ابن كثير ٤٤٤/٢

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ١٩٠/٧، وانظر: مسند الامام أحمد ٢٥٦/١، "

(٣) سورة الأنعام، آية ٥٢

وقال تعالى:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا....﴾ الآية(١)

قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: "أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء؛ يقال: إنها نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود وليفرد أولئك بمجلس على حدة فنهاه الله عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾(٢) الآية وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال :﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ ...﴾ الآية"(٣)

عدم التمييز في بلوغ الشرف

وهؤلاء الصحابة الضعفاء الذين لم يكونوا من سادات قريش وأشرافهم قد بلغوا منازل عالية في الإسلام فكانوا أئمة ودعاة وولاة يأتم بهم كبار الصحابة وأغنياؤهم؛ لم يمنعهم من ذلك اختلافهم نسبا ولا شرفا.

فهذا بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما لقب بمؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم على التعيين بالجنة.(٤)

أخرج الامام البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان عمر يقول: "أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالا".(٥)

وعمار بن ياسر رضي الله عنه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه: "عمار مليء إيمانا إلى مشاشه".(٦)

---

(١) سورة الكهف، آية ٢٨

(٢) سورة الأنعام آية ٥٢

(٣) تفسير ابن كثير ٨١/٣

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ٣٤٧/١

(٥) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب بلال بن رباح مولى أبي بكر ٢١٧/٤

(٦) رواه ابن ماجه في سننه، المقدمة،باب فضل عمار بن ياسر ٥٢/١، والامام أحمد في كتاب فضائل الصحابة،باب فضائل عمار بن ياسر رضي الله عنه،تحقيق وصي الله بن محمد عباس،٨٥٨/٢، وقال المحقق:مرسل رجاله ثقات.والمشاش هي رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها(نفس المصدر ٨٥٩/٢)

وروى الترمذي بسنده عن علي رضي الله عنه قال: جاء عمار يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ائذنوا له، مرحبا بالطيب المطيب".(١)

واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة وكتب إليهم أنه من النجباء من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.(٢)

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الملقب بابن أم عبد من علماء الصحابة؛ بعثه عمر بن الخطاب معلما إلى أهل الكوفة وكتب إليهم أنه من النجباء من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.(٣)

وكان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين إلى المدينة في الصلاة وكان فيهم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهما من كبار الصحابة رضوان الله عليهم.(٤)

وكان سالم مولى أبي حذيفة وعبد الله بن مسعود من الأربعة الذين أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلقي القرآن منهم.(٥)

هكذا، وصل هؤلاء الصحابة الذين لم يقم كفار قريش لهم وزنا واعتبروهم ضعفاء القوم إلى مراتب عليا في العلم والدين بفضل إيمانهم وجهودهم ومواهبهم.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عمار بن ياسر ٦٢٦/٥، وقال حديث حسن صحيح، وانظر: سنن ابن ماجه، المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضل عمار بن ياسر ٥٢/١

(٢)،(٣) روى الامام أحمد بسنده عن حارثة قال: قريء علينا كتاب عمر السلام عليكم أما بعد فإني قد بعثت اليكم عمارا أميرا وعبد الله معلما ووزيرا، وإنهما من نجباء أصحاب محمد وممن شهد بدرا، اسمعوا لهما وأطيعوا؛ وقد آثرتكم بهما على نفسي... الحديث(كتاب فضائل الصحابة،حديث ١٥٤٧، تحقيق وصي الله بن محمد عباس،٨٤١/٢،٨٤٢، قال الهيثمي:"رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير حارثة وهو ثقة" (مجمع الزوائد ٢٩٤/٩)

(٤) روى الامام البخاري في الصحيح بسنده عن ابن عمر قال: لما قدم المهاجرون الأولون العصبة –موضع بقباء– قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة وكان أكثرهم قرآنا.(كتاب الأذان، باب امامة العبد والمولى، وكانت عائشة يؤمها عبدها ذكوان من المصحف وولد البغي والأعرابي والغلام الذي لم يحتلم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "يؤمهم أقرؤهم لكتاب الله" ولا يمنع العبد من الجماعة بغير علة ١٧٠/١، وانظر عنده: كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية ١٠٥/٨

(٥) روى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "استقرئوا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود فبدأ به وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل"؛ قال لا أدري بدأ بأبي أو بمعاذ.

(البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة، وباب مناقب عبد الله بن مسعود ٢١٨/٤، ومناقب الأنصار، باب مناقب معاذ بن جبل ٢٢٨/٤، ومناقب أبي بن كعب ٢٢٨/٤، وانظر: صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله تعالى عنهما ١٩١٣/٤،١٩١٤، ومسند الامام أحمد ١٨٩/٢،١٩٥

ولا يفرق المؤمنون في أداء الشعائر التعبدية في المساجد والأماكن المقدسة وغيرها، فلا يمنع فقير ولا حقير ولا أمي ولا عبد؛ بل الجميع عباد الله تفتح المساجد أمام كل واحد، بل الذي يأتي أولا يأخذ مكانه في المقدمة سواء أكان شريفا أم وضيعا في اعتبار الناس ثم في الصلاة يقف الخادم مع الحاكم والغني مع الفقير والشريف مع الوضيع بلا تمييز.

روى البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه يقول: نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقيم الرجل أخاه من مقعده ويجلس فيه.(١)

وكذا يجتمع المسلمون في الأماكن المقدسة أيام الحج من جميع أنحاء الأرض باختلاف ألوانهم وأجناسهم وألسنتهم يرتدون لباسا واحدا ويلبون تلبية واحدة؛ ويؤدون مناسك الحج والعمرة من طواف وسعي ووقوف وغيرها مختلطين على السواء.

وقد أنكر الله تعالى على قريش ومن معهم وقوفهم في الحج أيام الجاهلية إذ كانوا يقفون موقفا خاصا بهم يقال له جمع، ويقف عامة الناس بعرفة، فقال:

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ الآية(٢)

قال القرطبي رحمه الله في تفسير الآية:

"الخطاب للحمس، فإنهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات، بل كانوا يقفون بالمزدلفة وهو من الحرم، وكانوا يقولون نحن قطين الله، فينبغي لنا أن نعظم الحرم، فلا نعظم شيئا من الحل، وكانوا مع معرفتهم وإقرارهم أن عرفة موقف إبراهيم عليه السلام لا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ويفيضون منه ويقف الناس بعرفة".(٣)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب لا يقيم الرجل أخاه يوم الجمعة ويقعد في مكانه٢١٨/١، وانظر: مسند الامام أحمد ٢٢/٢

(٢) سورة البقرة، آية ١٩٩

(٣) تفسير القرطبي ٤٢٧/٢، الحمس قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة وبنو نصر بن معاوية؛ سموا حمسا لتشديدهم في دينهم.(انظر: تفسير القرطبي ٣٤٥/٢،وفتح الباري ٦٠٣/٣) وقطين الله سكان حرمه، والقطين جمع قاطن كالقطان (تفسير القرطبي ٤٢٧/٢)

وانظر: صحيح البخاري،كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة ١٧٥/٢، وصحيح مسلم كتاب الحج، باب الوقوف وقوله تعالى: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ٨٩٣/٢، وسنن الترمذي، كتاب الحج باب ما جاء في الوقوف بعرفات ٢٣١/٣، وسنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب الدفع من عرفة ١٠٠٥/٢

طلب العلم وتعليمه

لقد ورد بيان فضل العلم ومكانته وضرورة المجتمع إليه لإصلاحه وبناء حضارته واستقامته على الهدى في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كما ورد فيها الحث على الإقدام على طلب العلم وتعليمه؛ بل ورد الأمر بالايجاب على كل فرد من أفراد المجتمع بطلب القدر الضروري الذي يجعله يؤدي الواجبات الأساسية على الأقل، على الوجه المطلوب؛ كما يجب على المجتمع الإسلامي كلا من العلم ما يحتاج إليه لصلاح دينه ودنياه.

قال تعالى:

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ...﴾ الآية(١)

قال القرطبي في تفسير الآية: "هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم".(٢)

روى ابن ماجة بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم".(٣)

وقال القرطبي:

" وطلب العلم ينقسم قسمين: فرض على الأعيان كالصلاة والزكاة والصيام ... وفرض على الكفاية كتحصيل الحقوق وإقامة الحدود والفصل بين الخصوم ونحوه، إذ لا يصلح أن يتعلمه جميع الناس فتضيع أحوالهم وأحوال سراياهم وتنقص أو تبطل معايشهم".(٤)

---

(١) سورة التوبة، آية ١٢٢

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٣/٨

(٣) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ٨١/١

قال العلامة عبد الرؤوف المناوي: "قال المصنف (يعني السيوطي): جمعت له خمسين طريقا وحكمت بصحته لغيره ولم أصحح حديثا لم أسبق لتصحيحه سواه، وقال السخاوي: له شاهد عند أبي شاهين بسند رجاله ثقات عن أنس ورواه عنه نحو عشرين تابعيا".(فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢٦٧/٤)

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٥/٨

وقد تضمن مطلع الوحي الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في غار حراء الأمر بالقراءة والتنويه بإكرام الله تعالى الناس بتعليمهم ما لم يعلموا بالكتابة التي بها تدون العلوم وتقيد الحكم وتضبط أخبار الأولين ومقالاتهم وتستقيم أمور الدين والدنيا.

قال تعالى:
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ؛ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ؛ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ؛ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(١)

وأمر الله تعالى نبيه بطلب الازدياد من العلم ولم يأمره بطلب الازدياد من شيء إلا منه فقال تعالى:
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٢)

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على فضل العلم والعلماء كثيرة جدا، منها قوله تعالى:
﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٣)

وقوله تعالى:
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٤)

وقوله تعالى:
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُا﴾(٥)

وقد بينت النصوص أن طلب العلم عبادة يؤجر صاحبه عليه وأنه يفضل على العبادة المحضة إذا أخلص النية في طلبه لكون العلم يخدم المجتمع بأسره في هدايته واستقامة أمره.

---

(١) سورة العلق، آيات ١-٥

(٢) سورة طه، آية ١١٤

(٣) سورة المجادلة، آية ١١

(٤) سورة الزمر، آية ٩

(٥) سورة فاطر، آية ٢٨

روى أبو داود بسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم؛ وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"(١)

وروى البخاري بسنده عن معاوية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين".(٢)

ويجب على من تعلم شيئا من العلم أن يعلمه من قصده لذلك، ويعد كتمانه عنه ذنبا كبيرا؛ فقد جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية وعيد من يكتم العلم عن الناس، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣)

وقال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(٤)

---

(١) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم ٣١٧/٣، وانظر: سنن ابن ماجة، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ٨١/١، وسنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه والعبادة وقال: "انما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن الوليد بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا أصح من حديث محمود بن خداش". ٤٧/٥-٤٩

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل ٢٥/١، وكتاب الخمس، باب قول الله تعالى فإن لله خمسه ١٤٩/٤، وكتاب الاعتصام، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ١٤٩/٨، وانظر: صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ١٥٢٤/٣، وسنن الترمذي، كتاب العلم، باب إذا أراد الله بعبد خيرا يفقهه في الدين ٢٨/٥، وسنن ابن ماجة، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ٨٠/١، ومسند الامام أحمد ٣٠٦/١، ٢٣٤/٢، ٩٢/٤، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١

(٣) سورة البقرة، آية ١٧٤

(٤) سورة آل عمران، آية ١٨٧

وروى الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من سئل عن علم ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار".(١)

والرسول صلى الله عليه وسلم نفسه أرسل إلى الناس معلما وقدوة لهم، يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة؛ فكان شديد الحرص على العلم والتعليم؛ ولا أدل على ذلك من جعله فداء أسرى بدر من كفار قريش تعليم كل منهم عشرة من المسلمين الكتابة.

ولا يختص الأمر بطلب العلم بطائفة أو فرقة معينة من المسلمين، بل كلهم في ذلك سواء لا فرق بين أحد منهم لأي اعتبار من نسب أو شرف أو صغر أو فقر أو لغة أو جنس أو غير ذلك. وقد كان كثير من الصحابة يتعلمون عن الصغار الفاقهين كابن عباس وابن عمر كما كان كثير من السادة يتلقون عن الموالي والأتباع.

أما عن تعلم القرآن وتعليمه – وهو الكتاب المنزل من عند الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم – بوجه خاص، فهناك آيات وأحاديث كثيرة تحث على قراءة القرآن وتعلمه وتعليمه وتدبر آياته، وتنكر على من لم يلق له بالا ومن يكتمه عن الناس.

منها قوله تعالى:

﴿كِتَـٰبٌ أَنْزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَـٰتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَـٰبِ﴾(٢)

وقوله تعالى:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣)

وقوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(٤)

وقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَـٰتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَـٰبِ أُولَـٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّـٰعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَـٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(٥)

---

(١) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، وقال الترمذي: "حديث أبي هريرة حديث حسن" ٢٩/٥، وانظر: سنن أبي داود، كتاب العلم، باب كراهية منع العلم ٣٢١/٣، وسنن ابن ماجة، المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه ٩٦/١، ومسند الامام أحمد ٢٦٣/٢،٣٠٥،٣٤٤،٣٥٣،٤٩٥

(٢) سورة ص، آية ٢٩

(٣) سورة النحل، آية ٤٤

(٤) سورة محمد، أية ٢٤

(٥) سورة البقرة، آيتان ١٥٩،١٦٠

ومنها ما رواه البخاري بسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه". وفي رواية: إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه".(١)

وروى بسنده عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها".(٢)

وروى أيضا بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا حسد إلا في اثنتين، رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل. ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل".(٣)

وروى مسلم بسنده عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اقرؤوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه".(٤)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ١٠٨/٦، وانظر: سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ثواب قراءة القرآن ٧٠/٢، وسنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في تعليم القرآن ١٥٩/٥، وسنن ابن ماجة، المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ٧٧/١

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام ١٠٧/٦، وانظر: عنده كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام ٢٠٧/٦، وكتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم ٢١٨/٨، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن ٥٤٩/١، وسنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس ٢٥٩/٤، وسنن الترمذي، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل المؤمن القاريء للقرآن وغير القاريء ١٣٨/٥، وسنن النسائي، كتاب الايمان، باب مثل الذي يقرأ القرآن من مؤمن ومنافق ١٠٨/٨، وسنن ابن ماجة، المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ٧٧/١، ومسند الامام أحمد ٣٩٧/٤،٤٠٤،٤٠٨

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن ١٠٨/٦، وانظر: عنده، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ٢٦/١، وكتاب الزكاة، باب انفاق المال في حقه ١١٢/٢، وكتاب الأحكام، باب أجر من قضى بالحكمة ١٠٥/٨، وكتاب التمني، باب تمني القرآن والعلم ١٢٩/٨، وكتاب الاعتصام، باب ما جاء في اجتهاد القضاة بما أنزل الله تعالى ١٥٠/٨، وكتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: رجل آتاه الله القرآن ٢٠٩/٨، ومسند الامام أحمد ٩/٢،٣٦

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٥٥٣/١، ومسند الامام أحمد ٥/٣

وروى الترمذي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب".(١)

ويعم الأمر في تلاوة القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه كل فرد من أفراد الأمة، لا يستثنى من ذلك أحد لأي اعتبار سواء أكان لونا أم نسبا أم جنسا أم لغة أم غير ذلك.

ونرى في القرآن الكريم الدفاع عن حق الأعمى في التلقي والتعلم، وعتاب الرسول صلى الله عليه وسلم لتلهيه عنه ساعة تبليغه الدين لبعض أشراف قريش حرصا على إسلامهم ورعاية لمصلحة الدعوة.

فقال تعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَىٰ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ؛ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ، وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ؛ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾.(٢)

قال ابن كثير رحمه الله: "ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ويلح عليه، وود النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايته؛ وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فأنزل الله تعالى ﴿**عبس وتولى** ...﴾" الآيات(٣)

وقال: "ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ألا يخص بالإنذار أحدا بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغني والسادة والعبيد والرجال والنساء والصغار والكبار ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم؛ وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة" (٤)

---

(١) سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب (بدون ترجمة)، وقال: هذا حديث حسن صحيح ١٧٧/٥، وانظر: مسند الامام أحمد ٢٢٣/١

(٢) سورة عبس، الآيات ١-١٠

(٣) و(٤) تفسير ابن كثير ٤٧١/٤

وذكر الامام النووي أن من آداب معلم القرآن أن يحنو على الطالب ويعتني بمصالحه وأن لا يتعاظم عليه وأن يكون حريصا على تعليمه مؤثرا ذلك على مصالح نفسه الدنيوية وأن يقدم في التعليم الأول فالأول وألا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية".(١)

لقد وصل من الصحابة من لم يكن في اعتبار القوم سادة وأشرافا إلى مراتب عليا في العلم والدين والإلمام بكتاب الله الكريم وصاروا أئمة ومعلمين لكبار الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم؛ منهم عبد الله بن مسعود الملقب بابن أم عبد ، وسالم مولى أبي حذيفة، اللذان كانا من الأربعة الذين أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم الناس بتلقي القرآن منهم.

روى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود – فبدأ به – وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل"، قال: لا أدري بدأ بأبي أو بمعاذ.(٢)

وروى بسنده عن عبد الرحمن بن يزيد قال: "سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي صلى الله عليه وسلم حتى نأخذ عنه، فقال: ما أعرف أحدا أقرب سمتا وهديا ودلا بالنبي صلى الله عليه وسلم من ابن أم عبد".(٣)

وروى البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنه قال: لما قدم المهاجرون الأولون العصبة – موضع بقباء – قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة وكان أكثرهم قرآنا.(٤)

---

(١) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن للامام النووي، باب آداب معلم القرآن ومتعلمه ص٢٣-٣٥

(٢) سبق تخريجه، انظر ص ١٤٢

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود ٢١٩/٤ وانظر: سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن مسعود ٦٧٣/٥، ومسند الامام أحمد ٣٨٩/٥،٣٩٤،٣٩٥، ٤٠١،٤٠٢،

(٤) سبق تخريجه، انظر ص ١٤٢

وقد قام المسلمون بتلقي العلم ونشره قديما وحديثا انطلاقا من هـذا الموقـف العظيـم للإسلام من تعلم العلم وتعليمه دون تميـيز ولا تفرقـة بيـن أفـراد الأمـة حتـى نشـأت علـوم وآداب كثيرة في الدين واللغة واشتهر فيها علماء أفـاضل مـن مختلـف الشـعوب والقبـائل ، وازدهرت العلوم وامتلأت المكتبات بثروة هائلة من المصنفات فـي جميـع العلـوم والآداب والفنون؛ ساهم في ذلك علماء الإسلام من كل بقـاع الأرض عربـا وعجمـا وبيضـا وسـودا دون تمييز.

وفي نفس الوقت كانت البرهمية تحصـر حـق تعلـم الكتـاب وتعليمـه علـى الطبقـات العليا وتمنع الطبقات السفلى عن ذلك حتى عن العلوم المبدئية التي يحتاجون إليها في اتبـاع أمور الدين في الحياة اليومية ، بل تعدت ذلك إلى أن تعاقب الطبقات السفلى بعقوبات شديدة مثل صب الرصاص المذاب في أذن من سمع منهم الكتب المقدسة وغير ذلـك ممـا تقـدم . ولا شك أن هذاالموقف للبرهمية كان ظلما وعدوانا على طبية الإنسان وحريته وحقوقه في اختيار طريق الخير والعلو والفوز بسعادة الدنيا والاخرة .

المبحث الثاني

الطبقية في الاجتماع

المطلب الاول : نظم التربية والأخلاق

المطلب الثاني : نظام الأسرة والزواج

المطلب الثالث : القوانين المدنية والقضائية

المطلب الرابع : نقد الطبقية في الاجتماع عند البراهمة على ضوء الإسلام

المبحث الثاني

الطبقية في الاجتماع

المطلب الأول
نظم التربية والأخلاق

تدعو الديانة البرهمية أتباعها إلى كثير من الأمور الحسنة طبعا وسجية، مثل الاستقامة والطهارة والصدق والصبر واجتناب الغضب ومقابلة الإساءة بالإحسان والزهد وكبح جماح الحواس وغير ذلك؛ كما تنهى عن كثير من الأمور المستقبحة، كقتل النفس والزنا والكذب وشهادة الزور والسرقة وغير ذلك. لكن الديانة تفرط في تشريعها حتى تفرق بين طبقات المجتمع في الأحكام وتطبيقها.

ولكل طبقة أخلاق وتقاليد خاصة فرضت عليها، وتدعو إلى التمسك بها دون التعدي إلى تقاليد طبقة أخرى لكي لا يختل نظام المجتمع القائم على النظام الطبقي.

يقول منو:

"إن الرجل إذا تمسك بالعادات والأخلاق المختصة له نال عمرا طويلا ومالا ممدودا ونسلا مرغوبا، ويزول نقصه من كل شيء ويعيش مائة سنة، وأما الذي لا يتمسك بها ولا يعمل طبقا لها يصير قليل العمر عليلا ملهوفا محتقرا بين الناس".(١)

العادات والتقاليد الحسنة هي التي توارثها الناس جيلا بعد جيل عن الصالحين من الطبقات البرهمية وطبقات "الأنترالا" في "برهماورتها"(٢) وما جاورها من الأماكن المقدسة، وعلى جميع الناس أن يتلقوا عاداتهم من البراهمة الذين ولدوا في هذه الأماكن، وللبراهمة الحق في تعلم أو تعليم أو تفسير هذا العلم المتعلق بحقوق الإنسان دون غيرهم مثل الشودري ونحوه، أما العمل به فهو واجب على الجميع.(٣)

وسأبين فيما يلي بعض الأمور الاجتماعية التي يظهر فيها التمييز الطبقي واضحا جليا.

---

(١) منو سمرتي ٤/١٥٥-١٥٧

(٢) "الأنترالا" طبقات فرعية متولدة من اختلاط الطبقات الأصلية. راجع ص١٠٥
برهماورتا (Brahmavarta) مدينة مقدسة بناها الآلهة في اعتقادهم بين نهري "الساراسوتي" (Saraswaty) و"درشودوتي" (Driswadwaty) في شمال الهند. (منو سمرتي ٢/١٧)

(٣) المصدر السابق ٢/١٦-٢٠ وانظر: ابنشاد تيتريبا ١/١١/٣ .

١- التربية ومراسم الحياة التأهيلية

هناك أحكام وتقاليد في تربية الفرد منذ الحمل إلى الموت، تقام بأعمال ومراسم معينة، ويربى فيها على الامتيازات الطبقية ويؤهل للقيام بوظائفه الحياتية التي تحددها القوانين البرهمية لكل طبقة من الطبقات الأربع، فتفرق بين كل طبقة في كل أمور الحياة.

يسمى أولاد كل طبقة باسم يشير إلى طبقته وخصائصها فيسمى المولود البرهمي بلفظ يدل على الحرمة والسعادة؛ والمولود الكشتري باسم يدل على القوة والشهامة والمولود الويشي بلفظ يدل على الثروة والغنى والمولود الشودري بلفظ يدل على الذل والعبودية.(١)

وعند الإتيان بالولد إلى حضرة المعلم لتلقي المعرفة عنه يقام مراسم خاصة تسمى (أبنيانا) (Upanayana)(٢) وهي عبارة عن الباس خيط في احدى الكتفين مرسلا إلى جانب الخاصرة ويبقى في الجسد طول حياته حيث هو رمز القداسة والعلو الطبقي.

وهذه المراسم من أعظم العادات في البرهمية حيث يكتسب المولود بها ولادة ثانية يطهر بها من الدناءة الفطرية ويرتقع إلى القداسة، ويتأهل لدراسة الكتب المقدسة والعلوم الأخرى من معلم برهمي.

وتلك المراسم تشرع لطبقات البراهمة والكشترية والويشية؛ ويسمى كل فرد من تلك الطبقات الثلاث - إذا عملت له هذه المراسم - (دويجا) (Dwija) أي مزدوج الحياة أو المولود مرتين، ولادة طبيعية وولادة ينالها بأبنيانا؛ ويتأهل لكثير من الميزات الخاصة في المجتمع.(٣)

---

(١) انظر: منوسمرتي ٢/٣١،٣٢ وشنو سمرتي ٢٧/٦-٩

(٢) راجع ص٦٩

(٣) انظر: منوسمرتي ٢/١٦٨-١٧٢

أما الشودري فلم تشرع له البرهمية هذه المراسم وليست له ولادة تأهيلية حيث هو مفطور بالدناءة وخدمة الطبقات العليا، فيبقى على حاله محتقرا دنيئا، خادما الطبقات الثلاث طول حياته حتى يكتسب بعض الاحترام بالشيخوخة.(١)

والذي لا تقام له هذه المراسم من الطبقات الثلاث أيضا يبقى دنيئا كالشودري ويبعد عن الأعمال الشرعية، ولا يعلمه المعلم البرهمي الكتب المقدسة ولا يزوجه ولا يزاوج من أسرته.(٢)

ويفرق بين أفراد الطبقات الثلاث في المدة المحددة للقيام بهذه العملية وفي نوع الملابس والخيط والعصا، وفي الألفاظ التي يستهل بها الكلام عند تسوله للأكل وما إلى ذلك من الأمور التي تتعلق بالبرهماجاري. (٣)

فتقام للبرهمي في السنة الخامسة وللكشتري في السادسة وللويشي في الثامنة على مذهب منو، وفي الثامنة والحادية عشرة والثانية عشرة على الترتيب عند ياجناولكيا وآبستمبا؛ ولا بأس أن تؤخر إلى السادسة عشرة للبرهمي والثانية والعشرين للكشتري والرابعة والعشرين للويشي لأسباب عارضة. ويلبس البرهمي خيطا مفتولا من القطن ورداء من جلد الظبي وازارا من الحرير وعصا طولها إلى رأسه؛ ويلبس الكشتري خيطا من الكتان ورداء من جلد الغزال وازارا من صوف النمر وعصا طولها إلى جبينه؛ ويلبس الويشي خيطا وازارا ورداء من صوف شاة بيضاء وعصا طولها إلى أنفه.(٤)

---

(١) المرجع السابق ١٥٥/٢

(٢) المرجع السابق ٣٩/٢،٤٠

(٣) هو الذي أقيمت له مراسم أبنيانا ودخل إلى مرحلة البرهمجاريا – مرحلة التربية والتعليم.

(٤) انظر:منو سمرتي٣٦/٢،٣٧و ٤١-٤٦ والمعرفة الارشية ص٣٣٣

٢ - احترام المعلم

تدعو الكتب الدينية إلى احترام المعلم كاحترام الوالد أو فوقه مدى حياته، وإلى تحيته والترحيب به بطريقة معينة. ويرد المعلم على تحية محييه بطريقة خاصة لكل طبقة من الطبقات الأربع.(١)

ويجب على المتعلم احترام امرأة معلمه وتحيتها كمعلمه إذا كانت من نفس طبقته، أما إذا كانت من غير طبقته فلا يحييها إلا كسائر الناس.(٢)

ويجب على المتعلم متابعة معلمه وخدمته والمكث معه مدى حياته التعليمية، وله أن يعيش معه طوال حياته يتابعه ويخدمه إذا كان المعلم برهميا؛ وإذا كان غير برهمي فيجب عليه أن يقطع الخدمة والمتابعة إذا انتهى التعلم مع أنه لا يجوز تلقي العلم الديني والويدي من المعلم الكشتري أو الويشي إلا في الحالات الضرورية.(٣)

---

(١) انظر: أبنشاد تيتريبا ذ/١/١١

(٢) المرجع السابق ٢/١٢٧-٢١٠

(٣) المرجع السابق ٢/٢٤١-٢٤٢

٣ – احترام الطبقات العليا

توجب القوانين على الناس احترام البراهمة وتفضيلهم على غيره في جميع المجالات لكونهم أعلى الطبقات منزلة وكرامة بالطبع ولكونهم الحاملين للويدات ومعلمي الناس علومهم الشرعية وعاداتهم الأخلاقية والقائمين بشؤونهم الدينية .

يقول منو:
"لا يحتقر من يرغب السعادة برهميا عالما ولا كشتريا ولو في حالة ضعفهما، وهما كالحية يهلكان من يحتقرهما، فلا يجترىء عاقل على إهانتهما".(١)

ووضعت معايير مختلفة لاحترام كل طبقة من الطبقات الأربع؛ فيحترم البرهمي بالعلم والكشتري بالقوة والويشي بالثروة والشودري بكبر السن (٢)

ولكن البرهمي يفوق سائر الناس في الكرامة حيث إن البرهمي الذي هو في العاشرة من عمره يفوق الكشتري الذي يناهز المائة كتفوق الوالد على ولده، فيجب اعتبارهما كالوالد والولد.(٣)

وكذا لا ينبغي لأحد أن يمس البرهمي قبل أن يغسل يده من الأكل ولو باليسار، ولا يجازي بشر ولو اقترف ذنبا.(٤)

ويفضل البرهمي الملتزم بدينه على الضعفاء وحتى على حاكم البلاد، فيخلى له الطريق كما يخلى للحاكم والمريض وكبير السن وحامل الثقل والمرأة والراكب وخاطب الزواج، وإذا جاؤوا معا يفضل البرهمي والحاكم على غيرهما، وإذا جاءا معا فيفضل البرهمي على الحاكم فيخلى الطريق للبرهمي أولا.(٥)

---

(١) منو سمرتي ١٣٥،١٣٤/٤
(٢) المرجع السابق ١٥٥/٢
(٣) المرجع السابق ١٣٥/٢
(٤) المرجع السابق ١٤١/٤
(٥) المرجع السابق ١٣٩،١٣٨/٢

٤ - ظاهرة الدنس

التزمت الطبقات العليا بأخلاق وتقاليد تبعد طبقات المنبوذين عن جميع شؤون الحياة من طعام وسكن وتعليم وعبادة وغير ذلك.

منها ظاهرة عدم التماس بدعوى الدنس بحيث يتنجس الرجل إذا لمس أحدا من الطبقات الدنسة أو اقترب منه. وسرت هذه الظاهرة إلى جميع أمور الحياة الاجتماعية وجعلت لها أحكام وقوانين حسب اختلاف منزلة الطبقات، فتختلف الدناسة قوة وضعفا باختلاف الطبقات رفعة وانحطاطا، فكان منهم من يدنس غيره باللمس؛ ومنهم من يدنسه بالاقتراب منه؛ ومنهم من يدنسه بمجرد الرؤية. وهذه الدناسة ثابتة فيهم فطريا حيث يولدون ويعيشون ويموتون بهذه الصفة وينجبون أعقابهم كذلك ليس لهم مخلص من ذلك. أما المتدنسون بسببهم فيتطهرون بمراسم التطهير.

وكان أفراد كل طبقة يعتبرون أنفسهم أعلى من الطبقة التي تحتها طهارة وقداسة، ويظنون أن قداستهم تنتهك بلمس أفراد هذه الطبقة أو القرب منهم أو رؤيتهم حسب منزلتهم، ولهذا حاول كل فرد من أفراد هذه الطبقات المحافظة على قداستها، فابتعدوا عن الطبقات الدنسة لكي لا تنتهك قداستهم، وإذا انتهكت فلا يجوز لهم أن يعملوا شيئا إلا بعد تطهير أنفسهم بالغسل وغيره من واجبات الطهارة.

وحدد النظام الطبقي المسافة التي يجب ابتعادها لكل طائفة من الطوائف حسب منزلتها دناءة وطهارة، تتراوح ما بين ستة أقدام إلى أربعة وستين قدما، وإذا مر المنبوذ دون هذه المسافة المحددة له يلحق الدنس أو الرجس بالشخص الطاهر .

وكانت المحافظة على ظاهرة التدنس آتية من الطبقات الرفيعة والطبقات الوضيعة سواء بسواء، إذ الطوائف الراقية حافظوا عليها تفاديا لانتهاك طهارتهم وقداستهم من قبل الطبقات الدنسة، مع ما كانوا يعانونه من مشقة شديدة في سبيل الحفاظ عليها، وترهقهم على الدوام الرغبة في الاحتياط لها في جميع أمور الحياة من نوم واستراحة وأكل وشرب وسفر وإقامة وغير ذلك من الأعمال اليومية كما أن أفراد الطوائف الدنيئة اعترفوا للطبقات الراقية بقداستها وظنوا أن عدم انتهاكها عهد عليهم لا ينتقض، وأن إضرار الطبقات العليا اثم كبير في حق الإله، وأن السعادة في الحياة تحصل بأن يعيشوا دون أي إضرار لهم. وبالإضافة إلى ذلك كانوا يخافون من الطبقات الرفيعة جزاء شديدا لمخالفة القوانين المتداولة ومجاوزة الحدود المفروضة.

وتتاسى كل من الطبقات الراقية والسافلة ما لحقهم بهذه الحدود من المشقات والمصائب العديدة، حيث إن الطبقات العليا أقلقتهم دائما محاولة الحفاظ على طهارتهم من التدنيس وثقلت عليهم عمليات التطهير، وأما الطبقات السافلة فلم يستطيعوا أن يخرجوا من بيوتهم إلا باحتياط دائم ومراقبة شديدة عن اقتراب المتعالين، وكان يجب عليهم أن يصيحوا بصوت كصوت الخنزير ونحوه وهم في الطريق إيذانا بدنوهم، وأبعدوا عن جميع مرافق الحياة الضرورية فأغلقت عليهم الطرق الرئيسية ومنعت عنهم الآبار والبرك وأماكن الاستراحة، وحرمت عليهم المعابد والمدارس والإدارات العامة وغير ذلك؛ ولقوا من الطبقات العليا إيذاء شديدا وجزاء رادعا للمخالفة.(١)

والقوانين البرهمية تعتبر الشودري نجسا فلا يقرب الأماكن التي تقام فيها الشعائر الدينية مثل تلاوة الويدات ومراسم الياجات وغيرها كما سبق.

ويتنجس أفراد الطبقات العليا الثلاث بمسه؛ فلا يسمح للشودري أن يحمل أحدا من تلك الطبقات ولو كان المحمول والده. وكذا يتنجس الطعام الذي يمسه، فلا ينبغي للرجل – ولا سيما البرهمي – أن يأكل طعامه، والبرهمي الذي يأكل طعام الشودري لا يسعد في حياته ويولد في حياته اللاحقة خنزيرا، والذي يولد له ينحط إلى مرتبة الشودري.(٢)

وأما الطبقات الدنسة من الطبقات الفرعية الأخرى فتتسرب نجاستهم إلى غيرهم باللمس أو الاقتراب أو الرؤية حسب منزلة الطبقة، فلهذا يبعدون عن مساكن الطبقات العليا ومدنهم وقراهم ويمنعون من الاختلاط بأفراد الطبقات العليا.

---

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام، لسير توماس. و. أرنولد، ترجمة د/ حسن ابراهيم حسن ود/ عبد المجيد عابدين واسماعيل النمراوي ص٣٠٢، وكيرالا في القرن التاسع عشر ص٧٧-٨٤

(٢) انظر: وشنو سمرتي ٠٤١/١٩، وآبستمبا ١/٥/١٦/٢١-٢٢، وواسستها ٤/١٤، و٦/٢٦-٢٩

جاء في قوانين منو:

"يجب على جندالا وشوباكا (١) أن يسكنوا خارج القرية وأن يقوموا بتربية الكلاب والحمير وليس لهم أن يقوموا برعي الأنعام لتقويم معاشهم، ولا ينبغي لهم أن يستعملوا الأواني المعدنية حيث لا تطهر إذا دنسوها، بل عليهم استعمال الأواني الطينية المنكسرة ولبس ملابس الميت والتحلي بحلى الحديد والبرونز وغيرهما من المعادن الصلبة الرخيصة؛ وعليهم أن يتجولوا دائما انتجاعا للأشغال، وألا يأتوا المدن والقرى ليلا بل إذا أتوها لبيع أو شراء ففي النهار لابسين أمارات يعينها الحاكم، ويجب عليهم أن يتعاملوا بالعقود من التجارة والزواج وغيرهما فيما بينهم فقط؛ ولا ينبغي لغيرهم من الطبقات العليا أن يكلموهم أو ينظروا إليهم عند القيام بشعائر دينية ولا أن يعطوهم طعاما مباشرة إلا عن طريق الخدم في أوان منكسرة."(٢)

ويعتبر آبستمبا رؤية الجندالا أو مكالمته جريمة كبيرة، وإذا حدث من البرهمي مكالمته ناسيا أو مضطرا فعليه كفارته بتلاوة ذكر جايتري.(٣)

والطوائف التي تعتبرها الهندوسية الآن نجسا كثيرة جدا، وقد أصدرت الحكومة الهندية عام ١٩٣٥م جدولا للطوائف الدنسة التي تدنس الآخرين في الهند بلغ عددها ٤٢٩ طائفة، ويبلغ عدد أفرادها الآن ٥٠ أو ٦٠ مليونا.(٤)

---

(١) طبقتان فرعيتان، انظر ص١٠٥

(٢) منو سمرتي ١٠/٥١-٥٥

(٣) انظر: كيرالا في القرن التاسع عشر ص٨٥

(٤) هذا الجدول أصدرته الحكومة الهندية عام ١٩٣٥م ويضم أسماء طوائف وقبائل المجتمع الهندي التي تعد بين الطبقات المنبوذة ، مقسما إلى تسعة أجزاء حسب مناطق وولايات ذلك الوقت. وهي كما يلي:
ولاية مدراس ٨٥ طائفة بومباي ٣٥ طائفة بنغال ٧٥طائفة الأقاليم المتحدة ٦٠
بنجاب ٣٠ بيهار ٢٩ المناطق الوسطى ٣٩ آسام ٢١ أوريسا ٥٥ .
انظر: Selected works of Ambedkar ٢/١٢-١٧
ولم تجر بعد ذلك احصائيات للطوائف الهندية بهذا التفصيل.

ولم تكن ظاهرة الدنس محصورة بين طبقة وطبقة بل كانت بين فروع الطبقة الواحدة وطوائفها أيضا فإن الطبقات العليا ترى حصول ذلك في بعض فروعها وطوائفها، ففي لمس بعضهم بعضا أو مؤاكلتهم أو مقابلتهم في الأكل أو الارتباط بهم بأي رابطة عار عظيم عليهم.(١)

ويلحق الدنس بالأموات أيضا، فانها تتدنس كما يتدنس الأحياء فإذا مس جندالا جثة برهمي فانها تغسل عدة مرات ثم يغير كفنها وتعمل لها مراسم التطهير. ويلحق الدنس كذلك بأصنام المعابد، لهذا حددت المسافة التي يجوز تعديها لكل طائفة تتراوح بين ثلاثة أقدام إلى أربعة وستين قدما .

وعدوا المسلمين والنصارى والذين جاؤوا إلى الهند من البرتغاليين والفرنسيين والبريطانيين وغيرهم ضمن المنبوذين الذين يلحقون الدنس بالطبقات العليا باللمس أو القرب.(٢)

---

(١) انظر: كيرالا في القرن التاسع عشر ص٦٣

(٢) المرجع السابق ص٦٧،٧٨،٨٤

المطلب الثاني

نظام الأسرة والزواج

اهتمت البرهمية بالمحافظة على النظام الطبقي والمراتب الطبقية في أمور الزواج والأسرة اهتماما بالغا، فمنعوا التزاوج بين الطبقات قدر الإمكان . وقد سبق أن من عوامل نشأة النظام الطبقي اهتمام الآريين بحفظ سلالتهم من الاختلاط بسلالة السكان الأصليين في الهند فاتخذوا منع التزاوج بين الجنسيات لذلك.(١)

ولما أخذ النظام الطبقي صورته النهائية صار منع التزاوج حكما دينيا طبق بين الطبقات للحفاظ على امتيازات الطبقات العليا وخصائصها.

وبينت القوانين الشرعية أن الذي يتزوج من امرأة أدنى منه طبقة يهبط مع أولاده وأسرته إلى منزلة الشودرية، وأنه لا كفارة لمن تمتع بشفاه المرأة الشودرية أو أصاب جسمه تنفسها ولمن ولد له فيها، وأن البرهمي الذي يضاجعها يصير إلى جهنم.(٢)

وكان منع التزاوج على طبقة البراهمة – ولا سيما من طبقة الشودرا الذين خلقوا خدما وعبيدا للطبقات العليا – أشد قوة اذ اعتبرت ملامسة الرجل امرأة من الطبقات السفلى جريمة أكبر وأقبح من الكبائر الأخرى؛ كقتل النفس وقتل البقرة وغيرهما ، بل إن هذه هي الجريمة الوحيدة التي يحكم فيها على البراهمة بالجزاء الجسدي إذ أقصى ما يقضى عليه في الجرائم الأخرى هي النفي من البلاد ؛أما إذا لامس البرهمي امرأة شودرية فانه تفقأ عيناه ثم ينفى خارج البلاد.(٣)

ويظهر تحقيرهم وإزراءهم لطبقة الشودرا قضاء محكمة في جنوب الهند في الآونة الأخيرة بحكم قضاه براهمة ضد فرع من الشودرا أنه ليس لهم التزاوج وأنهم أبناء عهر لا يعرف آباؤهم، وأن أبناءهم لا يستحقون طلب حق الولاء من آبائهم.(٤)

وعلى هذه النظرة إلى طبقة الشودرا تحرم معظم كتب القوانين مثل ياجناولكيا ووشنو وشانكرا وغيرها الزواج من طبقة الشودرا على الطبقات العليا الثلاث في جميع الأحوال.(٥)

---

(١) راجع ص٨٩

(٢) انظر: منو سمرتي ٣/١٥،١٧،١٩

(٣) انظر:النظام الطبقي وتاريخ كيرالا لمؤلفه ب.ك. بالاكرشنإن (في اللغة المليبارية) ص٣٧٢

(٤) انظر: كيرالا في القرن التاسع عشر ص٣٠٨

(٥) المرجع السابق ص٢٩٩

أما قوانين منو فتجوز الزواج للطبقات العليا من الطبقات السفلى دون العكس في حالات معينة فجاء فيها:

"إنه يجب على البرهمي والكشتري والويشي أن يتزوج من امرأة طبقته دون غيرها في الزواج الأول ، وإذارغب في الزواج بعده فللبرهمي أن يتزوج من جميع الطبقات، وليس للكشتري أن يتزوج من البرهمية بل له أن يتزوج من طبقته والطبقة التي تحتها؛ وليس للويشي أن يتزوج من البرهمية ولا الكشترية، بل له أن يتزوج من طبقته وطبقة الشودرا.أما الشودري فلا يجوز له الزواج إلا من طبقته.(١)

وإذا حصل التزاوج فالولد الذي يولد لأب وأم مختلفين في الطبقة لا ينتمي إلى طبقة الأم ولا طبقة الأب؛ بل يستقل بطبقة جديدة فرعية تتولد من هذا التزاوج وتختلف مكانتها رفعة ودناءة حسب طبقة الأب وطبقة الأم؛ وليس للولد أن ينتسب إلى نسب أبيه ولا نسب أمه ولا يكتسب كرامة أحدهما،(٢) بل يكون ولد البرهمي في الكشترية أكرم من ولده في الويشية،وهما أكرم من ولده في الشودرية؛ ويكون ولد الشودري في الويشية أكرم من ولده في الكشترية، وهما أكرم من ولده في البرهمية بل هذا هو أخس أجناس المجتمع على الاطلاق؛ وأولاد الشودري من الطبقات الثلاث العليا لا يستحقون لشيء من أمور الدين.(٣)

والقوانين البرهمية لا تسمح بالزواج للبراهمة إلا الأكبر من أبناء الأسرة دون غيره من إخوته ما دام الأخ الأكبر حيا، ولا تسمح به للمرأة إلا من رجل واحد طول حياتها دون طلاق؛ وتبقى أرملة إلى موتها إذا فارقها الزوج بالموت وغيره؛ ولهذا لم يستطع البراهمة أن يطبقوا التحريم الجازم في الزواج من نساء الطبقات الوضيعة في حياتهم الواقعية، بل ارتبطوا بالنساء الشودريات اعتمادا على تسهيل قوانين منو في ذلك (٤)

---

(١) منو سمرتي ٣/١٢-١٤

(٢) راجع: مطلب الطبقات الفرعية ص ١٠٣-١٠٦

(٣) انظر: منو سمرتي ١٠/٦-١٧

(٤) انظر: النظام الطبقي وتاريخ كيرالا ص ٣٧١-٣٧٣

أنواع الزواج

تشرع البرهمية ثمانية أنواع من الزواج (١) تتفاوت درجاتها وتخصص لكل طبقة من الطبقات الأربع أنواعا منها.

فتتعين لطبقة البراهمة الأنواع الأربعة الأولى وهي الزواج البرهمي والديوي والارشي والبراجابتي حيث إنها هي التي يتم الزواج فيها باختيار والد البنت زوجا برهميا لها دون مقابل مادي من الزوج أو بمقابل يسير . وهذه هي أفضل أنواع الزواج ويكون المواليد فيها أفضل الناس يكتسبون الخير والثروة والقوة والشهرة والجمال؛ وأما الأربعة الباقية فهي أسوأها ويكون المواليد فيها متصفين بالقسوة والكذب والكراهية للويدات والمراسم الدينية، فهي مستحبة لغير البراهمة.

وأفضل أنواع الزواج للكشتري جانتروا الذي يتم بتبادل الحب بين الزوجين باختيارهما، وراكشسي الذي يتم بالاستيلاء على المرأة بالقوة والبطش والقتل والتشريد.

والأفضل للويشي والشودري هو الزواج الآسري الذي يتم مقابل مال يطلبه والد البنت، وهذا النوع لا يتعاطاه البرهمي ولا الكشتري لأن منزلته أحط من غيره.

وأما النوع الثامن وهو البيشاجي الذي هو مباشرة الرجل بالمرأة في حالة ذهاب عقلها فهو أحط أنواع الزواج جميعا، فلا يتعاطاه البرهمي ولا الكشتري أبدا كالذي قبله (٢).

والطريقة المشروعة في الزواج أن يضع الرجل يده في يد المرأة عند عقد النكاح إذا كانا من طبقة واحدة، وإذا كانا من طبقتين مختلفتين ففي زواج البرهمي بكشترية تمسك المرأة بسهم يمسكه الزوج؛ وفي زواج الويشية بالبرهمي أو بالكشتري تمسك طرف سوط في يده ، وفي زواج الشودرية بالبرهمي أو بالكشتري أو بالويشي تمسك طرف الثوب الذي ارتداه الرجل حتى إذا تم العقد صارت له زوجا .(٣)

---

(١) انظر: مبحث الأخلاق والمعاملات ص ٦٩

(٢) انظر: منو سمرتي ٣/٢١-٤٢

(٣) المرجع السابق ٣/٤٣-٤٤

الضيافة

تختلف طريقة القرى والضيافة وطريقة إطعام الطعام باختلاف طبقات الضيوف .

فإذا كان الضيف برهميا فلا بد من الترحيب به وتعظيمه وأداء مراسم العبادة له وتقديم كل ماهو باستطاعته له؛ وإن لم يفعل المستضيف كذلك فانها تنتزع حسناته وتعطى للضيف.(١)

وضيف البرهمي في بيته برهمي مثله، ولا يعتبر الكشتري أو الويشي أو الشودري ضيفا له إذا نزل عنده، والبرهمي ضيف عليهم جميعا إذا أتاهم. وكذلك ضيف الكشتري هو البرهمي والكشتري، ولا يكون أحد من طبقة الويشية أو الشودرا ضيفا في بيت الكشتري. وضيف الويشي هو البرهمي أو الكشتري أو الويشي ولا يكون الشودري ضيفا له.

وإذا نزل كشتري عند البرهمي فعليه أن يطعمه بعد إطعام الضيف البرهمي، وإذا نزل عنده ويشي أو شودري فانهما يطعمان عند ما يطعم خدمه وعبيده.(٢)

ويأمر آبستمبا سوترا البرهمي بأن يستخدم الشودري -إذا نزل عنده ضيفا- في شيء من الأعمال ثم يطعمه لأن إطعامه قبل أن يشغله إكرام له.(٣)

ويبين وشنو سمرتي أنه لا يجوز إكرام الشودري كالضيف إذا جاءه عند إقامة الشعائر التضحية، وإلا يغرم بمائة نقد.(٤)

ويجب على مستضيف البرهمي أن يقدم له أنواع الأطعمة التي يرغب فيها أكثر بكل سرور وانبساط صدر وجد ونشاط، وأن يسكب إلى إنائه قليلا قليلا إلى أن تكف عنه نفسه مع شرح محاسن كل طعام وشراب يقدمه له.

---

(١) المرجع السابق ٣/٩٨-١٠١

(٢) المرجع السابق ٣/١١٠-١١٢

(٣) انظر: آبستمبا دهرماسوترا ٢/٢/٤/١٩-٢٠

(٤) انظر: وشنو سمرتي ٥/١١٥

ولا ينبغي أن ينظر اليه وهو يأكل أحد من الجندالا أو حائض أو خنثى أو خنزير أو كلب أو دجاج إو نحو ذلك ، وإذا وقع النظر ذهب ثواب الإطعام؛ ولا يسمح لهم بالاقتراب منه؛ وتتنجس الأشياء بنظر الكلب إليها وشم الخنزير ولمس الشودري لها.

أما إذا جاءه عند الإطعام برهمي إو ناسك فانه يعظم ويطعم مثل الضيف البرهمي بعد إذنه.(١)

---

(١) انظر: منو سمرتي ٣/٢٣٣-٢٤٣

المطلب الثالث

القوانين المدنية والقضائية

ا- الاعتداء على النفس

تختلف جريمة الاعتداء على النفس شدة وضعفا حسب منزلة المعتدي والمعتدى عليه؛ ففي القتل، إذا كان المقتول برهميا والقاتل غيره فيلقى القاتل جزاء أشد إذ أن قتل البرهمي من أكبر الكبائر في الديانة البرهمية كقتل البقرة؛ وإذا كان القاتل برهميا فلا يلقى إلا جزاء يسيرا وإن كان جزاء القتل القتل.

يقول منو:

"إن استحق برهمي القتل لم يجز للحاكم إلا أن يحلق رأسه لأن التحليق مساو للقتل؛ أما غيره فيقتل، ولا ينبغي له أن يقتل البرهمي مهما اقترف من الذنب بل ينفى من البلد بكل ممتلكاته؛ وليست في الدنيا جريمة أكبر من قتل البرهمي، ولذا لا ينبغي للحاكم أن ينوي في نفسه أن يقتل برهميا".(١)

ويكفر عن البرهمي ذنب القتل بغرامة يدفعها إلى البراهمة أو بانقطاعه عن الناس في الغابة يتبتل مدة معينة بصيام كفارة الذنب.

وتبين القوانين أن كفارة قتل البرهمي تبتل اثنتي عشرة سنة في الغابة، وقتل الكشتري ربعها والويشي ثمنها والشودري نصف الثمن.

وإذا قتل البرهمي كشتريا يكفر بألف بقرة مع ثور واحد يدفعها إلى البراهمة أو يتبتل خارج المدينة لمدة ثلاث سنوات. وإذا قتل ويشيا يكفر بمائة بقرة مع ثور واحد أو أن يتبتل سنة واحدة، وإذا قتل شودريا يكفر بعشر بقرات مع ثور واحد أو يتبتل ستة أشهر.(٢) وكفارة قتل الهرة أو الكلب أو الضب أو الغراب أو الضفدع أو نحو ذلك وكفارة قتل الشودري سواء.(٣)

أما إذا قتل الشودري برهميا قتل بالتدريج بإلقائه في النار ثلاث مرات. (٤)

---

(١) منو سمرتي ٨/٣٧٩-٣٨١

(٢) المرجع السابق ١١/١٢٦-١٣٠،وآبستمبا ١/٩/٢٤/١-٣

(٣) انظر: منو سمرتي ١١/١٣١

(٤) انظر: التيارات الخفية للحضارة الهندية ٢/١١٨

وأحكام الاعتداء على النفس دون القتل في الحياة والجزاء بعد الموت فهي كما يلي:

جاء في قوانين منو:

"إذا ضرب أحد برهميا متعمدا ولو بعشب ولد كلبا أو نحوه من الحيوانات الخبيثة إحدى وعشرين ولادة... وإذا جرحه أحد وابتلت بدمه الأرض شرب الكلب والثعلب ونحوهما من دم الجارح في جهنم سني عدد الغبار الذي ابتل منه".(١)

ومن العقوبات الدنيوية على الطبقات السفلى:

"إذا اعتدى الشودري على أحد من الطبقات العليا يقطع العضو الذي استخدمه للاعتداء، فتقطع يده إذا ضربه بيده أو بعصاه، وتقطع رجله إذا رفسه بها".

"وتقطع شفتاه إذا بصق نحو البرهمي متكبرا، ويقطع ذكره إذا بال نحو البرهمي، ويشرط شرجه إذا أخرج الريح بصوت نحوه متكبرا، وتقطع كلتا يديه إذا أمسك شعر رأس البرهمي أو وجهه، أو أمسك رجله أو رقبته متكبرا".(٢)

---

(١) انظر: منو سمرتي ١٦٤/٤و١٦٦

(٢) المصدر السابق ٢٧٩/٨-٢٨٣، وناردا سمرتي ٢٥/١٥-٢٧، ووشنو سمرتي ١٩/٥-٢٢ وجوتما دهرماشاسترا ٥٦/١٠

ب – الاعتداء على الأنساب والأعراض

يرى أن كتب الديانة البرهمية تعين على الطبقات العليا عقوبات أشد مما هي على الطبقات الوضيعة في جريمة الزنا وما يتعلق بها من الاعتداءات في بعض الأحيإن لا سيما إذا كانت المرأة من طبقة أدنى من طبقة الزاني، وذلك أن البرهمية أولت اهتماما بالغا بالمحافظة على النسب والسلالة الأصلية لكل طائفة دون أن تشوبها شائبة الاختلاط بأفراد الطبقات الأخرى بالمصاهرة أو المسافحة أو غير ذلك حتى لا تتولد منها أعقاب متدنسة بدناءة الطبقات الوضيعة.

يقول منو:

"ينشأ من مباشرة الرجل امرأة أجنبية (يعني امرأة من غير طبقته) اختلاط في الطبقية، فلا تقام الشريعة والأمور الدينية، وتهلك الدنيا بالجدب".(١)

ويقول بي ك بالاكرشنان الكاتب الهندي:

"كانت ملامسة امراة من الطبقة السفلى جريمة أشد نكرانا عند البراهمة من قتل البرهمي وقتل البقرة حسب القوانين الطبقية المتداولة في جنوب الهند، وكانت عقوباتها قاسية جدا، بل إنها الجريمة الوحيدة التي يحكم فيها على البرهمي حد جسمي، إذ إن أقصى ما يقضى على البرهمي هو النفي في سائر الجرائم حتى القتل، لكن إذا جامع البرهمي امراة منبوذة فقئت عيناه ثم ينفى من البلاد".(٢)

لكن كتب الديانة غالبا ما تفرق بين الطبقات الأربع في الأحكام فتحكم على طبقة الشودرا في الاعتداء على الأنساب بالقتل أو القطع أو الضرب أو غير ذلك، حينما تحكم على الطبقات العليا بالغرامة أو النفي أو غيرهما.

فتحكم على الشودري بقطع ذكره ومصادرة ممتلكاته إذا أتى امراة غير مولية – وهي التي لا يكفلها ولا يعولها زوج ولا أحد من أقربائها – من الطبقات العليا، وإذا أتى امرأة مولية فيقطع ذكره وتصادر ممتلكاته ثم يقتل. (٣)

---

(١) منو سمرتي ٣٥٣/٨

(٢) النظام الطبقي وتاريخ كيرالا ص٣٧٢

(٣) انظر: جوتما دهرما شاسترا ١٢/٢-٣، ومنو سمرتي ٣٧٤/٨، وآبستمبا سوترا ٩/٢٧/١٠/٢

وكذا تحكم على الشودري بالقتل إذا قام مع امرأة برهمية بأعمال جنسية أدنى من الجماع كاللمس في جسدها أو ثوبها أو حليها، أو المعانقة أو التقبيل أو مجالستها في مضجع واحد أو غير ذلك.(١)

أما عقوبات غير الشودري في الزنا فهي دون القتل، من غرامة أو سجن أو نفي أو مصادرة مال أو نحو ذلك.

فإذا وقع البرهمي ببرهمية فيغرم ألف نقد إذا كانت مكرهة، وإذا كانت راضية فبخمسمائة نقد، وإذا أتى كشترية أو ويشية موليتين فيغرم ألف نقد، وإذا أتى مولية من الطبقات الثلاث فيغرم نصف ذلك، أما إذا أتى جندالية فيغرم ألف نقد. وليس عليه شيء إذا جامع شودرية في نظر ياجناولكيا إلا أن يغتسل.

وإذا أتى كشتري برهمية مولية فيغرم ألف نقد ويصب على رأسه بول الحمار ويحلق، وإذا أتى برهمية غير مولية فيغرم ألف نقد فقط.

وإذا أتى الويشي برهمية مولية فيسجن سنة وتصادر ممتلكاته، وإذا أتى برهمية غير مولية فيغرم خمسمائة نقد وذلك نصف غرامة الكشتري، وإذا أتى الكشتري أو الويشي برهمية متعلمة للويدا فتصادر ممتلكاته وينفى من البلاد أو يحرق على لوحة من حديد.

وإذا أتى الكشتري امرأة غير مولية من طبقته فيغرم خمسمائة نقد أو يحلق رأسه مع سكب بول الحمار عليه، وإذا أتى ويشية فيغرم ألف نقد، وإذا أتى الويشي امرأة كشترية مولية كانت أو غير مولية فيغرم خمسمائة نقد، وإذا أتى الكشتري أو الويشي شودرية مولية يغرم ألف نقد.(٢)

---

(١) انظر: منوسمرتي ٨/٣٥٩،٣٦٦

(٢) انظر: منوسمرتي ٨/٣٧٥-٣٨٥

عقوبات الاعتداء على الأعراض بالقول وغيره أيضا تختلف باختلاف طبقة المعتدي والمعتدى عليه؛ فكلما تتدنى طبقة المعتدي وترتفع طبقة المعتدى عليه تكون العقوبة أقسى وأردع؛ فتكون عقوبة الشودري أشد وأخزى تبعا لذلك.

وتحكم كتب القوانين على الشودري عقوباته كما يلي:

يحكم عليه بالضرب إذا سب البرهمي لأن البرهمي لا يجوز سبه ولا احتقاره لكونه القائم بالأمور الشرعية وتأديب الأولاد والتلاميذ وقضاء الكفارات والأجزية.(١)

ويقطع لسانه إذا عير أحدا من الطبقات العليا بلسانه، وإذا دعا من هو أعلى منه بمجرد اسمه متهكما دون تقدير أدخل في فمه حديد محمى طوله عشرة قراريط.

وإذا هم أن يبدي رأيه أو نصحه أمام البرهمي متعاليا صب في فمه وأذنيه زيت يغلي.

وإذا هم أن يجالس البرهمي تكوى أسته ثم ينفى من البلاد أو يشرط عجزه. (٢)

وإذا لبس شيئا مما يختص بالبرهمي من لباس وخيط ونحوهما قتل . (٣)

وإذا تساب الشودري والويشي يغرم الحاكم على الويشي مائتين وخمسين نقدا وعلى الشودري ضعفه.(٤)

وأما عقوبات غير الشودري في الاعتداء بالكلام فهي بالغرامة فقط تتضاعف حسب طبقة المعتدي والمعتدى عليه.

---

(١) المرجع السابق ٢٦٧/٨و ٣٥/١١

(٢) انظر: ناردا سمرتي ٢٢/١٥-٢٧ ومنو سمرتي ٢٧٠/٨-٢٧٢و ٢٨١ وشنو سمرتي ٢٠/٥-٢٥

(٣) انظر: منوسمرتي ٢٢٤/٩

(٤) المصدر السابق ٢٧٧/٨.

فالبرهمي إذا سب الكشتري يغرم خمسين نقدا، وإذا سب الويشي يغرم خمسة وعشرين نقدا، وإذا عير الشودري يغرم اثني عشر نقدا، ولا يحكم جوتما على البرهمي الذي يسب الشودري بشيء في حين يبين برهسبتي أنه إذا كان الشودري ملتزما بوظيفته ومنزلته الطبقية يغرم البرهمي باثني عشر نقدا، أما إذا لم يكن كذلك فلا شيء عليه.

والكشتري الذي يشتم البرهمي يغرم مائة نقد وفي عكس ذلك النصف؛ وإذا شتم الويشي يغرم خمسين نقدا؛ نصف ما على العكس؛ وإذا شتم الشودري يغرم عشرين أو خمسة وعشرين نقدا.

وإذا حقر الويشي برهميا يغرم ضعف ما على الكشتري مع نصفه وهو مائتين وخمسين نقدا، وإذا حقر كشتريا يغرم مائة، وإذا حقر شودريا فخمسين .

ويغرم الفرد من الطبقات الثلاث العليا إذا عير أحدا من طبقته بالكلام اثني عشر نقدا، وإذا استعمل ألفاظا فاحشة بذيئة فأربعة وعشرين نقدا.(١)

وإذا تساب البرهمي والكشتري بألفاظ فاحشة فعلى البرهمي غرامة مائتين وخمسين نقدا وعلى الكشتري خمسمائة نقد.(٢)

---

(١) انظر: منو سمرتي ٨/٢٦٧-٢٦٩، وجوتما دهرما شاستر١٢/٨-١٣، وبرهسبتي سمرتي ٢٠/٧-١١

(٢) انظر: منو سمرتي ٨/٢٧٦

ج – الاعتداء على الممتلكات

تعد السرقة من الكبائر يستحق مقترفها القطع أو السجن أو الغل أو القتل حسب شدة الجريمة نظرا إلى السارق ومالك الأموال ومنزلتهما الطبقية، ويجب على السارق الإسراع إلى التوبة واستقبال العقوبة كما يجب على الحاكم الجد في تطبيق العقوبات سرا وعلنا، وإلا فيكون مجرما ومشتركا في جريمة السرقة.(١)

جاء في قوانين منو:

" على السارق أن يذهب إلى الحاكم ليعترف بذنبه مرسلا شعره أشعث؛ وحاملا على كتفه عصا أو حديدا أو غيرهما ويعترف بذنبه أمام الحاكم ويطلب منه تطهيره ، فيضربه الحاكم بالعصا التي حملها ضربة واحدة، فيتجرد السارق من جريمته سواء قضي عليه بالضرب أم لا.

وإذا كان السارق برهميا فلا يضربه الحاكم أبدا؛ بل يكفر عن السرقة"(٢)

وتعطي القوانين البراهمة الحق في أخذ مال الشودري متى شاءوا وليس عليهم ذنب في ذلك إذ تقرر أن جميع ما في الكون ملك لهم وأن طبقة الشودرا عبيدهم وكل ما للعبد لسيده.(٣)

والذي يسرق مال البرهمي يجازى جزاء شديدا، وإذا سرق أحد بقرته فتقطع ساقه من النصف . وإذا كان السارق شودريا فلا هوادة في الجزاء؛ يحكم عليه قانون آبستمبا بمصادرة ممتلكاته ثم قتله، ويحكم عليه قانون منو بأن تقطع أعضاؤه ويقتل.

---

(١) المرجع السابق ٨/٣٠٨-٣١٠

(٢) المرجع السابق ٨/٣١٤-٣١٦

(٣) المرجع السابق ٨/٤١٧

أما إذا سرق البرهمي فجزاؤه إطلاقه بربط عينيه حسب قانون آبستمبا.(١)

ونلحظ على القوانين البرهمية أنها تفرق بين السارق العالم بخطورة السرقة وآثارها وجزائها وبين الجاهل بها؛ فتعطي الذي يعلم أضعاف جزاء الذي لا يعلم. فجزاء الشودري العالم ثمانية أضعاف جزاء الشودري الجاهل؛ وجزاء الويشي العالم ستة عشر ضعف ما على الجاهل؛ وجزاء الكشتري العالم اثنان وثلاثون ضعفا وعلى البرهمي العالم أربع وستون أو مائة أو أربعة وعشرون ومائة ضعف؛ لأن البرهمي أعلم من الجميع بآثار جريمة السرقة.(٢)

---

(١) انظر: التيارات الخفية للحضارة الهندية ١١٩/٢، منو سمرتي ٢٤٨/٩

(٢) انظر: منو سمرتي ٣٣٧/٨-٣٣٨

د- الشهادة واليمين

تقبل الشهادة ممن عرف بالصدق والعلم والإخلاص من كل طبقة، ولا تقبل شهادة العالم بالويدات والبرهمجاري والحاكم وأصحاب الحقوق وأصدقائهم وخدمهم وأعدائهم، وأهل الكبائر والمنافقين، والمريض والمجنون، والصبي وكبير السن والعازب، والمغني والممثل، والنجار والطباخ، والجندالا والمهان، والسارق وفاعل المنكرات، والأصم والأبكم والسكران، والذي غلب عليه العطش أو الجوع أو الغضب أو الشهوة ونحو ذلك.

وتقبل شهادة المرأة والصبي المميز وكبير السن والتلميذ والقريب والعبد والخادم في حالات لا يكون غيرهم شاهدا على ما يحصل مثلما يحدث داخل بيت أو غابة أو نحوهما.

وتكون الشهادة للطبقات الثلاث العليا من أفرادها وللمرأة من المرأة وللشودري من الشودري وللجندالا من طبقة الجندالا.(١)

ويجب على الشهود الصدق في القول في قضايا جميع الطبقات، وإذا اختلفت الشهادات في موضوع واحد يستشهد الحاكم شهودا كثيرين، وإذا تساوت الشهادات تفضل شهادة البررة، وإذا تساوت أيضا تفضل شهادة البراهمة.(٢)

ويبدأ الحاكم في استماع الشهادات بتعظيم شهود البراهمة أمام الآلهة والبراهمة القضاة، ويستشهد البرهمي بقوله له "قل" والكشتري بقوله "اصدق" والويشي بقوله "إن تكذب تفن أموالك وأنعامك وزراعتك" والشودري بقوله" إن تكذب تتحمل أوزار الكبائر مثل قتل البرهمي ونحوه" ثم يحلفهم .(٣)

---

(١) انظر: منو سمرتي٦٣/٨-٦٨،٧٠

(٢) المرجع السابق ٧٣/٨

(٣) المرجع السابق ٨٧/٨،٨٨

وكذا، يختبر الحاكم صدق البينة التي أحضرها المدعي أو المنكر بأن يطلب من البرهمي أن يصدق في القول ومن الكشتري أن يقسم بسلاحه أو مركبه، ومن الويشي أن يقسم بأنعامه أو أمواله أو حبوبه، وبأن يذكر الشودري أنه إذا كذب تحمل أوزار الكبائر.(١)

وشهادة الزور جريمة كبيرة ووزرها مثل قتل البرهمي والمرأة والصبي وظلم الصديق وكفر النعمة؛ ويغرم الحاكم على شاهد الزور بدافع رغبة أو رهبة أو غضب من مائة إلى ألف نقد حسب قوة الدافع وضعفه.

والذي تعود على شهادة الزور من الكشتري أو الويشي أو الشودري يعاقبه الحاكم بغرامة ثم يجليه من البلاد، وأما البرهمي فينفى من البلاد فقط دون أن يحزنه الحاكم ولا أن يعاقبه في جسده.(٢)

وهناك عشرة مواضع يعاقب فيها الكشتري والويشي والشودري وهي الفرج والبطن واللسان واليد والرجل والعين والأنف والأذن والمال والجسم. فبأي من هذه الأعضاء يعمل المنكر يعاقب فيه بالضرب أو القتل إذا كان الذنب كبيرا، ويغرم في المال إذا كان صغيرا.(٣)

ويجوز الكذب لكل واحد من الطبقات الأربع فيما يقتل به إذا صدق، بل الكذب فيه أفضل من الصدق، وليس على الذي يحلف الحلف الكاذب في موضع الزواج والعشرة بين الزوجات وسوام الأنعام وإنقاذ البرهمي ذنب.(٤)

---

(١) المرجع السابق ١١٣/٨

(٢) المرجع السابق ٨٩/٨، ٩٣،٩٥،١٢٠،١٢١،١٢٣،١٢٦ .

(٣) المصدر السابق ١٢٣/٨-١٢٥

(٤) المصدر السابق ١٠٤/٨و١١٢

المطلب الرابع

نقد الطبقية في الاجتماع عند البراهمة على ضوء الإسلام

إن الذي يتتبع قوانين البرهمية في الأمور الاجتماعية يرى أن فيها فضائل تدعو إليها الشريعة الإسلامية ، وتنهى عن كثير من الرذائل التي تنهى عنها ، مما يدل على بقايا دين صحيح وما يناقضه فيها فهو تبديل تحريف عن الدين الصحيح .

وهناك نواحي بعيدة عن الإسلام لدى البرهمية حكمتها نزعات التفرقة الطبقية فروعيت فيها أطماع الطبقات العليا ومصالحها الطائفية حتى صارت الفضائل لديها هي التي تجلب المنافع وتحافظ على المصالح للطبقات العليا، والرذائل هي التي تمنعها من امتيازاتها وتمس مكانتها وقداستها.وشهادة الزور مثلا ، تعدها البرهمية جريمة كبيرة يستحق صاحبها عقوبة شديدة ، وفي نفس الوقت تعد فضيلة إذا كان لمصلحة الطبقات العليا كإنقاذ البرهمي من القتل ونحو ذلك ، مما يدل على التحريف والتعديل وتدخل أهواء البشر في قوانين البرهمية .

وقد تقدم أن العادات والتقاليد المشروعة هي التي يتلقاها الناس عن البراهمة الذين ولدوا في أماكن مقدسة معينة، فصارت عادات هؤلاء وتقاليدهم التي تضمن لهم مكانتهم وقداستهم وامتيازاتهم الاجتماعية أحكاما لجميع الناس فيما بعد؛ فأصبحوا مشرعين في مجال النظم الاجتماعية أيضا كما هو الحال في سائر مجالات الحياة. فقد تحكمت أطماعهم في القوانين كلها حيث نرى بوجه عام تمييز الناس في الجرائم والمخالفات وعقوباتها حيث تشتد قوتها كلما انحدرت منزلة الجاني وارتفعت منزلة المجني عليه؛ وبالعكس تستهان الجريمة وتخف عقوبتها كلما ارتفعت منزلة الجاني وتدنت منزلة المجني عليه.

وسأتناول بالنقد فيما يلي أهم مظاهر النظام الطبقي في الاجتماع من ظاهرة الدنس وعدم التماس، وشعيرة النشأة التقديسية، وأحكام الزواج وقوانين العقوبات للجرائم المتعددة، وشرح موقف الإسلام منها.

أولا: الدنس وعدم اللمس

قدمنا أن من أهم مظاهر أحكام البرهمية الاجتماعية القاسية على الطبقات الوضيعة والمنبوذين ظاهرة الدنس التي تعد الطوائف السفلى نجسا بذاتها، وتدنس الطاهرين بالنظر أو القرب أواللمس، فيجب عليهم التطهر بالغسل وغيره من أعمال التطهير المشروعة.

وهذه النجاسة في نظرهم أصلية أبدية حيث يولد الفرد منها على هذه النجاسة وينشأ عليها، وينجب أعقابه ثم يموت عليها، وليس له شيء من أعمال التطهير التي تخلصه منها. وعلى هذا أبعدت هذه الطوائف عن المدن والقرى التي تسكن فيها الطبقات العليا، وقوطعت بحصار اجتماعي في أماكن بعيدة غامرة.

وقد سيطرت هذه الظاهرة على طوائف المجتمع الهندوسي منذ العصر الويدي وتستمر سيطرتها إلى الآن كما يتضح ذلك من عدد الطوائف الدنسة التي بلغت قرابة ٤٥٠ طائفة حسب الإحصائيات التي جرت عام ١٩٣٥م كما سبق .(١)

والحقيقة أن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم وكرمه وفضله على كثير ممن خلقه،فهو على هذه الحال ما دام مستقيما على الطريق السوي قائما بواجبه الأصلي وموفيا للغرض الأسمى الذي خلق من أجله. والذي يحيد عن الصراط المستقيم فانه يتدنى إلى أسفل السافلين ويتدنس بنجاسة الشرك والكفر إلا إذا تاب وآمن فتزول عنه هذه النجاسة ويرجع إلى الكرامة والطهارة.

فالإنسان تعتريه هذه النجاسة المعنوية إذا أشرك بالله تعالى وعصاه حتى يغسلها بالإيمان والتوبة؛

وإلى هذا يشير قوله تعالى:
﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ الآية(٢)

---

(١) راجع ص ١٦٠

(٢) سورة التوبة، آية ٢٨

قال ابن كثير في تفسير الآية:

"ودلت هذه الآية على نجاسة المشركين كما ورد في الصحيح (المؤمن لا ينجس)(١) وأما نجاسة بدنه فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات لأن الله تعالى أحل طعام أهل الكتاب".(٢)

قال الراغب الأصفهاني:

" ... فللنفس نجاسة كما أن للبدن نجاسة، لكن نجاسة البدن قد تدرك بالبصر، ونجاسة النفس لا تدرك إلا بالبصيرة؛ وإياها قصد تعالى بقوله ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾(٣) وبقوله تعالى ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾(٤) وبقوله ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٥)... الذي به تطهر النفس حتى يترشح لخلافة الله تعالى ويستحق به ثوابه هو العلم والعبادات الموظفة التي هي سبب الحياة الأخروية كما ان الذي يطهر به البدن هو الماء الذي هو سبب الحياة الدنيوية ولذلك سماها الحياة وسمي ما أنزل الله تعالى في كتابه الماء فقال: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(٦) فسمى العلم والعبادة حياة من حيث إن النفس متى فقدتهما هلكت هلاك الأبد" (٧)

وجسم الإنسان طاهر بذاته مسلما أو كافرا؛ أبيض أو أسود، فلا يتدنس بدنه بنجاسة ذاتية ولا يدنس شيئا سواء أكان آدميا أم جمادا بالنظر أو القرب أو اللمس، حتى ولو كان الآدمي متنجسا في بدنه بحدث فلا تتعدى إلى شيء آخر إذا لمسه.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح، كتاب الغسل، باب الجنب يخرج ويمشي في السوق وغيره ٧٥/١، وباب عرق الجنب وأن المسلم لا ينجس ٧٤/١، وكتاب الجنائز، باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر ٧٣/٢. ورواه مسلم في الصحيح، كتاب الحيض، باب الدليل على أن المسلم لا ينجس ٢٨٢/١، وأبو داود في السنن، كتاب الطهارة، باب في الجنب يصافح ٥٩/١، والنسائي في السنن، كتاب الطهارة، باب محاسبة الجنب ومجالسته ١١٩/١، وابن ماجة في السنن، كتاب الطهارة، باب مصافحة الجنب ١٧٨/١، والامام أحمد في المسند ٢٣٥/٢،٣٨٢،٤٧١،٥/٣٨٤،٤٠٢

(٢) تفسير ابن كثير ٣٤٧/٢، وانظر: فتح القدير ٣٤٩/٢

(٣) سورة التوبة، آية ٢٨

(٤) سورة المدثر، آية ٥

(٥) سورة الأنعام، آية ١٢٥

(٦) سورة الأنفال، آية ٢٤

(٧) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص٢٩،٣٠

قال الامام ابن قدامة عند الكلام عما هو طاهر في نفسه وسؤره وعرقه:

"وهو ثلاثة أضرب، الأول الآدمي فهو طاهر وسؤره طاهر، سواء كان مسلما أو كافرا عند عامة أهل العلم إلا أنه حكى عن النخعي أنه كره سؤر الحائض. وعن جابر بن زيد لا يتوضأ منه، وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المؤمن ليس بنجس(١)، وعن عائشة أنها كانت تشرب من الإناء وهي حائض فيأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيها فيشرب، فتتعرق العرق (٢) فيأخذه فيضع فاه على موضع فيها(رواه مسلم)(٣)، وكانت تغسل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حائض (متفق عليه)(٤)، وقال لعائشة: ناوليني الخمرة (٥)من المسجد، قالت: إني حائض، قال: إن حيضتك ليست في يدك(٦)".(٧)

---

(١) رواه الجماعة بلفظ"إن المؤمن لا ينجس" وسبق تخريجه في ص ١٧٩

(٢) العرق بفتح العين واسكان الراء، وهو العظم الذي عليه بقية من لحم، وجمعه عراق بضم العين، ويقال عرقت العظم وتعرقته واعترقته إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك.(شرح مسلم للنووي ٣/٢١١)

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في جحرها وقراءة القرآن فيه١/٢٤٥، ورواه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب في مؤاكلة الحائض ومجامعتها١/٦٨، وابن ماجة في سننه، كتاب الطهارة، باب ما جاء في مؤاكلة الحائض وسؤرها١/٢١١، والنسائي في سننه، كتاب الطهارة، باب سؤر الحائض١/٤٩، وباب مؤاكلة الحائض والشرب من سؤرها وباب الانتفاع بفضل الحائض ١/١٢١،١٢٢، وكتاب المياه، باب سؤر الحائض١/١٤٥، وكتاب الحيض، باب مؤاكلة الحائض والشرب من سؤرها١/١٥٦

(٤) رواه البخاري في الصحيح، كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض١/٧٨، وكتاب الاعتكاف، باب غسل المعتكف٢/٢٥٦، ومسلم في الصحيح، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله١/٢٤٤، وانظر: سنن النسائي، كتاب الطهارة، وكتاب الحيض، باب غسل الحائض رأس زوجها١/١٢١،١٥٩، وسنن ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب الحائض تتناول الشيء من المسجد١/٢٠٨،وكتاب الصيام، باب ماجاء في المعتكف يغسل رأسه ويرجله١/٥٦٥، ومسند الامام أحمد٦/٣٢،١٨٩،٢٠٤،٢٦١

(٥) قال النووي:الخمرة بضم الخاء واسكان الميم هي السجادة، وهي ما يضع عليه الرجل وجهه في سجوده من حصير أو نسيجة من خوص، وسميت خمرة لأنها تخمر الوجه أي تغطيه(شرح مسلم ٣/٢٠٩،٢١٠)

(٦) رواه مسلم في الصحيح، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله١/٢٤٥، والترمذي في السنن، كتاب الطهارة، باب ماجاء في الحائض تتناول الشيء من المسجد١/٢٤١،٢٤٢، وأبو داود في السنن، كتاب الطهارة، باب الحائض تتناول شيئا من المسجد١/٦٨، والنسائي في السنن، كتاب الطهارة وكتاب الحيض، باب استخدام الحائض١/١٢٠،١٥٨، وابن ماجة في السنن، كتاب الطهارة، باب الحائض تتناول الشيء من المسجد١/٢٠٧، وأحمد في المسند ٢/٧٠

(٧) المغني ١/٤٩،٥٠

وقال في موضع آخر عن طهارة الآدمي:

"... الصحيح في المذهب أنه طاهر حيا وميتا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "المؤمن لا ينجس"(متفق عليه)... ولم يفرق أصحابنا بين المسلم والكافر لاستوائهما في الآدمية وفي حال الحياة؛ ويحتمل أن ينجس الكافر بموته لأن الخبر انما ورد في المسلم ولا يصح قياس الكافر عليه لأنه لا يصلى عليه وليس له حرمة كحرمة المسلم".(١)

وأما ما يستعمله الكافر من ثياب وأوان وغيرها فهي طاهرة مباحة الاستعمال ما لم تعلم نجاستها.(٢)

فالإنسان في الشريعة الإسلامية مخلوق طاهر بذاته لا ينجس ولا ينجس؛ ومن ثم اعتبار البرهمية بعض الناس – رغم كونهم داخلين في مجتمع واحد وديانة واحدة – نجسا تتعدى نجاسته إلى الشخص أو الشيء الذي يلمسه فيجب الابتعاد عنه يعد اعتداء على كرامة الإنسان وطهارته وحرمته التي منحه الله إياها.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(٣)

---

(١) المغني ٤٥/١

(٢) انظر: المغني ٨٢/١،٨٣، والشرح الكبير لشمس الدين عبد الرحمن بن قدامة (مطبوع مع المغني) ٦١/١

(٣) سورة الاسراء، آية ٧٠

ثانيا: شعيرة النشأة التقديسية

ومن مظاهر النظام الطبقي شعيرة "أبنيانا" أي عملية النشأة التأهيلية التي تقام لأولاد الطبقات العليا الثلاث، التي يكتسبون بها قداسة وطهارة اجتماعية ترفع منزلتهم عن طبقة الشودرا؛ ومن لم تعمل له مراسم هذه الشعيرة يبقى دنيئا منبوذا كالشودري ولا يحق له أن يتعلم الكتب المقدسة أو العلوم الأخرى ولا أن تقام له سائر الشعائر الدينية وغير ذلك.

ويرى الدكتور أمبيدكر أن هذه الشعيرة كانت بسيطة في بداية الأمر، عبارة عن الإتيان بالولد إلى معلمه ليتلقى منه العلم وليدخل إلى المرحلة الأولى من مراحل الحياة الأربع؛ وكانت تعمل لجميع الأطفال دون نظر إلى طبقتهم ثم صارت شعيرة معقدة ذات أهمية بالغة؛ قاصرة على الطبقات الثلاث العليا حينما امتنع البراهمة عن القيام به لطبقة الشودرا انتقاما منهم وابعادا لهم عن الامتيازات الاجتماعية والاختلاط بالطبقات العليا وإبقاء لهم في خدمة الطبقات العليا دون غير.(١)

وأساس شعيرة النشأة الثانية هذه هو نظرة البرهمية إلى أن الرجل يولد بطبيعته دنيئا منبوذا غير مؤهل لتعلم العلوم والقيام بالأعمال الدينية والممارسة بالحياة الأسرية حتى تقام له شعائر خاصة في الوقت المحدد له؛ فيكتسب الولادة الثانية ويرتفع من دناءته ويدخل في قداسة طبقته ويتأهل لما شرع له، وحيث إن طبقة الشودرا لم يشرع لهم إلا خدمة الطبقات الثلاث العليا، لم تشرع لهم هذه الشعيرة فيبقون على دناءتهم وقذارتهم دون مخلص منها.

والحقيقة أن الإنسان يولد على الفطرة السليمة مهيأ بقوى وطاقات بشرية ومؤهلا لجميع الأمور التي خلق لأجلها، فهو مفطور على الدين؛ وإذا شب على فطرته دون تأثير من قوة خارجية شب على كرامته وسلامته.

---

(١) انظر: مختارات من مؤلفات الدكتور امبيدكر ١٣٤/١

روى البخاري بسنده أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول : ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾(١)(٢)

وروى الامام مسلم بسنده عن عياض بن حمار المجاشعي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه قال: إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ..."(٣)

فدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم جميع بني آدم، لا فرق بينهم بحكم النسب أو العرق أو اللون أو غير ذلك. فمنع الناس عن أهليتهم الفطرية وصدهم عن السير على الفطرة السليمة التي خلق الله الناس عليها ظلم واعتداء على البشرية وسلامتها الفطرية.

---

(١) سورة الروم، آية ٣٠
قال الامام القرطبي في تفسير هذه الآية: وقال شيخنا (أبو العباس) في عبارته : "إن الله تعالى خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ودين الإسلام وهو الدين الحق" الجامع لأحكام القرآن ٢٩/١٤

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الروم ٣٠/٦، وانظر: عنده كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ٩٧/٢، وكتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين ٢١١/٧، وصحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٢٠٤٧/٤، ٢٠٤٨، وسنن أبي داود، كتاب السنة، باب في ذراري المشركين ٢٢٩/١، ٢٣٠، وسنن الترمذي، كتاب القدر، باب ماجاء كل مولود يولد على الفطرة ٤٤٧/٤، وموطأ الامام مالك، كتاب الجنائز، باب جامع الجنائز ٢٤١/١، ومسند الامام أحمد ٢٣٣/٢، ٢٥٣، ٢٧٥، ٢٨٢، ٣١٥، ٣٤٧، ٣٩٢، ٤١٠، ٤٨١، ٤٣٥/٣، ٢٤/٤

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٢١٩٧/٤، ٢١٩٨، وانظر: مسند الامام أحمد ١٦٢/٤

ثالثا: أحكام الزواج

تشرع في القوانين البرهمية أنواع من الزواج ، لكل طبقة نوع مخصص منها بحسب كرامتها ورتبتها الاجتماعية، ومن هذه الأنواع ما هو سفاح وجريمة وإفساد حسب النظام الإسلامي، مثل أن يملك الرجل امرأة بالقوة والسلاح وقتل أوليائها وأقربائها، وتعد البرهمية هذا من أفضل أنواع الزواج لطبقة الكشترية حيث هم طبقة القوة والمحاربة والغلبة.

ويعنى النظام الطبقي عناية بالغة بحفظ السلالة الأصلية لكل طبقة وامتيازاتها، ومنع اختلاط النسب، فيمنع التزاوج بين الطبقات، وخاصة الطبقات العليا من الطبقة الشودرية، ويشدد في ذلك على الطبقة البرهمية بوجه أخص، ويبين أن هذا يحط البرهمي من مكانته الأصلية إلى مكانة الشودرية ويتدنس بنجاستها، ويكون مصيره إلى جهنم.

ونرى هذا الموقف أيضا وجها من وجوه التفرقة بين الناس على غير حق فليس من أجل الدين ولا من أجل كرامة الخلال، وهذا ما يحاربه النظام الإسلامي وينبذه فلا يقر التمييز والتفرقة بين من ربطتهم رابطة الدين دون من لم يكونوا كذلك، فالمؤمنون إخوة بعضهم أولياء بعض.

قال الله تعالى:
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(١)

وقال تعالى:
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾(٢)
وقال تعالى:
﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾(٣)

---

(١) سورة الحجرات، آية ١٠
(٢) سورة التوبة آية ٧١
(٣) سورة آل عمران، آية ١٩٥

وعلى هذا فقد اعتبر في الإسلام الدين والخلق وصفا أساسيا في النكاح لكي تدوم العشرة بين الزوجين بالمعروف، وتستقر الحياة الأسرية ويصلح المجتمع وتتعاقب الأجيال الصالحة.

قال تعالى:

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ، وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾(١)

وروى الشيخان بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك.(٢)

وروى الترمذي بسنده عن أبي حاتم المزني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد، قالوا يارسول الله: وإن كان فيه؟ قال: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه"، ثلاث مرات.(٣)

هذا، وقد أوضح العلماء المسلمون اعتبار الكفاءة في النكاح بين الزوجين لانتظام مصالحهما واستقرار المعاشرة بينهما، وذكروا من أوصاف الكفاءة الدين والنسب والحرية واليسار والصناعة والسلامة من العيوب مع اختلافهم في ذلك؛ فالإمام مالك وأصحابه يرون أن الكفاءة في الدين لا غير، وكذا رأى الامام الشافعي، وروي عنه أيضا أنها الدين والنسب والحرية والصناعة واليسار والسلامة من العيوب. وكذلك رأى الإمام أبو حنيفة والثوري والحسن بن حي إلا في الصنعة والسلامة من العيوب. وروي عن الامام أحمد أنها الدين والمنصب، كما روي عنه أيضا أنها الدين والمنصب والحرية والصناعة واليسار.(٤)

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٢١

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين ١٢٣/٦، وصحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين ١٠٨٦/٢، وانظر: سنن الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء أن المرأة تنكح على ثلاث خصال ٣٩٦/٣، وسنن أبي داود، كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من تزويج ذات الدين ٢١٩/٢، وسنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب تزويج ذات الدين ٥٩٧/١، وصحيح ابن حبان، كتاب النكاح، ذكر الأمر للمتزوج أن يقصد ذوات الدين من النساء ١٣٧/٦

(٣) سنن الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه ٣٩٥/٣ وحسنه فقال "هذا حديث حسن غريب، وأبو حاتم المزني له صحبة ولا نعرف له عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث"

(٤) انظر: المغني ٤٨٢/٦، والشرح الكبير ٤٦٦/٧، والمجموع شرح المهذب ١٨٤/١٦، وزاد المعاد ٢٢/٤

واعتبار الكفاءة في الدين متفق عليه، فلا تحل المسلمة لكافر أصلا. (١) أما ما عداه من هذه الأمور تعتبر حقا للمرأة وأوليائها وليست شرطا في النكاح، ولا يمنع عدم الكفاءة فيها صحة النكاح إذا رضيت المرأة وأولياؤها بذلك.

قال الامام النووي:"فإن زوجت المرأة من غير كفء برضاها ورضى سائر الأولياء صح النكاح، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأكثر أهل العلم وقال سفيان وأحمد وعبد الملك بن الماجشون: لا يصح" (٢)

وروي عن الامام أحمد أيضا أن الكفاءة ليست شرطا في النكاح؛

قال الامام ابن قدامة:

"... والرواية الثانية عن أحمد أنها ليست شرطا في النكاح وهذا قول أكثر أهل العلم، وروي نحو هذا عن عمر وابن مسعود وعمر بن عبد العزيز وعبيد بم عمير وحماد بن أبي سلمان وابن سيرين وابن عون ومالك والشافعي وأصحاب الرأي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٣) وقالت عائشة رضي الله عنها إن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة تبنى سالما وأنكحه ابنة أخيه هند ابنة الوليد بن عتبة وهو مولى لامرأة من الأنصار أخرجه البخاري (٤) وأمر النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت قيس أن تنكح أسامة بن زيد مولاه فنكحها بأمره متفق عليه(٥) وزوج أباه زيد بن حارثة ابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية،(٦) وقال ابن مسعود لأخته: أنشدك الله أن تتزوجي إلا مسلما وإن كان أحمر روميا أو أسود حبشيا،(٧) ولأن الكفاءة لا تخرج عن كونها حقا للمرأة أو الأولياء أو لهما فلم يشترط وجودها كالسلامة من العيوب... والصحيح أنها غير مشترطة وما روي فيها يدل على اعتبارها في الجملة ولا يلزم منه اشتراطها".(٨)

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب ١٨٤/١٦،وفتح الباري ٣٥/٩

(٢) المجموع شرح المهذب ١٨٥/١٦

(٣) سورة الحجرات، آية ١٣

(٤) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين ١٢٣/٦، وانظر: سنن النسائي، كتاب النكاح، باب تزويج المولى العربية ٥٢/٦،٥٣

(٥) انظر: صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة البائن لا نفقة لها١١١٤/٢، وسنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب نفقة المبتوتة ٢٨٥/٢، وسنن الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء أن لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ٤٤١/٣، وسنن النسائي، كتاب النكاح، باب الخطبة في النكاح ٥٨/٦ وباب تزويج المولى العربية٦/٥٢

(٦) انظر: صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب واثبات وليمة العرس ١٠٤٨/٢، وسنن النسائي، كتاب النكاح، باب صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها ربها ٦٥/٦

(٧) كتاب السنن لسعيد بن منصور الخراساني، باب ما جاء في المناكحة١٨٨/١/٣

(٨) المغني ٤٨٠/٦،٤٨١

ونقل الامام النووي عن الشافعي قوله: "ليس نكاح غير الأكفاء حراما فأرد به النكاح وانما هو تقصير بالمرأة والأولياء، فإذا رضوا صح ويكون حقا لهم تركوه؛ فلو رضوا إلا واحدا فله فسخه، قال ولم يثبت في اعتبار الكفاءة بالنسب من حديث..."(١)

والكفاءة تعتبر في الرجل دون المرأة بمعنى أنها تعتبر في جانب الرجال للنساء ولا تعتبر في جانب النساء للرجال، لأن المعنى الذي شرعت به الكفاءة يوجب اختصاص اعتبارها بجانبهم، لأن المرأة هي التي تستنكح لا الرجل. (٢)

قال ابن قدامة: "والكفاءة معتبرة في الرجل دون المرأة فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا مكافيء له وقد تزوج من أحياء العرب وتزوج صفية بنت حيي وتسرى بالإماء وقال: "من كانت عنده جارية فعلمها وأحسن تعليمها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران" متفق عليه.(٣) ولأن الولد يشرف بشرف أبيه لا بأمه فلم يعتبر ذلك في الأم".(٤)

ومن هنا تبين أن الشريعة الإسلامية لا تمنع المصاهرة بين المسلمين مع وجود فوارق اجتماعية؛ بل ترغب في اختيار الدين والخلق على سائر الأوصاف؛ وتعتبر الكفاءة فيهما وصفا أساسيا للنكاح والأمور الأخرى أوصافا كمالية تعتبر بعده للتقريب بين الزوجين وانتظام مصالحهما قدر الإمكان.

---

(١) المجموع شرح المهذب ١٨٤/١٦، ونقله أيضا الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣٥/٩

(٢) انظر: بذل المجهود في حل أبي داود للشيخ خليل أحمد السهارنفوري ١١٣/١٠

(٣) صحيح البخاري،كتاب العتق، باب فضل من أدب جاريته وعلمها ١٢٣/٣، وكتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله ٣٢/١، وكتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين ٢٠/٤، وكتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل (واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها)١٤٢/٤، وكتاب النكاح، باب اتخاذ السراري ومن أعتق جاريته ثم تزوجها ١٢٠/٦، وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب فضيلة اعتاقه أمة ثم يتزوجها١٠٤٥/٢

(٤) المغني ٤٨٧/٦

رابعا: أحكام العقوبات

نلحظ أن أحكام البرهمية في العقوبات يقصد بها الحفاظ على المنازل والامتيازات الطبقية للطبقات العليا وعدم المساس بها من قبل الطبقات الوضيعة أكثر مما يقصد بها الإقلاع عن الشر والفحشاء والمنكر وإقامة الأمن والطهارة في المجتمع ككل.

فنراها تشدد على الطبقات الوضيعة عقوبتها من القتل المر والتمثيل وقطع الأعضاء ومصادرة الأموال وغيرها للجرائم اليسيرة، وتخفف العقوبات على الطبقات العليا أو تعفو عنها كليا.

والحدود في الشريعة الإسلامية ليست انتقاما من المجرمين لكنها تهذيب وتقويم لا للمعاقبين فحسب، بل للمجتمع كله تحميه من الوقوع في الرذائل والمنكرات وتطهره منها حتى يكون مجتمعا نظيفا ومطمئنا يسوده الأمن والعدل والاخاء والمحبة والمعاملات الحسنة بين أفراده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

"فإن إقامة الحدود من العبادات كالجهاد في سبيل الله فينبغي أن يعرف أن إقامة الحد رحمة من الله بعباده، فيكون الوالي شديدا في إقامة الحد، لا تأخذه رأفة في دين الله فيعطله ويكون قصده رحمة الخلق بكف الناس عن المنكرات، لا شفاء غيظه، وإرادة العلو على الخلق بمنزلة الوالد إذا أدب ولده، فانه لو كف عن تأديب ولده كما تشير به الأم رقة ورأفة لفسد الولد، وانما يؤدبه رحمة به وإصلاحا لحاله، مع أنه يؤدبه ويؤثر أن لا يحوجه إلى تأديب، وبمنزلة الطبيب الذي يسقي المريض الدواء الكريه؛ وبمنزلة قطع العضو المتآكل والحجم، وقطع العروق بالفصاد ونحو ذلك..."(١)

---

(١) السياسة الشرعية ص١١٦

وقال الماوردي:

"الحدود زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر به لما في الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة؛ فجعل الله تعالى من زواجر الحدود ما يردع به ذا الجهالة، حذرا من ألم العقوبة وخيفة من نكال الفضيحة ليكون ما حظر من محارمه ممنوعا وما أمر به من فروضه متبوعا؛ فتكون المصلحة أعم والتكليف أتم. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾(١) يعني في استنقادهم من الجهالة وإرشادهم من الضلالة وكفهم عن المعاصي وبعثهم على الطاعة".(٢)

وقد سبق بيان أحكام البرهمية في الجرائم والعقوبات وتفرقتها بين طبقات المجتمع فيها، فإذا كان المجرم من طبقة عليا ـ خاصة إذا كان من طبقة البراهمة يعفى عنه أو يعاقب عقابا يسيرا في ماله أو جسده، وإذا كان من طبقة سفلى يعاقب عقابا شديدا في جسده ولو كانت الجريمة يسيرة.

وهذه التفرقة في الذنب والعقاب بين أفراد المجتمع وطبقاته مخالفة لشرع الله تعالى سواء أكانت في التشريع ابتداء أم في تنفيذ العقوبة أو تعطيلها؛ إذ لا يفرق بين أحد من أفراد المجتمع – بل كلهم متساوون – في عصمة أنفسهم وأموالهم وأعراضهم من الاعتداء عليها إذا آمنوا بالله ورسوله، دون نظر إلى أصولهم.

روى البخاري بسنده عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله".(٣)

---

(١) سورة الأنبياء، آية ١٠٧

(٢) الأحكام السلطانية ص٢٢١، وانظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي ١٦٣/٣

(٣) صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة فخلوا سبيلهم ١١/١، وانظر عنده كتاب الاعتصام، باب قول الله تعالى وأمرهم شورى بينهم ١٦٢/٨، وصحيح مسلم، كتاب الايمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ٥٣،٥١/١، وسنن الترمذي، كتاب الايمان، باب ما جاء أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ٥/٥، وكتاب تفسير القرآن، باب ما جاء ومن سورة الغاشية ٤٠٩/٥، وسنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون ٤٤/٣، وسنن النسائي، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد ٥/٦، وسنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الكف عمن قال لا إله إلا الله ١٢٩٥/٢

وروى أبو داود بسنده عن قيس بن عباد قال: انطلقت أنا والأشتر إلى علي عليه السلام فقلنا هل عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده إلى الناس عامة؟ قال: لا، إلا ما في كتابي هذا، قال مسدد: قال فأخرج كتابه، وقال أحمد كتابا من قراب سيفه، فإذا فيه "المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم" – الحديث (١)

قال الامام البغوي:

"قوله: (تتكافأ دماؤهم) يريد أن دماء المسلمين متساوية في القصاص يقاد الشريف منهم بالوضيع والكبير بالصغير والعالم بالجاهل والرجل بالمراة، وإذا كان المقتول شريفا أو عالما والقاتل وضيع جاهل لا يقتل به غير قاتله على خلاف ما كان يفعله أهل الجاهلية، كانوا لا يرضون في دم الشريف بالاستقادة من قاتله الوضيع حتى يقتلوا عدة من قبيلة القاتل".(٢)

قال شيخ الإسلام:

"فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسلمين تتكافأ دماؤهم أي تتساوى وتتعادل فلا يفضل عربي على عجمي، ولا قرشي أو هاشمي على غيره من المسلمين، ولا حر أصلي على مولى عتيق ولا عالم أو أمير على أمي أو مأمور، وهذا متفق عليه بين المسلمين" (٣)

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الديات، باب أيقاد المسلم بالكافر ١٨٠/٤، وانظر: سنن النسائي، كتاب القسامة، باب القود بين الأحرار والمماليك في النفس ١٨/٨
حسن الحافظ ابن حجر اسناده عند شرحه لما أخرجه البخاري في باب لا يقتل المسلم بالكافر(انظر: فتح الباري ٢٧٢/١٢)

(٢) شرح السنة ١٧٤،١٧٣/١٠

(٣) السياسة الشرعية ص١٦٩

وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم أن التفرقة في عقوبة الجرائم وتنفيذها بين أشراف الناس وغيرهم كانت سببا لهلاك الأمم.

روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم رسول الله فقال: "أتشفع في حد من حدود الله"؟ ثم قام فخطب فقال: "يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها"(١)

قال شيخ الإسلام:
"وكثير مما يوجد من فساد أمور الناس إنما هو لتعطيل الحد بمال أو جاه، وهذا من أكبر الأسباب في فساد أهل البوادي والقرى والأمصار من الأعراب والتركمان والأكراد والفلاحين وأهل الأهواء كقيس ويمن وأهل الحاضرة من رؤساء الناس وأغنيائهم وفقرائهم وأمراء الناس ومقدميهم وجندهم ..."(٢)

والحدود الشرعية تنقسم إلى ما هو حق لله تعالى وما هو حق للآدمي، فحق الله تعالى هو الذي ليس لقوم معينين، فمنفعته لمطلق المسلمين أو لنوع منهم وكلهم يحتاج إليه، وهذا يقام على كل فرد من أفراد المسلمين شريفا كان أم وضيعا، قويا أم ضعيفا، دون نظر إلى أصله أو مكانته، ولا يقبل فيه مال أو شفاعة ولا يجب تعطيله بجاه أو غيره.(٣)

وأما ما هو حق للآدمي، وهو الجناية على النفس أو المال أو العرض، فقد جعل الله تعالى للمجني عليه أو لوليه سلطانا، فله الاقتصاص من الجاني، أو العفو عنه بدية أو بدونها.(٤)

---

(١) سبق تخريجه، انظر ص١٢٣

(٢) السياسة الشرعية ص ٨٦

(٣) المرجع السابق ص٧٨،٧٩

(٤) المرجع السابق ص ١٦٥-١٦٦

قال الله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ، ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِن رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ، فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَأُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١)

قال ابن العربي:

"القصاص هو المساواة مع استيفاء الحق"(٢)

قال القرطبي:

"صورة القصاص هو أن القاتل فرض عليه الوقوف عند قاتل وليه وترك التعدي على غيره، كما كانت العرب تتعدى فتقتل غير القاتل..."(٣)

ولا يفرق الشرع في استيفاء القصاص بين أفراد المسلمين، فيقتص لصاحب الحق من الجاني بشرط المساواة بمثل ما جني عليه دون نظر إلى أصلهما ولا مكانتهما في المجتمع.

قال تعالى:

﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا؛ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(٤)

قال شيخ الإسلام:

القصاص ثابت بين المسلمين باتفاق الأمة ،يقتص للهاشمي المسلم من الحبشي المسلم وللحبشي المسلم من الهاشمي المسلم :في الدماء ، والأموال ،والأعراض وغير ذلك، بحيث يجوز القصاص في الأعراض يجوز للرجل أن يقتص، فإذا قال له الهاشمي: يا كلب! قال له: يا كلب، وإذا قال: لعنك الله قال له: لعنك الله ويجوز ذلك، وهذا من معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِن سَبِيلٍ، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾.(٥)"(٦)

---

(١) سورة البقرة، الآيتان١٧٨ ،١٧٩

(٢) أحكام القرآن ٦١/١

(٣) تفسير القرطبي ٢٤٥/٢

(٤) سورة الشورى، آية ٤٠

(٥) سورة الشورى، الآيات ٤١-٤٣

(٦) مجموع الفتاوى ١٣٥/٣٤

ولا يجوز تقطيع الأعضاء والمثلة في العقاب إلا على وجه القصاص فقد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن ذلك.

روى البخاري بسنده عن قتادة أن أنسا رضي الله عنه حدثهم أن ناسا من عكل وعرينة قدموا المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالإسلام فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذود وراع وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم. قال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة.(١)

وبهذا الشرح لأحكام الإسلام في بعض الأمور الاجتماعية التي ظهر فيها تمييز النظام الطبقي أكثر ، تبين موقف الإسلام من هذا النظام الذي يميز بين البشر ويدنس بعضهم تدنيسا ظاهريا وباطنيا ويقدس بعضهم الآخر ويرفعهم إلى العلو الطبقي ، ويمنع التزاوج بين افراد المجتمع الواحد نظرا لطبقيتهم ، ويخفف العقوبات في الاعتداءات والجرائم على الطبقات العليا في حين يشددها على الطبقات السفلي وإن كانت الجرائم بسيطة ، إضافة إلى ما تتلقاه من العقوبات الرادعة في الأمور الدينية •

وبهذا نرى أن النظام الطبقي البرهمي كان أشد جورا وظلما على الإنسانية في هذا المجال أيضا •

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة عكل وعرينة ٥/٧٠،٧١، وكتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة ٦/٢٢٨، وكتاب المظالم والغضب، باب النهبى بغير اذن صاحبه٣/١٠٧ وسنن أبي داود، كتاب الحدود، باب ما جاء في المحاربة ٤/١٣٠،١٣١، وكتاب الجهاد، باب في النهي عن المثلة ٣/٥٣ ومسند الامام أحمد ٤/٢٤٦،٣٠٧،٤٢٨،٤٢٩، ٤٣٢،٤٣٦، ٤٣٩،٤٤٠، ٤٤٥، ٥/١٢،٢٠.

المبحث الثالث

الطبقية في الاقتصاد

المطلب الاول : النظم الاقتصادية

المطلب الثاني : شؤون العمل والمعاش

المطلب الثالث : نقد النظام الطبقي في مجال الاقتصاد

المبحث الثالث

الطبقية في الاقتصاد

المطلب الأول
النظم الاقتصادية

يظهر التفاوت في الأمور الاقتصادية حسب تفاوت الطبقات في منزلتها وحقوقها الاجتماعية؛ واتخذت البرهمية نظما وقوانين تعطي الطبقات العليا – ولا سيما طبقة البراهمة –امتيازات كثيرة تجلب لهم الأموال الكثيرة، إضافة إلى ترخيص الحاكم لهم في كثير من الأحكام العامة.

ونبين في هذا المبحث نظام البرهمية في ملكية الأموال وميراثها وأهم امتيازاتها في المجالات الاقتصادية.

١ – ملكية الأموال ومواردها

الأموال كلها ملك لطبقة البراهمة في نظر الديانة البرهمية وإنما يقتنيها ويستخدمها غيرهم من الناس رحمة وشفقة منهم على غيرهم .(١)

---

(١) انظر: منو سمرتي ١٠١/١

والأموال التي يتحصل عليها المرء سبعة أصناف هي:-

١ - الميراث.
٢ - الأرباح التي تحصل من نتاج المال.
٣ - المشتريات .
٤ - الأموال التي تحصل من انتصارات الحروب .
٥ - المراباة .
٦ - التجارة والزراعة .
٧ - الهدايا والقربات وغير ذلك .

وتشترك في الثلاثة الأولى جميع الطبقات على حد سواء، والرابعة خاصة بطبقة الكشترية، والخامسة والسادسة خاصة بطبقة الويشية، والسابعة خاصة بطبقة البراهمة.(١)

٢ - أموال الميراث وقسمتها

يقوم الميراث في البرهمية على أساس أحقية إجراء مراسم الموت للموروث، ولأن المرأة ليس لها حق في ذلك، لا ترث مع اخوتها أو أبنائها.(٢)

وللابن الأكبر أن يرث جميع أموال والديه، فيعتبر رب الأسرة ينفق على بقية إخوته، وهم يعظمونه كالأب ويعولون عليه.

وإذا لم يرد الابن الأكبر ذلك بل أراد تقسيم الأموال بين الوارثين، فيجب تقسيمها على الاخوة على السواء بعد أخذ كل واحد منهم نصيبه الخاص بمرتبته في البنوة.

---

(١) المرجع السابق ١١٥/١٠
(٢) انظر: كيرالا في القرن التاسع عشر ص٣٠٣

فللابن الأكبر نصف عشر جميع الأموال نصيبا خاصا، وللابن الأصغر ثمن العشر، وللأكبر أن يأخذ العين الأفضل من جميع أنواع المال وعشر البقر المملوكة لوالدهم في حالة عدم كون اخوته على علم بالويدات وعدم قدرتهم على الزواج وغيره. وإن كانوا على علم بالويدات وقدرة على الزواج فليس للأكبر إلا شيء زائد على نصيبه العام علامة لأكبريته في السن وأفضليته بين الاخوة.

ولمن بينهما ربع العشر. وفي حالة عدم أخذ كل واحد نصيبه الخاص تقسم الأموال ويأخذ الولد الأكبر جزأي المال، والولد الثاني جزء ونصف جزء، والباقون جزء واحدا لكل واحد.

ويشترك في الميراث ابن الابن من زوجة أخيه الأكبر، فيأخذ نصيبا مساويا لعمه دون حقه الخاص.(١)

وإذا لم يكن للرجل ابن ذكر فيرث ماله ابن بنته سواء أوصى زوج ابنته عند عقد الزواج بأن يكون على ابنه حق عمل مراسم موته أم لم يوص به. وإذا ولد للأب ابن بعد الوصية فيشتركان في ماله على السواء. وإذا ماتت البنت بدون ولد يرث المال زوجها.

والولد المتبنى يرث مال أبيه المتبني ولا يستحق من مال أبيه الحقيقي شيئا.

وإذا مات الأخ الأكبر بدون ولد يرعى أرملته أخوه ويجامعها حتى ينجب منها ولدا واحدا ويعطيه مال أبيه.

وليس للأعمى والأصم والمجنون والسفيه والخنثى والأعرج ومقطوع اليد ورديء الإخلاق نصيب في مال أبيهم، بل لهم النفقة من الطعام واللباس إلى موتهم.

---

(١) المرجع السابق ٩/١٠٤-١٢٠

وإذا قسم الوالد أمواله بين أبنائه في حياته ثم ولد له ابن فيأخذ المال الذي بقي عند الوالد بعد التقسيم إن كانوا متفرقين، وإن كانوا معا في بيت الوالد فيشترك معهم في جميع الأموال على السواء. وإذا مات هذا الابن قبل أن يكون له ولد ، ووالده حي فيأخذ ماله والده. وإن لم يكن فوالدته، وإن لم تكن فوالدة أبيه.(١)

ويقسم مال الوالدة بين أبنائها الذكور وبناتها غير المتزوجات فقط إلا أنه يحسن أن تعطى المتزوجات شيئا منه تبرعا، وإن لم يكن لها ولد يرثها زوجها إذا كان الزواج نوعا من الأنواع الخمسة الأولى، ويرثها والداها إذا كان الزواج من الأنواع الثلاثة الأخيرة.(٢)

وليس للبنت شئ من الأموال إلا إذا كانت غير متزوجة، فعلى الإخوة أن يعطوها ربع نصيبهم لأجل زواجها.(٣)

وإذا لم يكن للرجل ولد ذكر يرث ماله ابن بنته، وإن لم يكن فزوجته، وإن لم تكن فبنته، وإن لم تكن فوالده، وإن لم يكن فأمه، وإن لم تكن فاخوته، وإن لم يكن له أخ فأولاد إخوته، وإن لم يوجد ولد أخيه فوالدة أبيه (جدته)، وإن لم تكن فابن أخيه من أبيه، وإن لم يكن فيأخذ المال الأولى بإجراء مراسم الموت، وإن لم يكن فأقرباؤه، وإن لم يكونوا فمعلمه، وإن لم يكن فتلميذه، وإن لم يوجد فزميله في التعلم، وإن لم يكن فيأخذ الحاكم أمواله.

لكن لا يأخذ الحاكم مال البرهمي في هذه الحالة بل يأخذه برهمي آخر عالم بالويدات الثلاث، وإن لم يوجد برهمي عالم فيأخذه أي واحد من طبقة البراهمة.(٤)

والولد الذي ينجبه البرهمي من امرأة شودرية إشباعا لشهوته الجنسية بمثابة الميت لا يستحق ماله ولا يصلح لعمل المراسم لأبيه بعد موته.(٥)

---

(١) المرجع السابق ٩/١٣٢-١٣٥و١٤١و١٤٦و٢٠١و٢١٦،٢١٧

(٢) المرجع السابق ٩/١٩٢-١٩٧

(٣) المرجع السابق ٩/١١٨

(٤) المرجع السابق ٩/١٨٧-١٨٩

(٥) المرجع السابق ٩/١٧٨

وإذا كان لرجل عدة زوجات من طبقات مختلفة وكان ولد الزوجة الصغرى أكبر من ولد الزوجة الكبرى فيعطى ولد الكبرى ثورا واحدا هو أجود في نوعه حقا خاصا. وإذا كان ولد الكبرى أكبر الأولاد فيعطى ثورا واحدا أجود مع خمس عشرة بقرة حقا خاصا. ويقسم بقية المال على الأولاد حسب ترتيب أمهاتهم في الزواج.(١)

وإذا كانت لدويجا(٢) زوجات من طبقات مختلفة تكون الأفضلية في التركة لأعلاهن طبقة؛ فيرث ولد البرهمي من البرهمية ثلاثة أجزاء من التركة علاوة على ما يأخذه من حقه لبرهميته – وهو ثور وعربة وحصان وعبد يعمل له في الزراعة وحلي مثل الخاتم ومسكن، وإذا كان أكبر الأولاد فله نصيبه الخاص لأكبريته أيضا. ويأخذ ولد الكشترية جزأين من التركة، وولد الويشية جزء ونصف جزء، وولد الشودرية جزء واحدا.

وبطريقة أخرى تقسم جميع الأموال إلى عشرة أجزاء، فيأخذ ولد البرهمية أربعة أجزاء، وولد الكشترية ثلاثة أجزاء، وولد الويشية جزأين، وولد الشودرية جزء واحدا.

ولا يستحق ولد الشودرية أكثر من ذلك في أي حال من الأحوال، بل يذكر منو رأيا فيه؛ أنه لا يستحق شيئا من التركة إلا إذا أعطاه والده من ماله تبرعا من فضله.

أما الشودري فليس له أن يتزوج غير الشودرية وتقسم أمواله بين أولاده على السواء.(٣)

---

(١) المرجع السابق ١٢٣/٩،١٢٤

(٢) وهو الفرد من الطبقات الثلاث العليا الذي عملت له المراسم التأهيلية، راجع ص ١٥٤

(٣) المرجع السابق ٨٥/٩،٨٦و١٤٩ـ١٥٧

٣ – الربا

تجوز البرهمية التعاطي بالربا بنسبة معينة، وتعطي حق تعاطيا لطبقة الويشية دون غيرهم؛ فيجوز للمرابي أن يأخذ لماله المرهون به ربا بقدر واحد وربع في المائة؛ أما للمال غير المرهون به فيفرق بين الطبقات في الربا، فيأخذ من البرهمي بنسبة اثنين في المائة، ومن الكشتري ثلاثة في المائة ومن الويشي أربعة في المائة ومن الشودري خمسة في المائة.(١)

وليس للدائن ربا إذا لم يشترطه حتى يستقضى دينه فإذا لم يستطع المدين رد الدين فله حينئذ أن يعين ربا بنسبة اثنين إلى خمسة في المائة حسب مرتبة الطبقات، وكذا ليس له ربا إذا بلغ رأس المال مع رباه ضعفه.(٢)

ولا يجوز للبرهمي ولا للكشتري المراباة بالمال إلا أن يستخدم الربا في سبيل الخير فيجوز لهما قبول الربا بقدر الربع أو النصف في المائة.(٣)

---

(١) المرجع السابق ٨/١٤٠-١٤٢

(٢) المرجع السابق ٨/١٥٢

(٣) المرجع السابق ١٠/١١٧

٤ - امتيازات البراهمة في مجال الاقتصاد

تعطي الشريعة البرهمية لطبقة البراهمة امتيازات عديدة على سائر الطبقات المجتمع في مجال الاقتصاد تدر عليهم أموالا طائلة من كل وجه وهم ماكثون في بيوتهم أو معابدهم دون الخروج للكسب.

من هذه الامتيازات أنه يعين لهم الحاكم كفافهم من خزانة الحكومة إذا كانوا محرومين من الرزق أن يتصدق عليهم من النقود والذهب والبقر وغيرها؛ وذلك كواجب عليه إذ البرهمي لا يشتكي إلى الحاكم مما يعانيه من مشقة في الحياة بل الحاكم يبادر إلى مساعدته قبل أن يهلكه البرهمي بقدرته السحرية (١)

وكذا يعين رواتب من بيت المال للمتعلمين البرهميين الذين تفرغوا لتلقي العلم لكونه عملا صالحا يجازى به خيرا كثيرا ولأن تصدقه عليهم ذخر لا ينفد ولا يسرقه ولا يغتصبه عدو؛ ويجازى كذلك بتصدقه على الكشتري وغيره أيضا لكن جزاء التصدق على البرهمي يضاعف إلى أضعاف كثيرة؛ فإذا تصدق على البرهمي المتعلم للويدا يضاعف مائة ألف ضعف، ولا حد لمضاعفة جزاء التصدق على البرهمي العالم للويدات كلها.(٢)

وكذا يوزع الحاكم أموال الغرامات والكفارات التي تؤخذ من مرتكبي الذنوب بين البراهمة، ولا يجوز له استعمالها ولا توزيعها بين الطبقات الأخرى بل يرميها في المياه إذا لم يوزعها بين البراهمة.(٣)

---

(١) انظر: منو سمرتي ٢٣،٢٢/١١

(٢) المرجع السابق ٨٣/٧-٨٥

(٣) المرجع السابق ٢٤٤،٢٤٣/٩

ويخفف الحاكم للبرهمي في الغرامة وسدادها، فيمهله حتى يدفعها شيئا فشيئا حسبما يجد دون معاناة، ولا يجب عليه شيء غيره، أما غيره من الكشتري والويشي والشودري فيشغلهم الحاكم في أعمال تناسب كلا منهم وطبقته حتى يتخلصوا من الغرامة ، إذا لم يستطيعوا سدادها .(١)

ولا يجوز للحاكم أن يجبي من البراهمة جباية ولا إتاوة حتى في أشد حالات الاضطرار والفاقة، ولا ينبغي له أن يموت في بلاده برهمي عالم جوعا أو يشكو من عدم القوت.(٢) ولا يأخذ مال البرهمي بعد موته إذا لم يوجد وارث حسب أحكام الميراث في سائر الطبقات، بل يرجع ذلك إلى البراهمة أنفسهم.(٣)

وإذا وجد الحاكم ركازا في الأرض يتصدق بنصفه على البراهمة ويضع الباقي في خزانة المال، وإذا وجد برهمي ركازا يأخذه كله ولا يعطي للحاكم شيئا منه، وإذا وجد غير البرهمي ركازا في الأرض يدفع نصفه للحاكم.(٤)

وتأتي إلى البراهمة صدقات ونذور وهدايا من عامة الناس لكونهم رجال الدين والقائمين على الأعمال التعبدية، كما يؤدون اليهم أموال الكفارات من ذهب ونقود وأنعام وغير ذلك كما تقدم.

وللبرهمي حق أخذ مال الشودري، وتشغيله في أعماله دون مقابل؛ وإذا سرق الشودري من مال البرهمي يقتله الحاكم بتقطيع أعضائه.(٥)

---

(١) المرجع السلبق ٢٢٩/٩

(٢) المرجع السابق ١٣٣/٧

(٣) المرجع السابق ١٨٧/٩-١٨٩

(٤) المرجع السابق ٣٧/٨-٣٩

(٥) المرجع السابق ١٧٧/٨

المطلب الثاني

شؤون العمل والمعاش

تبين القوانين البرهمية أن على كل طبقة أن تمارس ما عين لها من الوظائف والأعمال المعاشية؛ لأن ذلك أفضل لها من عمل غيرها، وأن ممارسة أعمال طبقة أخرى تنقص قدر العامل وتحط منزلته الاجتماعية وتبعده عن طبقته الأصلية، وتعد مخالفة دينية يعاقب عليها، ومخالفة للطبيعة التي جبل عليها، وإذا زاول أحد حرفة طبقة أعلى منه رغبة في الكسب يغتصب الحاكم أمواله وينفيه من البلاد فورا.(١)

وترخص للفرد أن يمارس عمل طبقة أسفل منه عند الضرورة وعدم تقويم المعاش بعمله الأصلي؛ فللبرهمي أن يمارس عمل الكشتري؛ وإذا لم يقم بها معاشه فله أن يعمل عمل الويشي؛ وللكشتري أن يعمل عمل الويشي وللويشي أن يعمل عمل الشودري . ولا يجوز لأحد أن يمارس حرفة طبقة أعلى منه في أي حال من الأحوال.

وهذا تفصيل لما بينته الشريعة البرهمية لأعمال كل طبقة من طبقات المجتمع

أولا: وظائف البرهمي

عين الاله براهما لطبقة البراهمة ستة أنواع من الوظائف، هي التعلم والتعليم وعمل المراسم الدينية والإشراف عليها للآخرين ، والتصدق بالأموال وقبول الصدقات من الآخرين، وجعل منها التعليم والإشراف على المراسم وقبول الصدقات طرقا لهم للمعاش، والأفضل فيها التعليم؛ وينال البراهمة بهذه الوسائل الثلاث ما يكفيهم طوال حياتهم دون ممارسة حرف أخرى، ولا يجوز لهم ذلك في الحالات العادية.

---

(١) انظر:منو سمرتي ٩٧،٩٦/١٠

أما في حالات الضرورة وعندما لا تقوم معيشة البرهمي بهذه الوسائل فيجوز له القيام بأعمال طبقة الكشترية وهي رعاية البلاد وحمايتها، وإن لم تقم عليها معيشته أيضا فتجوز له أعمال الويشي وهي التجارة والزراعة ورعي البقر. وينبغي أن يجتنب قدر استطاعته الزراعة التي يحتمل فيها استخدام الثيران والمعاول والمحاريث وقتل بعض الحيوانات.

وإذا اشتغل البرهمي في التجارة يجب عليه أن يبتعد عن بيع بعض المواد مثل الطعام المعد والأدم والملح والسمسم والبقر واللبن والعبد وغير ذلك.

وإذا لم يرد ممارسة حرف طبقات أخرى، بل ارتضى بأعمال طبقته نفسها في حالة الضرورة فله أن يقبل الصدقات من أي واحد سواء أكان من طبقة دنيئة أم رفيعة، وسواء أكان المال طيبا أم رديئا، ويجوز له أن يعلم من ليس بأهل له وأن يعمل المراسم الدينية لأي واحد شاء، ولا يقع عليه في ذلك ذنب.

وله وسائل أخرى للمعاش مثل التسول، وهذا لأفقرهم؛ وله أن يقبل الطعام لأجل الحفاظ على حياته من أي واحد حتى من حاكم ظالم أو رجل متدنس أو فاسق دنيء، ولا يقع عليه ذنب ولا يتدنس لأن البرهمي مقدس لا يدنسه شيء.

والأفضل للبرهمي الملتزم أن يعمل في حالة الضرورة القصوى في التقاط الحبوب والسنابل الساقطة على الأرض المحصودة بعد حصادها.

أما الممارسة بحرف الشودري والمنبوذ - وهي خدمة الناس وما دونها - فلا تجوز للبرهمي في أي حال من الأحوال؛ لأن خدمة الناس من عمل الكلب وهي أحط الأعمال.(١)

---

(١) المرجع السابق : ١٠/٧٤-٧٦ و٨١-٩٤ و١٠١-١٠٤ و١١٢،١١٣.

ثانيا: أعمال الكشتري

الأعمال المعيشية التي عينتها الشريعة البرهمية لطبقة الكشترية هي رعاية البلاد وحمايتها من العدو بالسلاح والحرب، وأفضل أعمال الكشتري حماية البلاد، ولا ينبغي له أن يمارس أعمال طبقة البراهمة التي يعيشون بها وهي التعليم والإشراف على الباجات وقبول الصدقات حتى في الحالات الضرورية، بل يجوز له عند ذلك أن يعمل أعمال طبقة الويشية، وعليه أن يبتعد قدر استطاعته عن الزراعة لاعتمادها على المحاريث والمعاول والثيران واحتمالها قتل بعض الحيوانات فيها، ويفضل له أن يعيش بالتجارة مع الاعتناء بعدم بيع بعض المواد. (١)

ولا يجوز له كالبرهمي أن يمارس عمل الشودري أو المنبوذ حتى في حالات الضرورة القصوى ولا أن يفكر فيه أبدا. وله أن يرابي بالمال في هذه الحالة بربع الربا أو نصفه، ولا يجوز له ذلك في سائر الأحوال.(٢)

---

(١) المرجع السابق ١٠/٧٧-٨٠،٨٣-٨٥

(٢) المرجع السابق ٧/١٤٤،١٠/٩٥-١١٧

ثالثا: حرف الويشي

تبين قوانين منو أن الويشي بعد أن حصل على النشأة الثانية وتعلم الويدا يشتغل لمعاشه في الزراعة أو التجارة أو رعي البقر مع أن رعي البقر أفضل له لأن الإله براهما خلق البقر وكلف طبقة الويشية رعايتها كما خلق البشر وكلف طبقة البراهمة وطبقة الكشترية رعايتهم؛ فلا ينبغي للويشي أن يبتعد عن هذا الواجب ولا يقوم به غيره إذا قام به هو.

وينبغي عليه أن يعرف تغيرات الأسعار التي تعتري الملابس والمعادن والأحجار الثمينة مثل اللآليء والجواهر، والبخور والملح وغير ذلك من البضائع في وقتها، وكذا يجب عليه أن يعرف صفات الأراضي وطرق الزراعة ومقاييس الكيل والوزن، وربح التجارة أو خسارتها، ومحاسن المواد وأسعارها ونحو ذلك كما يجب عليه أن يعرف رواتب الرعاة ولغات الشعوب المختلفة وغير ذلك؛ وعليه أن يبذل جهده في تنمية الأموال بالبيع والشراء وأن يطعم جميع الحيوانات.(١)

وإذا لم يستطع الويشي تقويم معاشه وعياله بأعماله الأصلية جاز له أن يحترف حرفة الشودري وهي خدمة الطبقات الثلاث العليا، لكن يحاول أن يبتعد قدر المستطاع عن أكل فضلات الطعام وغيره من الأمور التي تباح للشودري، وعليه أن يعود إلى حرفته الأصلية إذا اكتسب نوعا من السعة في الرزق. ولا يجوز له أن يعمل عمل البرهمي أو الكشتري في أي حال من الأحوال.(٢)

---

(١) المرجع السابق ٩/٣٢٥-٣٣٢

(٢) المرجع السابق ١٠/٩٨

رابعا: حرفة الشودري

الوظيفة الوحيدة التي عينتها الشريعة البرهمية لطبقة الشودرا هي خدمة البراهمة، وهي أفضل له من جميع الأعمال الأخرى؛ فعلى الشودري أن يقوم بها بكل رضاء ورغبة وطيب نفس دون أي كراهة أو كبرياء أو حسد؛ وهذا هو طريق السعادة له في الدنيا والآخرة، ويولد بعد موته في طبقة أعلى منه بكرامة ومنزلة عالية.

وإذا لم يجد برهميا لخدمته يجوز له أن يخدم الكشتري، وإن لم يجده أيضا فيخدم الويشي؛ لكن عليه أن يعظم البراهمة ويمجدهم في كل حال، ليفوز بالسعادة الدنيوية برغد العيش، والسعادة الأخروية بالجنة والعودة إلى الدنيا بنشأة أحسن من السابقة. وأعظم سعادته في أن يشتهر ببرهمي.

ويعطيه البرهمي مقابل خدمته ما يكفيه وأولاده وعياله معتبرا دهاءه ونشاطه ورغبته في العمل واتقانه له، مع أن للبرهمي حقا في استخدامه بأجر أو بدون أجر طوعا منه أو قسرا لأنه مخلوق أصلا لخدمة طبقة البراهمة خاصة، والطبقات الثلاث العليا عامة.(١)

ويعطيه البراهمة فضلة الطعام والملابس والأواني والأثاث والنعال القديمة والحبوب الرديئة، وليس عليه ذنب إذا أكل أطعمة غير مشروعة .(٢)

وإذا لم يستطع الشودري سداد حاجات المعيشة فله أن يشتغل بحرف تخدم الطبقات الثلاث كالنجارة والبناية وغيرهما أو بعمل الحلويات وبيعها.

---

(١) انظر:آبستمبا سوترا ١/١/١/٧،٨ ومنو سمرتي ٩/٣٣٣،٣٣٤ و١٠/١٢٢،١٢٣

(٢) انظر: جوتما دهرما سوترا ١٠/٥٠، ومنو سمرتي ١٠/١٢٥،١٢٦

(٣) انظر:منو سمرتي ١٠/٩٩

ولا يجوز له أن يكتسب مالا فوق حاجته ولا أن يدخره ولو كان ماهرا في كسب المال، لكونه لا يعرف الأمور الشرعية فيحتمل أن يخالف الشرع، ولكونه يؤذي به طبقة البراهمة.

أما ممارسته لأعمال الطبقات العليا فهي محرمة عليه بتاتا، فلا يطمع في ذلك أبدا.(١)

خامسا: أعمال الطبقات الفرعية

خصصت القوانين البرهمية الأعمال الدنيئة في نظرها للطبقات المتولدة من الطبقات الوضيعة وعينت لكل طبقة منها نوعا من الأعمال.

وقد نصت قوانين منو على كثير من هذه الأعمال المخصصة لهذه الطبقات ، منها:

١- يعمل باندوسوباكا(٢) في صنع الزنابل والسلال من القصب
٢- ويعمل آهندكا بحراسة أماكن تنفيذ عقوبات المجرمين من قتل وضرب وربط وغيره
٣- ويعمل شوباكا بتنفيذ قتل المحكوم عليهم بالقتل، ولهذا يكون دائما مجرما ومهانا
٤- ويعمل سيرنترا في خدمة الناس بدهن الأجسام ونحو ذلك
٥- ويعمل جندالا وشوباكا بتربية الحمير والكلاب

---

(١) المرجع السابق ١٠/٩٩، ١٠٠، ١٢٩

(٢) راجع: مطلب الطبقات الفرعية ص١٠٣ - ١٠٧

٦- ويعمل أمبشتها في تمريض الجرحى في الحروب

٧- ويعمل نشادا في صيد السمك

٨- ويعمل سوتا في قيادة المراكب

٩- ويعمل كل من كشتاو وأجرا وبلكسا في قتل الفئران والضباب ونحوها من أجحارها

١٠- ويعمل ويديها في حراسة المنازل

١١- ويعمل ماجدها في تجارة البر والبحر

١٢- ويعمل أيوجوا في النجارة

١٣- ويتجول ميتريبيا في الطرق بدق الجرس عند شروق الشمس متسولا الطعام

١٤- ويعمل دجونا وكاراورا الأعمال الجلدية

١٥- ويعمل ميدا وآنترا وجونجو ومدجو في قنص الوحوش للبيع

١٦- ويعمل وينا في دق الطبول والدفوف.(١)

---

(١) انظر: منو سمرتي ١٠/٣٣-٣٩ و٤٧-٥٩

المطلب الثالث

نقد النظام الطبقي في مجال الاقتصاد

النظام الاقتصادي في البرهمية أيضا – كسائر الأنظمة – منبثق عن تقرير التفرقة بين الناس إلى طبقات؛ وتعيين الوظائف الأصلية لكل منها؛ والتفرقة بينها في القيمة الذاتية والكرامة الاجتماعية. فلأن طبقة البراهمة أعلى الطبقات كرامة ومكانة تعطى امتيازات كثيرة في المجال الاقتصادي، ولأن طبقة الشودرا أسفل الطبقات الأربع ومخلوقة لخدمة الطبقات العليا تحرم من كثير من حقوقها المالية الأصلية.

وتقرر البرهمية أن الأموال ملك للبراهمة، وإنما يستخدمها غيرهم بفضل منهم ورحمة؛ مع أنها تخصص موارد مال معينة لطبقة معينة دون غيرها؛ فلا يجوز لطبقة أن تكتسب الأموال من الموارد المخصصة لغيرها. ويرجع هذا التخصيص إلى مكانة الطبقة وإلى وظائفها الأصلية؛ مثل تخصيص موارد الصدقات والهدايا والنذور والقربات وغيرها لطبقة البراهمة، وموارد الفيء والغنيمة لطبقة الكشترية، وموارد الزراعة والتجارة والربا لطبقة الويشية.

وموارد الصدقات التي خصصت لطبقة البراهمة موارد خصبة تدر لهم أموالا كثيرة دون جهد منهم يذكر، بل لا يستغلون كثيرا من طاقاتهم الجسمية والعقلية نتيجة لذلك.

ولا تقف البرهمية في طبقيتها عند الطبقات البشرية التي تعتبرها بل تتعداها إلى التفريق بين أبناء الرجل أيضا في تقسيم أموال الميراث وإلى اعتبار الكبر والصغر والذكورة والأنوثة وبعض الصفات الخلقية والخلقية ؛ فتتفاوت أنصبة الأبناء حسب ترتيبهم في الولادة، وتحرم البنت من النصيب إذا كانت متزوجة، ولا تأخذ إلا تبرعا من اخوتها إن كانت غير متزوجة، ويحرم الأعمى والأصم والمجنون والخنثى والسفيه ومقطوع اليد والذميم ونحوهم من الميراث.

ومن أهم مظاهر التمييز الطبقي في نظام البرهمية الاقتصادي تصنيف الأعمال والحرف المعيشية وتخصيص كل صنف منها لكل طبقة حسب مرتبتها الاجتماعية؛ فخصصت للطبقات العليا الوظائف الراقية والمكاسب الوفيرة في نظرها، وللطبقات السافلة الحرف والصناعات الدنيئة، كما سبق بيانه. وعلى كل طبقة أن تمارس العمل المخصوص لها لكسب المعاش، لا تملك العدول عنه إلا عند الضرورة؛ فحينئذ يسمح للفرد أن يمارس عمل طبقة أسفل من طبقته دون العكس.

وبهذه التفرقة في الحرف المعيشية تعمق غور الفارق الاقتصادي والاجتماعي بين كل طبقة، وبقيت الطبقات السفلى في سوء حالاتها الاقتصادية دون أن تطاول الطبقات العليا على ثرواتها وامتيازاتها أبدا.

ومع هذا فإن البرهمية – بموجب القانون – تسخر طبقة الشودرا والمنبوذين لخدمة الطبقات العليا، خاصة طبقة البراهمة، وتجعلهم عبيدا لهم وتمنعهم من كثير من حقوقهم الانسانية، بل تعتبرهم أرذل الناس يطعمون بفضلات الأطعمة ويعطون الأشياء الفاسدة.

ولا يستطيع هؤلاء أن يتخلصوا من هذه الصفة حتى ولو أنفقوا كل ما يملكونه من جهد ومال لأن الخالق هو الذي عين لهم هذه الصفة بولادتهم في هذه الطبقة حسب اعتقادهم.

ويمكننا أن نستخلص نظام البرهمية الاقتصادي فيما بيناه في العناصر التالية:-

ا – تقرير البرهمية أن ملكية الأموال للبراهمة، وإنما يستخدمها غيرهم بفضل منهم

ب – تخصيص موارد مال معينة لطبقة معينة حيث لا ينبغي لأي طبقة اقتناء الأموال من الموارد المخصصة لغيرها

ج – التمييز بين الأبناء في الارث حيث ان الأبناء يرثون من مال أبيهم انصبة متفاوتة تبعا لترتيبهم في البنوة – لا على السواء ؛ ويحرم بعضهم نتيجة صفات خلقية وخلقية ، كما يفرق بين المتزوجة وغيرها من البنات ، فتمنع المتزوجة من الإرث،

د - تصنيف الأعمال والحرف اليدوية وتخصيص الشريفة منها - في نظرها - للطبقات الشريفة، والدنيئة منها للطبقات الوضيعة حسب مرتبة كل منها في الشرف والدناءة.

هـ - تحريمها على الناس حرية اختيار العمل الذي يرغبون فيه حسب قدراتهم ومواهبهم الجسمية والعقلية وإجبارهم على ممارسة الحرفة التي عينت لهم طبقيا.

و - تسخير الطبقات الوضيعة لخدمة الطبقات العليا، خاصة لطبقة البراهمة، واعتبارهم عبيدا لهم بصفة دائمة؛ مقابل تقديم فضلات الطعام والأشياء الفاسدة.

وسنتناول بالبحث موقف الإسلام من هذه الأمور.

١ - ملكية الأموال ومواردها

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تقرر أن جميع ما في السماوات رما في الأرض لله سبحانه وتعالى وفي ملكه؛ وأن الله تعالى سخرها للبشر واستخلفهم فيها.

يقول الله تعالى:

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية (١)

ويقول تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية (٢)

ويقول تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ الآية (٣)

ويقول تعالى :

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَـٰكُمْ﴾(٤)

ويقول تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ الآية (٥)

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٨٤ تكررت هذه الآية في القرآن الكريم في عدة مواضع أخرى

(٢) سورة آل عمران، آية ١٨٩. تكررت هذه الآية أيضا في عدة مواضع.

(٣) سورة لقمان، آية ٢٠

(٤) سورة النور، آية ٣٣

(٥) سورة الحديد، آية ٧

قال القرطبي:

(مما جعلكم مستخلفين فيه) "دليل على أن أصل الملك لله سبحانه وأن العبد ليس له فيه إلا التصرف الذي يرضي الله فيثيبه على ذلك بالجنة، فمن أنفق منها في حقوق الله وهان عليه الانفاق منها، كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه كان له الثواب الجزيل والأجر العظيم"(١)

روى الامام مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني اسرائيل في النساء"(٢)

واستخلاف البشر في أمتعة الأرض ومواردها وتسخيرها لهم عام في بني البشر كلهم لا يختص بفريق منهم دون آخر؛ والفرصة لاقتنائها باستخدام الوسائل المتاحة والتمتع بها سواء أمام كل فرد منهم يصيب منها بقدر استطاعته وقدرته.

وكذلك أمر الله تعالى بالسعي وحثه على الكسب وطلب الرزق أيضا عام لا يختص بقوم دون قوم، لأي اعتبار كان، ومن ثم لا ينبغي لأحد أن يمنع أحدا عن طلب ما جعل الله في هذه الأرض من الرزق ووسائل اكتسابه.

قال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾(٣)

---

(١) تفسير القرطبي ٢٣٨/١٧

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء ٢٠٩٨/٤.وانظر سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ٤٨٣/٤، وسنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة النساء ١٣٢٥/٢، ومسند الامام أحمد ٦١،١٩،٧/٣.

(٢) سورة البقرة، آية ١٦٨

وقال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(١)

وقال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾(٢)

مشرروعية وسائل الكسب

ويشترط أن تكون الأعمال ووسائل الكسب مشروعة وألا يكون فيها إضرار فلا يجوز للإنسان أن يطلب رزقه بشيء مما حرمه الله تعالى أو بما فيه ضرر لنفسه أو للآخرين؛ كتعاطي الربا والبغاء والغش والاحتكار وما إلى ذلك.

قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ الآية(٣)

روى الترمذي عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه"(٤)

وورد التحريم عن تعاطي الربا والمشاركة فيه وأكل ماله في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، منها قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰاْ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾(٥)

---

(١) سورة الملك، آية ١٥

(٢) سورة الأعراف، آية ٣٢

(٣) سورة النساء، آية ٢٩

(٤) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب في القيامة؛ قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ٦١٢/٤

(٥) سورة البقرة، الآيتان ٢٧٨ و٢٧٩

وكذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن أكل الربا وإيكاله وكتابته والشهود عليه وما إلى ذلك ، منها ما روى البخاري بسنده عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: "لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ونهى عن ثمن الكلب وكسب البغي ولعن المصورين".

وفي رواية لمسلم عن جابر رضي الله عنه قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: هم سواء"(١)

وكذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البطالة والتسول واتخاذ السؤال طريقا للكسب والاعتماد على الغير في وسائل العيش بل حث المرء على العمل ورغب في التعفف وعدم التطلع إلى ما بيد الناس؛ وعلى التصدق بما فضل في يده في سبيل الخير.

روى الامام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه" (٢)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب مهر البغي والنكاح الفاسد١٨٨/٦، وانظر: كتاب البيوع، باب آكل الربا وشاهده وكاتبه وباب موكل الربا١١/٣، وكتاب اللباس باب الواشمة٦٣/٧، وباب من لعن المصور٦٧/٧، وصحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا وموكله ١٢١٦/٣و١٢١٩، وانظر:سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب في آكل الربا ومؤكله ٢٤٤/٣، وسنن الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في أكل الربا٥١٢/٣، وسنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا٧٦٤/٢ وسنن النسائي، كتاب الطلاق، باب احلال المطلقة ثلاثا وما فيه من التغليظ ١٢١/٦وكتاب الزينة، باب الموتشمات ١٢٦/٨و١٢٧ ومسند الامام أحمد٨٣/١،٨٧،١٠٧،١٣٣،١٥٠،١٥٧، ٣٩٣، ٣٩٤،٤٠٢، ٤٠٩،٤٣٠،٤٤٨،٤٥٣،٤٦٥،٣٠٤/٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده٩/٣، وكتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة ١٢٩/٢، وباب لا يسألون الناس الحافا١٣٠/٢، وكتاب المساقاة، باب بيع الحطب والكلا ٧٩/٣، وصحيح مسلم كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة للناس ٧٢١/٢، وسنن الترمذي، كتاب الزكاة، باب ما جاء في النهي عن المسألة ٦٤/٣.

وروى مسلم بسنده عن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها، فقال أقم حتى تأتينا الصدقة، فنأمر لك بها قال: ثم قال: "يا قبيصة إن المسألة لاتحل إلا لأحد ثلاثة، رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة، حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا" (١)

وروى البخاري ومسلم بسنديهما عن حكيم بن حزام قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال لي: "يا حكيم ؛ إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه؛ ومن أخذه بإشراف نفس(٢) لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى" - الحديث (٣)

وفي حديث رواه مسلم بسنده عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: "اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة"(٤)

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة٢/٧٢٢، وانظر: سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة ٢/١٢٠، وسنن النسائي، كتاب الزكاة، باب فضل من لا يسأل الناس شيئا ٥/٧٢

(٢) اشراف النفس هو تطلعها إلى المال وتعرضها له وطمعها فيه (شرح مسلم للامام النووي ٧/١٢٦)

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب تأويل قول الله تعالى من بعد وصية توصون بها أو دين ٣/١٨٩، وانظر عنده: كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا المال خضرة حلوة ٧/١٨٥، وكتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ٢/١١٧، وكتاب النفقات، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال ٦/٨٩، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة ٢/٧١٧، ولفظ الحديث للبخاري، وسنن النسائي، كتاب الزكاة، باب مسألة الرجل في أمر لا بد له منه ٥/٧٥ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من السفلى ٢/٧١٧

قال الامام النووى: "وفى هذا الحديث الحث على التعفف والقناعة والرضا بما تيسر في عفاف وإن كان قليلا والاجمال في الكسب وأنه لا يغتر الانسان بكثرة ما يحصل له باشراف ونحوه فانه لا يبارك فهو قريب من قول الله تعالى ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا وَيُرْبِي الصَّدَقَـٰتِ﴾(١)(٢)

وبهذا نرى أن الله تبارك وتعالى لم يجعل للبشر أو لفئة معينة منهم الملكية المطلقة في الأموال يتصرفون بها حسب أهوائهم؛ بل جعلهم خلفاء فيها يكتسبونها وينفقونها حسب قوانين شريعته؛ ولم يفرق في ذلك بين بني البشر ولم يخصص لبعضهم ملكيتها أو مواردها أو طرق اكتسابها دون بعض لاعتبارات اجتماعية عارضة كما هو الحال في النظام الطبقي للديانة البرهمية.

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٧٦

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم ١٢٦/٧.

٢ - الميراث

يثبت الإرث في الإسلام بالنسب والنكاح والولاء ، فمن كان له علاقة بالميت بسبب من هذه الأسباب يأخذ حقه من تركته حسب تقسيم الشريعة لأموال الميراث.

ومستند هذا:

١ - قول الله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾(١)

وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾(٢)

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾(٣)

٣ - وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "إنما الولاء لمن أعتق"(٤)(٥)

---

(١) سورة الأنفال، آية ٧٥

(٢) سورة النساء، آية ١١

(٣) سورة النساء، آية ١٢

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد ١/١١٧، وكتاب الشروط، باب الشروط في البيع ٣/١٧٤، وباب ما يجوز من شروط المكاتب إذا رضي بالبيع على أن يعتق ٣/١٧٦، وباب الشروط في الولاء ٣/١٧٧، وباب المكاتب وما لا يحل من الشروط التي تخالف كتاب الله ٣/١٨٤، وكتاب الأطعمة، باب الأدم ٦/٢٠٨، وكتاب الفرائض، باب الولاء لمن أعتق وميراث اللقيط، ٨/٩ وباب ميراث السائبة، ٨/٩ وباب إذا أسلم على يديه رجل، ٨/١٠ وباب ما لا يرث النساء من الولاء، ٨/١١ وكتاب الطلاق، باب لا يكون بيع الأمة طلاقا ٦/١٧١، وكتاب النكاح، باب الحرة تحت العبد ٦/١٣٤، وكتاب الزكاة، باب الصدقة على موالي أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ٢/١٣٥، وكتاب المكاتب، باب إذا قال المكاتب اشترني وأعتقني فاشتراه لذلك ٣/١٢٨، وكتاب البيوع، باب البيع والشراء مع النساء ٣/٢٧، وباب إذا اشترط شروطا في البيع لا تحل ٣/٢٩، وصحيح مسلم، كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق ٢/١١٤١-١١٤٥، وسنن أبي داود، كتاب الفرائض، باب في الولاء ٣/١٢٦، وكتاب العتق، باب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة ٤/٢١، سنن الترمذي، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الرجل يتصدق أو يعتق عند الموت ٤/٤٣٦، سنن النسائي، كتاب الطلاق، باب خيار الأمة ٦/١٣٢-١٣٤، وسنن ابن ماجة، كتاب الطلاق، باب خيار الأمة إذا أعتقت ١/٦٧١، وكتاب العتق، باب المكاتب ٢/٨٤٢، ومسند الامام أحمد ١/٢٨١،٣٢١، ٢/٢٨،١٠٠،١١٣،١٤٤،١٥٣،١٥٦، ٦/٣٣،٤٢،٤٦،٨٢،١٠٣، ١٢١،١٣٥، ١٦١، ١٧٢،١٧٥،١٨٠ ١٧٨، ١٨٦، ١٩٠،٢١٣،٢٧٢

(٥) انظر: تفسير القرطبي ٥/٦٠، والشرح الكبير ٧/٣، وشرح متن الرحبية، لمحمد بن محمد سبط المارديني ص١٣

ويثبت الإرث لكل وارث إذا كان حيا حال موت الموروث ولو حملا ، فيثبت له إذا ولد صارخا ، لما روى ابن ماجة بسنده عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا استهل الصبي صلي عليه وورث" (١) .

ولم يفرق الاسلام بين الوارثين باعتبار صفاتهم الخلقية والخلقية ، ولا باعتبار ترتيبهم في السن، إلا الذكورة والأنوثة، حيث يأخذ الذكر مثلي حظ الأنثى لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ فلا فرق بين الأبناء، بل يأخذ كل واحد من الأبناء نصيبا مساويا لأخيه وكل واحدة من البنات نصيبا مساويا لأختها.

فإذا قيل: "إن الإسلام يفرق بين الذكر والأنثى ويجحف بحق الأنثى حيث ينصب لها نصف نصيب الذكر، وهذا ظلم في حقها"

فجوابه: إن كون البنت ترث مع أخيها نصف ما يرث هو لا إجحاف فيه البتة، إذ هو قائم على أن المرأة لا تتحمل أي عبء اقتصادي سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، متزوجة أم غير متزوجة، بل الأعباء الاقتصادية كلها على الرجل في جميع الأحوال. وتتلخص في الأمور التالية:

١ – مصاريف البنت لا تعادل مصاريف أخيها بحال من الأحوال.
٢ – الرجل يتزوج فيعول امرأة وأولادا، والبنت تتزوج فيعولها الرجل ولا تعوله.
٣ – نفقة البنت في حال الصغر على أبيها وفي الكبر على زوجها.
٤ – نفقة أولاد المرأة على أبيهم – لا عليها، بخلاف الرجل فإن نفقة أولاده عليه.
٥ – الرجل يتحمل نفقات الضيافة، والجهاد، والعقل، والمرأة لا تتحمل شيئا من ذلك.

---

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الفرائض ، باب اذا استهل الصبي صلى عليه وورث ٩١٩/٢ ، وسنن ابي داود ، كتاب الفرائض ، باب في المولود يستهل ثم يموت ١٧٦/٣ وانظر : سنن الترمذي ، كتاب الجنائز ، باب ماجاء في ترك الصلاة على الجنين حتى يستهل ، وقال : هذا حديث قد اضطرب الناس فيه ، فرواه بعضهم عن ابي الزهير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا ، وروي اشعث بن سوار وغير واحد عن ابي الزبير عن جابر موقوفا ، وروى محمد بن اسحاق عن عطاء بن ابي رباح عن جابر موقوفا ، وكأن هذا اصح من الحديث المرفوع" ٣٥٠/٣ .

ولهذا كان من العدل والإنصاف أن تراعى هذه الأمور في تقسيم الميراث ويفضل الولد على أخته فيه.(١)

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن هبة الرجل من ماله أحدا من أولاده دون غيره؛ وأمره أن يعدل بينهم ذكورا وإناثا في الهبة كما يحب أن يعدلوا في بره واحترامه، فإذا أعطى بعض أولاده شيئا لم يجز حتى يعدل بينهم ويعطي الآخرين مثله إلا إذا كان له سبب كأن يحتاج الولد لزمانته أو دينه أو نحو ذلك دون الباقين .(٢)

روى البخاري ومسلم بسنديهما عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني نحلت ابني هذا غلاما، فقال: "أكل ولدك نحلت مثله"؟ قال: لا ، قال: "فارجعه".

وفي رواية: قال: "أعطيت سائر ولدك مثل هذا"؟ قال: لا، قال: "فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم".(٣)

فإذا لم يكن للرجل حق في حياته أن يفضل بعض أولاده في تخصيص ماله، فمن باب أولى ألا يفرق بين أولاده في تركته بعد موته.

---

(١) انظر: رسائل الجزائري، رسالة المرأة في الاسلام، هامش ص٤٣١

(٢) انظر: فتح الباري ٢٥٣/٥

(٣) صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب الهبة للولد، وإذا أعطى بعض ولده شيئا لم يجز حتى يعدل بينهم ويعطي الآخر مثله، وباب الاشهاد في الهبة ١٣٤/٣، وصحيح مسلم ، كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ١٢٤٢/٣،١٢٤٣، وانظر:سنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء في النحل والتسوية بين الولد ٦٣٩/٣، وسنن النسائي، كتاب النحل، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر النعمان بن بشير في النحل ٢١٨/٦-٢٢٠، وسنن ابن ماجه، كتاب الهبات، باب الرجل ينحل ولده ٧٩٥/٢، وسنن ابي داود، كتاب البيوع، باب في الرجل يفضل بعض ولده في النحل ٢٩٢/٣، ومسند الامام أحمد ٢٦٨/٤،٢٦٩،٢٧٠،٢٧١،٢٧٣.

٣ - تصنيف الأعمال والاختيار فيها

ورد في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الحث على العمل وطلب الرزق الذي جعله الله تعالى في أرجاء الأرض مع التوكل عليه؛ كما جاء فيها التحذير من البطالة والتواكل وعدم الاعتماد على النفس في المعاش.

منها قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(١)

قال الحافظ ابن كثير:

"أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات ..."(٢)

وقال تعالى:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ﴾(٣)

وقال تعالى:

﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللهِ﴾(٤)

قال ابن كثير: " أي يسافرون في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر" .(٥)

---

(١) سورة الملك، آية ١٥
(٢) تفسير ابن كثير ٣٩٨/٤
(٣) سورة الجمعة، آية ١٠
(٤) سورة المزمل، آية ٢٠
(٥) تفسير ابن كثير ٤٤٠/٤

فللإنسان أن يبتغي من فضل الله الذي بثه الله في آفاق الأرض بجهده وكسبه بطريق مشروع يراه أنسب وأفضل له من تجارة أو زراعة أو صناعة أوغير ذلك من طرق المكاسب .

قال الحافظ ابن حجر: بعد أن ذكر اختلاف العلماء في أفضل المكاسب من الزراعة والتجارة والصنعة وغير ذلك : " قلت: وهو مبني على ما بحث فيه من النفع المتعدي ولم ينحصر النفع المتعدي في الزراعة بل كل ما يعمل باليد فنفعه متعد لما فيه من تهيئة أسباب ما يحتاج الناس اليه، والحق أن ذلك مختلف المراتب، وقد يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والعلم عند الله تعالى، قال ابن المنذر إنما يفضل عمل اليد سائر المكاسب إذا نصح العامل كما جاء مصرحا به في حديث أبي هريرة ، قلت: ومن شرطه أن لا يعتقد أن الرزق من الكسب بل من الله تعالى بهذه الواسطة ، وقد فضل العمل باليد الشغل بالأمر المباح عن البطالة واللهو وكسر النفس بذلك والتعفف عن ذلة السؤال والحاجة إلى الغير . "(١)

فعمل الإنسان بيده يعد من أفضل المكاسب في الشريعة الاسلامية وهو شامل لكل ما يحترف الإنسان بجسده مع اختلاف مراتبها تدخل فيه الأعمال التي تعتبرها البرهمية دنيئة وتخصصها للطبقات السافلة فقط؛ ومن ثم تبعد هذه الطبقات عن مساكن الطبقات العليا.

روى الامام البخاري بسنده عن المقدام رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده".(٢)

---

(١) فتح الباري ٣٥٦/٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده٩/٣
وانظر:سنن ابن ماجه كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب ٧٢٣/٢، وباب ما للرجل من مال ولده ٧٦٩/٢، وسنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده ٦٣٩/٣، وسنن أبي داود، كتاب الاجارة، باب في الرجل يأكل من مال ولده٢٨٨/٣، وسنن النسائي، كتاب البيوع، باب الحث على الكسب٢١٢/٧، ومسند الامام أحمد ٣١/٦،٤٢،١٢٧، ١٦٢،١٩٣، ٢٠١،٢٠٢،٢٢٠

والعمل في اصطلاح الاقتصاد الإسلامي هو كل جهد جسمي أو ذهني يؤدي لزيادة الأعيان والمنافع بما يحل من الاسباب بقصد تحصيل المال بإرادته أو توجيهه أو بإلزامه عند الحاجة إليه.(١) فمفهوم العمل شامل لكل عمل اقتصادي مشروع في مقابل أجرة أو مال يؤخذ سواء أكان هذا العمل جسميا ماديا كالحرف اليدوية أم فكريا كالولاية والإمارة وكتولي وظيفة القضاء وغيرها، ويتفاوت بينها في النوع والمقدرة المؤهلة لها فقط .

وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم قبل نبوته برعي الغنم لأهل مكة بالأجر(٢) كما قام صلى الله عليه وسلم بالتجارة في مال خديجة بنت خويلد خرج به إلى الشام تاجرا مع غلام لها يقال له ميسرة؛ على أن تعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار.(٣)

وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم – الخلفاء الراشدون - وغيرهم من كبار الصحابة يقومون بالتجارة (٤) كما كان عثمان بن طلحة الذي دفع اليه النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة يقوم بالخياطة، وكان الزبير بن العوام وعمرو ابن العاص وعامر بن كريز رضي الله عنهم يعملون الخز وهي نساجة تنسج من صوف وإبريسم.(٥)

---

(١) انظر: توظيف العمل في الاقتصاد الاسلامي، للباحث موسى محمد الطيب، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ، ص١١

(٢) روى الامام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة"(صحيح البخاري، كتاب الاجارة، باب رعي الغنم على قراريط ٤٨/٣، وانظر: عنده كتاب الأنبياء، باب يعكفون على أصنام لهم متبر خسران ١٣٠/٤، وكتاب الأطعمة، باب الكباث وهو تمر الأراك ٢١٣/٦، وصحيح مسلم كتاب الأشربة، باب فضيلة الأسود من الكباث ١٦٢١/٣، وسنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب الصناعات ٧٢٧/٢)

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ١٧١/١و١٧٢

(٤) روى البخاري قول قتادة رضي الله عنه:"كان القوم يتبايعون ويتجرون، ولكنهم إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله"(انظر:كتاب البيوع، باب التجارة في البز وغيره، وباب الخروج في التجارة، تعليقا٦/٣

(٥) انظر: التراتيب الادارية، لعبد الحي الكتاني ٢٤/٢ – ٢٩ و٦٠

والمجتمع دائما يكون بحاجة إلى أن يقوم مختلف أفراده بمختلف الحرف والصنائع وتستغل جميع قدراتهم وخبراتهم حتى تسد جميع حاجات المجتمع؛ ولهذا يكون تعلم جميع الصناعات والحرف التي يحتاج اليها المجتمع فرض كفاية على أفراد المجتمع.

قال ابن القيم رحمه الله:

"ومن ذلك أن يحتاج الناس إلى صناعة طائفة كالفلاحة والنساجة والبناء وغير ذلك فلولي الأمر أن يلزمهم بذلك بأجرة مثلهم، فإنه لا تتم مصلحة الناس إلا بذلك. ولهذا قالت طائفة من أصحاب أحمد والشافعي إن تعلم هذه الصناعات فرض على الكفاية لحاجة الناس إليها، وكذلك تجهيز الموتى ودفنهم، وكذلك أنواع الولايات العامة والخاصة التي لاتقوم مصلحة الأمة إلا بها".(١)

وقال الغزالي:

"فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة، فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك، فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه، فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله".(٢)

وهذا إشارة إلى قول الله تعالى :

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ الآية(٣)

---

(١) الطرق الحكمية ص٣٢٨

(٢) إحياء علوم الدين ١/٢٧- ٢٨

(٣) سورة الزخرف، آية ٣٢

قال ابن جرير رحمه الله: "وقوله (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) يقول: ليستسخر هذا هذا في خدمته إياه وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل، يقول: جعل تعالى ذكره بعضا لبعض سببا في المعاش في الدنيا".(١)

وأما حرية الفرد في اختيار الحرفة أو الصناعة المناسبة له فليس في الشريعة الإسلامية تعيين حرفة من الحرف لأناس أو طبقة معينة من حيث لا يجوز لهم تعاطي غيرها من الأعمال؛ بل كل فرد يملك حرية اختيار العمل المناسب له زراعيا أو تجاريا أو صناعيا حسب رغبته وإن كانت الصناعات والحرف مختلفة في مراتبها باختلاف الأحوال والأشخاص، فللفرد أن يعمل أي عمل مشروع بمفرده أو بمشاركة الآخرين لحسابه الخاص أو بأجرة يتقاضاها من الآخرين كما يملك حرية الانتهاء منه والتعاطي بما هو أفضل منه أو دونه.

وذلك لأن الآيات والأحاديث التي وردت في الحث على السعي وطلب الرزق عامة لا تعين نوعا خاصا من الأعمال والحرف كما لا تخصص مجموعة من الناس بل الأصل فيها إباحة مختلف الأعمال لمختلف الأشخاص؛ ولأنه لم يرد في تاريخ المسلمين ذكر إجبار بعض الناس على تعاطي أنواع خاصة من الأعمال دون غيرها، ولأنه وجدت في عصر الصحابة كثير من الحرف والمهن المختلفة كانوا يعملونها.(٢)

وحين يرى ولي الأمر مصلحة الناس في عمل معين من فرد معين ولم يقم به غيره، أو دعت الضرورة إلى ذلك، فله أن يجبر هذا الفرد على العمل بشرط أن يكون أجره عادلا كأجر أمثاله.

---

(١) تفسير الطبري ٦٧/٢٥.

(٢) انظر: الحرية الاقتصادية وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي في الاسلام، رسالة دكتوراه، لعبدالله مصلح مستور الثمالي، جامعة أم القرى ١٤٠٥هـ، ص٣٥٥

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمقصود هنا أن هذه الأعمال التـي هـي فـرض علـى الكفاية متى لم يقم بها غير الإنسان صارت فرض عين عليه؛ لا سيما إن كان غيره عـاجزا عنها، فإذا كان الناس محتاجين إلى فلاحة قوم أو نساجتهم أو بنائهم صار هذا العمل واجبـا يجبرهم ولي الأمر عليه إذا امتنعوا عنه بعوض المثل، ولا يمكنهم من مطالبة الناس بزيادة عن عوض المثل ولا يمكن الناس من ظلمهم بأن يعطوهم دون حقهم، كما إذا احتاج الجنـد المرصدون للجهاد إلى فلاحة أرضهم ألزم من صناعته الفلاحة بأن يصنعها لهم، فان الجند يلزمون بألا يظلموا الفلاح كما ألزم الفلاح أن يفلح للجند ".(١)

---

(١) الحسبة في الاسلام ص٢٩

٤ – تسخير بعض الناس لبعض

تقدم أن المجتمع بحاجة إلى أن يقوم مختلف أفراده بمختلف الأعمال والصنائع وتستغل جميع طاقاتهم وخبراتهم لتسد جميع حاجاته؛ فيتبادل المنافع والقدرات بتسخير بعض الناس بعضهم للعمل مقابل أجر عادل مما لديهم، دون أن يكون ذلك فرضا على أحد، أو سلبا لحقه.

والبرهمية تجعل الطبقات الوضيعة عبيدا للطبقة العليا وتسخرهم في خدمتهم مقابل فضلات الطعام وغيره وتسلبهم جل حقوقهم الإنسانية؛ ولا تجعل لهم حق التخلص من هذا الواقع ببذل الجهد أو المال لكونها مفروضة عليهم من قبل الخالق لانتسابهم إلى هذه الطبقات.

فان قيل: إن حالة طبقة الشودرا في البرهمية أشبه بحالة الرق في الشريعة الإسلامية يسخرهم سادتهم ويملكون كل مالهم؛ قلنا: لنا على هذه الشبهة جوابان:-

(الجواب الأول): المملوكون ليسوا طبقة خاصة بحكم نسبهم أو لونهم أو نحوهما بصفة ثابتة؛ بل يمكن أن يقع الرق على أي إنسان إذا طرأت عليه أسبابه ويزول عنه بزوالها؛ كما يمكن أن يكون الرجل سيدا لمن كان سيدا له. فصفة الرق عارضة مؤقتة تزول بزوال الأسباب بالعتق أو المكاتبة ونحوهما.(١)

وليس الرق أصلا من أصول النظام الاسلامي، وإنما هو ضرورة عارضة تفرضها ظروف معينة، وقد كان الرق عماد الحياة الاجتماعية والاقتصادية عند ظهور الإسلام؛ فشرعت أحكام لتحرير العبيد تدريجيا بوسائل شتى منها العتق والمكاتبة.

---

(١) انظر: شبهات حول الاسلام للاستاذ محمد قطب، باب الاسلام والرق ص٣٣-٦٠ وباب الاسلام ونظام الطبقات ص١٠٥ .

فالعتق هو تحرير الرقبة وتخليصها من الرق تطوعا من جانب السيد. ومن منافذه:

١ – الترغيب البالغ في تحرير الرقبة قربة وطاعة لله تعالى، قال تعالى:
﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾(١)

وروى الشيخان بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه".(٢)

قال الإمام ابن قدامة:
"والعتق من أفضل القرب إلى الله تعالى، لأن الله تعالى جعله كفارة للقتل والوطء في رمضان والأيمان وجعله النبي صلى الله عليه وسلم فكاكا لمعتقه من النار، ولأن فيه تخليصا للآدمي المعصوم من ضرر الرق وملك نفسه ومنافعه؛ وتكميل أحكامه؛ وتمكنه من التصرف في نفسه ومنافعه على حسب إرادته واختياره".(٣)

٢ – جعل العتق كفارة لبعض الذنوب مثل القتل الخطإ والإفطار المتعمد في رمضان والظهار والحنث في اليمين وضرب العبد أو لطمه.

٣ – تخصيص سهم من سهام الصدقات لتحرير الأرقاء .

قال تعالى:
﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٤)

---

(١) سورة البلد، آية ١١-١٤

(٢) صحيح البخاري، كتاب كفارات الأيمان، باب قول الله تعالى: (أو تحرير رقبة)وأي الرقاب أزكى ٢٣٧/٧، وصحيح مسلم، كتاب العتق، باب فضل العتق ١١٤٧/٢، وانظر: سنن أبي داود، كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل ٢٩/٤، وسنن الترمذي، كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في ثواب من أعتق رقبة ١١٤/٤

(٣) المغني ٣٢٩/٩، وانظر: الشرح الكبير (مطبوع مع المغني) ٢٣٣/١٢.

(٤) سورة التوبة، آية ٦٠

ويذكر في التاريخ أن عددا ضخما من الأرقاء قد حرر بطريق العتق .

وأما المكاتبة فهي إعتاق السيد عبده على مال في ذمته يؤدى مؤجلا. وبهذه الوسيلة يمنح الرقيق حريته متى طلبها لنفسه.

قال ابن قدامة:

"إذا سأل العبد سيده مكاتبته استحب له إجابته إذا علم فيه خيرا؛ ولم يجب ذلك في ظاهر المذهب، وهو قول عامة أهل العلم منهم الحسن والشعبي ومالك والثوري والشافعي وأصحاب الرأي. وعن أحمد أنها واجبة إذا دعا العبد المكتسب الصدوق سيده اليها فعليه إجابته، وهو قول عطاء والضحاك وعمرو بن دينار وداود. وقال اسحاق أخشى أن يأثم إن لم يفعل، ولا يجبر عليه، ووجه ذلك قول الله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾(١) وظاهر الأمر الوجوب".(٢)

(الجواب الثاني): علاقة المملوك بسيده علاقة المودة والقربى والأخوة الاسلامية وليست علاقة العبد والرب؛ فيحسن السيد إلى مملوكه في المعاملة؛ وينفق عليه من المطعم والملبس من جنس ما يأكله ويلبسه؛ ويمكن له من الحياة الأسرية ما يرغب فيه؛ ولا يكلفه من العمل مالا يطيقه.

وقد وردت في ذلك آيات وأحاديث كثيرة، منها قوله تعالى:
﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾(٣)

---

(١) سورة النور، آية ٣٣
(٢) المغني ٤١١/٩
(٣) سورة النساء، آية ٣٦

ومنها ما رواه الامام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يقولن أحدكم عبدي فكلكم عبيد الله ولكن ليقل فتاي، ولا يقل العبد ربي ولكن ليقل سيدي"(١)

وروى الشيخان بسنديهما عن المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال: إني ساببت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية؛ إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم.(٢)

قال الحافظ بن حجر: "وفي الحديث النهي عن سب الرقيق وتعييرهم بمن ولدهم والحث على الإحسان إليهم والرفق بهم؛ ويلتحق بالرقيق من في معناهم من أجير وغيره؛ وفيه عدم الترفع على المسلم والاحتقار له".(٣)

قال القرطبي رحمه الله في تفسير الآية بعد أن ساق الأحاديث في هذا الباب:
"فندب صلى الله عليه وسلم السادة إلى مكارم الأخلاق وحضهم عليها وأرشدهم إلى الإحسان وإلى سلوك طريق التواضع حتى لا يروا لأنفسهم مزية على عبيدهم؛ إذ الكل عبيد الله والمال مال الله، لكن سخر بعضهم لبعض وملك بعضهم بعضا إتماما للنعمة وتنفيذا للحكمة، فإن أطعموهم أقل مما يأكلون وألبسوهم أقل مما يلبسون صفة ومقدارا جاز إذا قام بواجبه عليه".(٤)

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم اطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد٤/١٧٦٤، وانظر: مسند الامام أحمد ٢/٤٤٤،٤٩٦

(٢) صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك ١/١٣،وعنده كتاب العتق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم العبيد اخوانكم فأطعموهم مما تأكلون ٣/١٢٣، وصحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب اطعام المملوك مما يأكل والباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه ٣/١٢٨٣ واللفظ للبخاري، وانظر: سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الاحسان إلى الخدم ٤/٢٩٥، وسنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في حق المملوك ٤/٣٤٠، وسنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب الاحسان إلى المماليك ٢/١٢١٦

(٣) فتح الباري ٥/٢٠٦

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٥/١٩٠

وقال ابن قدامة:

"وأجمع العلماء على وجوب نفقة المملوك على سيده ولأنه لا بد له من نفقة ومنافعه لسيده وهو أخص الناس به فوجبت نفقته عليه كبهيمته، والواجب من ذلك قدر كفايته من غالب قوت البلد سواء كان قوت سيده أو دونه أو فوقه وأدم مثله بالمعروف لقوله عليه السلام " للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف"(١)، والمستحب أن يطعمه من جنس طعامه لقوله: "فليطعمه مما يأكل".(٢)

وقال: "وإذا مرض المملوك أو زمن أو عمي أو انقطع كسبه فعلى سيده القيام به والإنفاق عليه لأن نفقته تجب بالملك؛ ولهذا تجب مع الصغر والملك باق مع العمى والزمانة فتجب نفقته مع عموم النصوص المذكورة في أول الباب".(٣)

ويجب على السيد كذلك تزويج مملوكه إذا احتاج إلى ذلك وله أن يجبره على الزواج وعليه نفقتهما.

قال تعالى:

﴿وَأَنكِحُوا الأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾(٤)

قال القرطبي: "أكثر العلماء على أن للسيد أن يكره عبده وأمته على النكاح".(٥)

وهكذا لا تسلب من الرقيق حقوقه الإنسانية، وليس مقهورا ولا عبدا بمعناه الأصلي؛ وإنما يعامل معاملة مودة وأخوة وحرص دائم على تحريره من هذه الحالة العارضة عليه. وليست حالته إذا كحالة الطبقات الوضيعة في النظام البرهمي.

---

(١) أخرجه الامام مسلم في كتاب الأيمان، باب اطعام المملوك مما يأكل ولفظه: "للمملوك طعامه وكسوته" (الصحيح ١٢٨٤/٣) وزاد الامام مالك "بالمعروف" (الموطأ، كتاب الاستئذان، باب الأمر بالرفق بالمملوك ٩٨٠/٢)

(٢) المغني ٦٣٠/٧

(٣) المرجع السابق ٦٣١/٧

(٤) سورة النور، آية ٣٢

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٠/١٢

وبهذا الشرح لأحكام الاسلام تبين موقفه من نظام البرهمية الاقتصادي في تخصيص موارد الأموال المعينة لطبقات معينة، والتمييز الطبقي في تصنيف الأعمال والحرف وتخصيص مختلفها لمختلف الطبقات، وتحريم الناس من حريتهم في عمل ما يرغبون فيه من الحرف والمهن كما تبين موقف الاسلام من تسخير البرهمية لطبقة الشودرية والمنبوذين في خدمة الطبقات العليا مقابل تقديم فضلات الطعام الرديئة والأشياء القديمة؛ وسلب حقوقهم المعيشية الأصلية.

المبحث الرابع

الطبقية في السياسة عند البراهمة

المطلب الاول : الحكم وسياسة الدولة

المطلبة الثاني : الحرب

المطلب الثالث : نقد الطبقية في السياسة عند البراهمة على ضوء الإسلام

المبحث الرابع
الطبقية في السياسة عند البراهمة

المطلب الأول
الحكم وسياسة الدولة

ا – الحاكم وطريقة حكمه

تجعل الديانة البرهمية حق رعاية الناس والمحافظة على الدولة في طبقة الكشترية اذ جعل الخالق البراهما هذه الوظيفة لها حين خلق البشر وصنفهم على الطبقات. فيكون الكشتري الذي أقيمت به المراسم الدينية منذ ولادته حاكما يرعى الناس ويدبر أمورهم ويحفظهم من العدو ويحقق لهم سعادتهم الدنيوية؛ ويجب على الناس طاعته والامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه لكونه رجلا تمثل فيه الإله الخالق وآلهة القوات الطبعية من النار والهواء والشمس والقمر وغير ذلك.(١)

ويحكم الحاكم الكشتري الدولة بمعاونة البراهمة وتوجيهاتهم في كل شؤونها ولا ينبغي له أن يرغب عن استشارتهم اذ هم الذين ولوا تحقيق السعادة الأخروية للناس حين خلقهم البراهما وكلف رعايتهم طبقة البراهمة وطبقة الكشترية ليسعدوا في الدنيا والآخرة.(٢)

فيبدأ عمله في إدارة الأمور وتدبيرها في الصباح الباكر يوميا بتعظيم البراهمة الذين وقفوا على الويدات الثلاث وعلى الأمور القضائية ، ويعمل حسب توجيهاتهم – خاصة الكبار منهم – في السن والعلم ، ويتعلم منهم الحقوق والواجبات بكل تواضع.(٣)

---

(١) انظر: منو سمرتي ٧/١-١٣
(٢) المرجع السابق ٩/٣٢٦
(٣) المرجع السابق ٧/٣٧-٣٩

"ويختار لحكمه وزراء من رعيته لاستشارتهم ، ممن لهم خبرة واسعة وسعة في العلم بالكتب المقدسة والعدالة والاقتصاد ، وممن لهم قوة وقدرة جسمية ونفسية ، وممن ولدوا في أسر كريمة ، ويستشير الوزير البرهمي منهم خاصة عن الحرب والسلم والانطلاق بالجيش والغارة على العدو في الوقت المناسب وغير ذلك من الأمور.(١)

ومن واجبات الحاكم المحافظة على نظام المراحل الحياتية ونظام الطبقات الاجتماعية ، ولأجل القيام بهذه الواجبات خلقه البراهما، وأعطاه سلاح العقاب لاستخدامه في موضعه؛ وان لم يستخدمه اختل نظام الطبقات وارتفع الطبقي الوضيع وانحط الطبقي الرفيع وخولف الشرع وانتشرت المحرمات.(٢)

ومن واجباته المحافظة على الرعية بالعدل بينهم، ومعاملة الموالين له بالمحبة والعدو بالتعذيب ، والتسامح عن البراهمة ان ارتكبوا الذنوب الصغائر.(٣)

وعلى الحاكم أن يعظم البراهمة العالمين بالكتب الدينية ويتصدق عليهم ويسهل لهم أمور حياتهم اليومية في مختلف مجالاتها.

وعليه أن يشغل الويشيين والشودرا في أعمالهم المحددة لهم بالنظام الطبقي بالقوة إذا أبوا ذلك؛ وهي التجارة والزراعة ورعاية البقر والتعاطي بالربا لطبقة الويشية وخدمة البراهمة للشودرا ، وإن أبوا ذلك يعاقبهم الحاكم بالسلاح.(٤)

وعليه أيضا أن يبذل جهده للاستيلاء على البلاد الأجنبية ويوسع بلاده(٥) وإذا كبر وعجز عن القيام بأعمال الحكم أو أراد انعزال الملك فيوزع ما بقي من الذخائر بين البراهمة ويكلف ابنه سياسة الدولة ويحضر الوغى ليموت فيها.(٦)

---

(١) المرجع السابق ٧/٥٨-٥٩و١٣٣

(٢) المرجع السابق ٧/١٤-٢٤و٣٥، وانظر: مهابهارتا، شانتي بروا ١٣/٢٧

(٣) انظر: منو سمرتي ٧/٣٢

(٤) المرجع السابق ٨/٤١٠،٤١٨

(٥) المرجع السابق ٩/٢٥١

(٦) المرجع السابق ٩/٣٢٢

ب - امتيازات البراهمة في الحكم

إن زمام الدولة وقيادتها في يد البراهمة وإن كان الحاكم كشتريا، ويوجب النظام الطبقي الاستشارة بالبراهمة والاعتبار بآرائهم وتوجيهاتهم في جميع شؤون الدولة، فيشكل من البراهمة مجالس تقوم بتوجيه الحاكم في إدارة شؤون الدولة والحكم في قضايا الناس ومشاكلهم والفصل في الخصومات والاختلافات، وعلى الحاكم تطبيق هذه التوجيهات والأحكام دون تغيير فيها.

وقد تقدم ما جاء في قوانين منو أن الحاكم يشكل من البراهمة مجلس القضاء بأربعة أشخاص ينظرون في القضايا ويصدرون الأحكام والعقوبات؛ ولا يستحق الكشتري أو الويشي عضويته؛ ولا يوكل القضاء إلى شودري بحال من الأحوال.

ويبين منو أن الحاكم يفصل في القضايا حسب مراتب الطبقات ووظائفها ، وإذا اختلفت الطبقات الثلاث دون البرهمية في وظائفهم الطبقية يحكم بينهم بعد استشارة البراهمة ولا يحكم بحكم من عنده؛ وللبرهمي أن يفصل في القضايا بدلا عن الحاكم ولو كان هذا البرهمي غير ملتزم بالأمور الشرعية.(١)

ومن واجبات الحاكم تحقيق رغبات طبقة البراهمة والمحافظة على امتيازاتهم على سائر الطبقات في مجالات الحياة المختلفة؛ ولا ينبغي له أن يظلمهم أبدا أو يسخطهم؛ لأنهم إذا سخطوا على الحاكم أهلكوه باللعنة والابتهال عليه أو باستعمال القوة السحرية التي يملكونها، ولهم ذلك ؛ لأن الكشتري ناشيء من البرهمي في الخلقة ؛ وهما متعاونان معا في جميع الأمور؛ فلا تحصل السعادة الدنيوية والأخروية إلا باشتراك البرهمي مع الكشتري في رعاية الناس ؛ ومساعدته له في أعمال الشعائر التعبدية.(٢)

---

(١) المرجع السابق ١١/٨و٢٠و٢٤و٤١و٣٩١و٣٩٢

(٢) المرجع السابق ٣١٩/٩-٣٢١

وكانت مهمة الحاكم الكبرى هي احترام طبقة البراهمة ورعايتهم وحراستهم عن كل سوء، فلا ينبغي أن يشكو برهمي في بلاده بجوع؛ بل يهلك ملكه بالجدب والقحط فور حصوله إن حصل ذلك، ولا يجوز للحاكم أن يجبى منه جباية؛ بل يفرض لكل برهمي حسب علمه بالعلوم الويدية وقيامه بالأعمال الدينية قوتا ومعاشا، ويحرسه من كل المخاوف مثل الوالد لولده، وإذا فعل ذلك بكل الحرص يزيد في ملكه وعمره وماله، وكذا يتبرع لهم بالسكن وسائر الصدقات ؛ لأجل إقامة الدين.(١) ولكن ينبغي عليه أن يجبي جباية من غير البراهمة حتى من تجار الحلوى وأصحاب الحرف الصغيرة مثل النجارة والحدادة وغيرهما ولو جباية يسيرة ؛ لأنه إذا أعرض عن جلب الجباية من الناس رحمة بهم يلحقه الضرر كما يلحق الضرر الرعية إذا أكثر فيها.(٢)

وكذا يحرص على تطبيق أحكام العقوبات على الطبقات إذا اعتدوا على غيرهم ويصفح عن البراهمة إذا ارتكبوا ذنوبا صغائر ويخفف لهم عقوباتهم في الكبائر، ولا ينوي أبدا الحاق الضرر بالبراهمة ولا قتلهم إذا ارتكبوا كبيرة مهما كانت؛ بل أقصى ما يعاقبهم به هو حلق الرأس أو الاخراج من البلاد.(٣)

---

(١) المرجع السابق ٧٩/٧

(٢) المرجع السابق ١٣٣/٧-١٣٩

(٣) المرجع السابق ٣٧٩/٨-٣٨١

المطلب الثاني

الحرب

يجعل النظام الطبقي البرهمي مهمة مقاتلة الأعداء وحراسة الدولة منهم من واجبات طبقة الكشترية الفطرية فلا تجوز لطبقة أخرى ممارسة هذه الوظيفة في حال من الأحوال. (١)

جاء في قوانين منو أن حراسة الدولة من الأعداء بالسلاح هي من أعمال الكشترية المعيشية؛ وهي أفضل الأعمال لهم، ولا يقوم بمهمة الحرب وحراسة الدولة أحد من الطبقات الأخرى ولو لم يجدوا أعمالا معيشية أخرى، أو اضطر الحال إلى ذلك؛ بل يجوز للبرهمي عند الاضطرار أن يمارس شيئا من وظائف الكشتري كحكم دولة أو مقاطعة دون غير؛وأن عمل الكشتري الفطري أن يظهر على عدوه؛ فلا يول دبره في القتال خوفا من الموت؛ وليحرس طبقة الويشية من القطاع بسلامة، وليأخذ منهم جباية بالمعروف مقابل ذلك.(٢)

وعلى الحاكم أن يتصدى لأعدائه بالحرب إذا تحدوه للقتال دون وجل منهم تذكرا لواجبات الكشتري الطبعية ؛ لأن أفضل الأعمال له رعاية الرعية وعدم الفرار من الحرب وتقديس البراهمة.(٣)

---

(١) انظر: جيتا ١٨/ ٤٣، منو سمرتي ٨٩/١

(١) منو سمرتي ١٠/٧٩-٨١ و١١٩

(٢) المرجع السابق ٧/٨٧-٨٨

ولا ينبغي قتل برهمي في الحرب ؛ لأن قتله ذنب كبير؛ وشرعت أعمال "قرابين الياجا" التي من ابرزها قتل الحصان افتداء للحاكم لما قد يحدث منه من قتل أحد من البراهمة(١) ولا مانع من قتل أفراد الطبقات الأخرى ولو كانوا من أقرباء المقاتل وأوليائه وشيوخه؛ بل يجب قتالهم إذا واجههم في الحرب دون تردد قياما بالواجبات الطبقية حيث إنهم سوف يعاقبون إذا قصروا فيها.

جاء في جيتا حوار بين كرشنا وأرجنا – وهما في ساحة القتال – يحرض الأول الثاني على الحرب ويذكره بواجباته حين رأى منه إحجاما عنها عندما قابل أقرباءه من أعمامه وأخواله وأساتذته وغيرهم بين صفوف الأعداء ، فقال كرشنا لأرجنا:

"لا تقلق ولو نظرا إلى الوظيفة الفطرية لك، فليس شيء أفضل للكشتري من القتال المقدس، وقتل الأقرباء في الحرب ليس اثما حيث ان القتال هو واجب الكشتري؛ إنما تسنح فرصة القتال للكشتري السعيد. وتفتح أبواب الجنة أمامه، وإن لم تخض هذه المعركة المقدسة تضيع الواجب وتكسب العار، إنما الاثم في الإحجام؛ فإن قتلت فزت بالجنة، وإن غلبت فزت بملك الأرض".(٢)

ويقول أيضا:

"وإنما عينت الأعمال لكل طبقة حسب صفاتهم الفطرية، فكبت النفس والحواس، والنسك والطهارة والصبر والثبات والجرأة والعلم والمعرفة والإيمان، هي الأعمال التي توافق صفات البراهمة الفطرية. والشهامة والقوة والثبات والشجاعة وعدم الفرار من الحرب والتصدق والغلبة ونحو ذلك ، هي من أعمال الكشترية التي تكون من صفاتهم الفطرية(٣)

ومن واجبات الحاكم توسعة البلاد وجلب الثروات من البلاد الأخرى عن طريق الحرب ويحفظها برعايته وينميها في التجارة وينفقها عن طريق التبرع ٠ (٤)

---

(١) راجع مبحث عبادات البرهمية ص٦٤

(٢) جيتا ٢/٣١-٣٤ و٣٧

(٣) المرجع السابق ١٨/٤١-٤٣

(٤) انظر؛ منوسمرتي ٧/٩٩، ١٠١ ، ٩/٢٥١ ٠

المطلب الثالث

نقد الطبقية في السياسة عند البراهمة على ضوء الإسلام

يتضح مما سبق من عرض النظام الطبقي للبرهمية في الأمور السياسية أنه يحصر الحكم وسياسة الدولة وحراستها في طبقة الكشترية حيث هي وظائفها الأصلية؛ ولا تخرج عنها في حال من الأحوال حتى ولو لم يوجد فيها من يليق بهذا المنصب ؛ لأنه لا يجوز لأحد من الطبقات الأخرى تولي هذه الوظائف بحكم الولادة والنسب والوظائف الأصلية؛ إلا أن للبرهمي إذا اضطر إلى عمل يقيم به حياته أن يتولى حكم مقاطعة أو ولاية دون الحكم الأعظم وقيادة الحرب.

وطبقة البرهمية هي أفضل الطبقات حسب النظام الطبقي لنشأتهم من وجه الخالق الذي هو أكرم الأعضاء وأقدسها – على حد زعمهم – ولكونهم رجال الدين والعلم الذين يقومون بالتعليم والأعمال الدينية الأخرى؛ ومع ذلك تعين الحكم في طبقة الكشترية التي هي أقل مرتبة ومنزلة من طبقة البرهمية في العلم والقداسة مع أن الحكم يحتاج إلى قدرات نفسية وعقلية وعلمية إضافة إلى القدرات الجسمية.

ويسند النظام الطبقي حق مراقبة الحاكم والاستشارة واصدار الأحكام وحق الفصل في الأمور إلى الطبقات العليا، خاصة إلى طبقة البراهمة، وليس للحاكم أن يقضي بنفسه في الخلافات الطبقية، وإن كان يشترط على الحاكم أن يكون خبيرا في الفصل بين الحق والباطل وعالما بمقاصد الحكم؛ بل الذي يقضي فيها هو البرهمي في حضرة الحاكم؛ وهذا يدل على أن الحاكم ليس له تصرف كامل في الأمور بل التصرف الكامل في يد البراهمة.

ويجعل من أهم واجبات الحاكم المحافظة على النظام الطبقي بالشدة وقوة السلاح وتحقيق امتيازات طبقة البراهمة؛ كما يجعل إقامة العدل بين الرعية من واجباته. وقد تقدم نماذج امتيازات طبقة البراهمة في الحكم.

وتحقيق هذه الامتيازات لطبقة البراهمة واقامة العدل بين الرعية - اذ العدل هنا هو ما تبينه الشريعة البرهمية لتحقيق النظام الطبقي، وما واجب الحاكم إلا تنفيذه - مما هو بعيد عن العدل في نظام الإسلام .

وكذا موقف البرهمية في جعل مهمة القتال في طبقة معينة من الناس، وجعل توسعة البلاد وجلب الأموال والاستيلاء على الأراضي من مقاصد الحكم أيضا بعيد عن مقاصد الحكم والقتال السامية للإسلام .

وفيما يلي بيان موقف الإسلام من هذه الأمور.

أولا: الحكم ورئاسة الدولة

يجب على المجتمع الإسلامي نصب إمام أو رئيس لاقامة الدين وسياسة الدنيا بتنفيذ أوامر الله تعالى وأحكامه في جميع أمور الحياة، فيقوم بواجبات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الحدود واستخراج الحقوق وجباية الأموال لبيت المال وقسمتها على أهلها وحفظ أموال الأيتام والمجانين والنظر في أمورهم، ودفع العدو وحماية البيضة(١) وسد الخلل وما إلى ذلك.(٢)

وقد اشترط علماء الإسلام فيمن يتولى هذه الرئاسة شروطا تجب مراعاتها في الحال التي تكون صفة الاختيار متوفرة في الأمة، أما إذا انتفت أو لم يوجد في الأمة من تتوفر فيه هذه الشروط كلها، ففي هذه الحال يتولى الرئاسة الذي يلي الأكمل فالأكمل وهكذا.(٣)

وهذه الشروط هي:

١- الإسلام، وهو شرط واجب في كل ولاية إسلامية صغيرة كانت أو كبيرة.

٢- العقل والبلوغ، فلا يوكل الأمر إلى الصبي ولا المجنون ؛ لأنهما غير مكلفين ولا يحسنان التصرف في أمورهما، فمن باب أولى ألا يقلدا تدبير أمور المسلمين.

٣- الحرية، والعبد لا يحق له التصرف في شيء إلا باذن سيده فلا ولاية له على نفسه، فكيف تكون له الولاية على غيره، وإن الولاية تستدعي استغراق الأوقات في مهمات الخلق.

٤- الذكورية، ولا تتولى المرأة الولاية لنقصان كفاءتها النفسية والجسمية.

٥- العلم، يجب أن يكون للامام حصيلة علمية كافية لتدبير الأمور على وجهها الأكمل.

٦- العدالة، وهي مجموعة صفات أخلاقية من التقوى والورع والصدق والأمانة والعدل ورعاية الآداب الاجتماعية وما إلى ذلك.

---

(١) البيضة: أصل القوم ومجتمعهم، بيضة الإسلام جماعتهم، يقال أتاهم العدو في بيضتهم (لسان العرب، مادة، بيض٧/١٢٧)

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١/٢٦٤و ٢٧١

(٣) انظر:الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، تأليف/ عبد الله بن عمر الدميجي ص ٢٠١ - ٢٦١

٧- الكفاءة النفسية والجسمية، وتعني سلامة الحواس والأعضاء التي يؤثر فقدانها على الرأي والعمل، وعدم لحوق رقة في اقامة الحدود ، ولا فزع من ضرب الرقاب، ولا قطع الأبشار.

٨- عدم الحرص عليها، وهو أن لا يطلب الإمامة لنفسه رغبة في تحقيق مصلحة غير شرعية.

٩- القرشية، هذا الشرط وردت النصوص عليه صريحة وأطبق عليه جماهير علماء المسلمين، وان اختلف فيه.

والإمام المسلم انما يختار لكونه من أفضل الناس وأحقهم لذلك المنصب لتوفر الشروط كلها أو أكثرها، وله حق إدارة أمور الدولة والتصرف فيها بنفسه حسب الكتاب والسنة لعلمه ورأيه وقدرة اجتهاده مع استشارة من يجده أهلا لها إذا رأى ذلك؛ وعلى الأمة بعدها السمع والطاعة ما دام يقودهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.(١)

قال الله تعالى:

﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٢)

وقد أجمع الصحابة والتابعون أن أبا بكر أفضل هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فهم لهذا كانوا أحق بالإمامة خلفا لسابقهم.

---

(١) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي ص٦، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١٦٦/٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٠/١، ٢٧١، والإمامة العظمى عند اهل السنة والجماعة لعبد الله بن عمر الدميجي ص٢٣٣-٢٧٤

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩

روى الإمام البخاري بسنده عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم .(١)

وروى بسنده عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي رضي الله عنه: يا أبت أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر؛ قلت: ثم من؟ قال: عمر؛ وخشيت أن أقول ثم من فيقول عثمان، فقلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.(٢)

قد يسأل القائل: أليس اشتراط الإسلام للقرشية في الإمامة مثل اشتراط البرهمية للكشترية على السواء؟

والجواب عن ذلك:

إن اشتراط القرشية في الإمامة ليس له علاقة بالطبقية أو العصبية القبلية التي نهى الإسلام عنها البتة؛ كما أن النسب في حد ذاته في أصل الشريعة لا قيمة له ذاتية، وإنما هو صفة كمال.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم ١٩١/٤، وانظر: عنده باب مناقب عثمان ٢٠٣/٤، وسنن أبي داود، كتاب السنة، باب في التفضيل ٢٠٦/٤

(٢) صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل أبي بكر ١٩٥/٤، وسنن أبي داود، كتاب السنة، باب في التفضيل ٢٠٦/٤

ومحمد بن الحنفية هو ابن علي بن أبي طالب، واسم الحنفية خولة بنت جعفر (فتح الباري ٤٠/٧)

واشترط الإسلام هذا الشرط للإمامة العظمى لكون قريش أفضل قبائل العرب نسبا ومظنة أن يكون فيهم الخير أعظم مما يوجد في غيرهم، وأن الله قد ميزهم عن غيرهم من سائر القبائل بقوة النبل وسداد الرأي، وهما من صفات الإمام المهمة، فإذا كان رجل منهم متصفا بسائر صفات الإمامة يكون هو الأحق بها، وهذا يرجع إلى التفاضل بين الناس في المواهب والصفات المعنوية؛ وليس دعوة إلى عصبية، ولا تمييزا بين طبقات بحكم الولادة في طبقة معينة أو مكان معين.(١)

وإذا لم يوجد للحكم من توفرت فيه هذه الشروط كلها يتولى الحكم من توفر فيه أكثرها ، فلا مانع في النظام الإسلامي إذًا أن يأتي غير القرشي في الحكم .

أما الاعتقاد بأن من الناس طبقة هم أحق بالإمامة بالطبع بمجرد الولادة فيها أو النسب اليها دون اتصاف بالكفاءات الجسمية والنفسية، والدعوة إلى أحقيتها في الإمامة بهضم حق غيرهم فيها، فان ذلك مما أنكره الإسلام وأراد إماتته في الأمة الإسلامية.

وقد ورد في القرآن الكريم الإنكار على أشراف بني اسرائيل في اعتقادهم أنهم أحق بالملك إذ اعترضوا على نبيهم في الملك الذي بعثه الله لهم، ولم يكن من أسرة الملك التي توقعوا أن يكون منها، ولا ممن أوتي سعة من المال حتى يتبعوه لشرفه أو لماله.

قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَاءِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٢)

---

(١) انظر: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة ص٢٩٤،٢٩٥

(٢) سورة البقرة، الآيتان ٢٤٦و٢٤٧

قال ابن جرير الطبري:

"وقال للملإ من بني اسرائيل نبيهم شمويل: إن الله قد أعطاكم ما سألتم، وبعث لكم طالوت ملكا، فلما قال لهم نبيهم شمويل ذلك قالوا: أنى يكون لطالوت الملك علينا وهو من سبط بنيامين بن يعقوب، وسبط بنيامين سبط لا ملك فيهم ولا نبوة ونحن أحق بالملك منه لأنا من سبط يهوذا بن يعقوب. (ولم يؤت سعة من المال) يعني ولم يؤت طالوت كثيرا من المال، لأنه سقاء وقيل كان دباغا"(١)

وقال القرطبي في تفسير الآية:

(إن الله اصطفاه) أي اختاره، وهو الحجة القاطعة، وبين لهم مع ذلك تعليل اصطفاء طالوت وهو بسطته في العلم الذي هو ملاك الإنسان، والجسم الذي هو معينه في الحرب وعدته عند اللقاء، فتضمنت بيان صفة الإمام وأحوال الإمامة، وانها مستحقة بالعلم والدين والقوة لا بالنسب، فلا حظ للنسب فيها مع العلم وفضائل النفس وأنها متقدمة عليه؛ لأن الله تعالى أخبر أنه اختاره عليهم لعلمه وقوته وان كانوا أشرف منتسبا."(٢)

أما فيما دون الإمامة العظمى من المناصب فلا يشترط فيها القرشية، بل يجوز أن يشغلها أي فرد من أفراد المجتمع إذا كان صالحا وأهلا لتلك المناصب دون نظر إلى نسبه أو عنصره.

والرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدون من بعده كانوا يولون في ولاية الأمصار وامارة الجيوش وقيادة المعارك وغيرها من مناصب الحكم المهمة الذين لم يكونوا من سادات القوم لصلاحهم لها دون النظر إلى عنصرهم أو أصلهم.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يولي مولاه زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد رضي الله عنهما امارة السرايا والجيوش.

---

(١) تفسير الطبري ٢/٦٠١

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٤٦

روى الإمام البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في امارته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ان تطعنوا في امارته فقد كنتم تطعنون في امارة أبيه من قبل وأيم الله ان كان لخليقا للامارة وان كان لمن أحب الناس الي وان هذا لمن أحب الناس الي بعده.(١)

وأرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمار بن ياسر واليا على الكوفة وعبدالله بن مسعود معلما ووزيرا، وكتب اليهم أنهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.(٢)

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية أنه يجب تولية الأصلح لكل عمل من أعمال المسلمين من الأمراء والولاة والوزراء ومن إلى ذلك من أئمة الصلاة والمؤذنين والمقرئين وأمراء الحج وغيرهم؛ ثم يقول:

" فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما أو ولاء عتاقة أو صداقة أو موافقة في بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس كالعربية والفارسية والتركية والرومية أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة أو غير ذلك من الأسباب أو لضغن في قلبه على الأحق أو عداوة بينهما فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ودخل فيما نهى عنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣)"(٤)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب زيد بن حارثة٤/٢١٣، وانظر: عنده كتاب المغازي، باب غزوة زيد بن حارثة٥/٨٤، وباب بعث النبي أسامة بن زيد في مرضه الذي توفي فيه ٥/١٤٥، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل زيد بن حارثة وابنه أسامة٤/١٨٨٤، وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله عنه ٥/٦٧٥، ومسند الإمام أحمد ٢/٨٩،١٠٦،١١٠

(٢) سبق تخريجه،انظر:ص١٤٢

(٣) سورة الأنفال، الآية ٢٧

(٤) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ص٢٠

ثانيا: أهلية الشورى

تفرق البرهمية بين الطبقات في مبدا الشورى اذ ترى أن على الحاكم تعيين أهل الرأي والعلم من البراهمة مستشارين لمشاورتهم في أمور الحكم وقيادة الحرب وغيرذلك، ولا يليق لذلك أفراد الطبقات السفلى.

ومبدأ الشورى أساس من أسس نظام الحكم في الإسلام اذ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يشاور المسلمين في أمورهم التي لم ينزل فيها وحي يحسمها.

قال تعالى :
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾(١)

وقال تعالى أيضا:
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾(٢)

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يشاور أصحابه في الأمور التي لم يأته فيها الوحي ويقبل الرأي الصائب؛ كما كان الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها.(٣)

قال الإمام الترمذي بدون اسناد: ويروى عن أبي هريرة قال: ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.(٤)

وتكون المشاورة من أهل الرأي والعلم والتجربة في الأمور، فلا بد أن يكون المستشار عالما عاقلا ذا بصيرة في الأمور أمينا ناصحا.

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٥٩

(٢) سورة الشورى، آية ٣٨

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول الله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) ١٦٣،١٦٢/٨

(٤) سنن الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في المشورة ١٨٦/٤، قال فيه ابن حجر: "رجاله ثقات إلاأنه منقطع" (فتح الباري ٣٥٢/١٣)

قال القرطبي:

" قال العلماء : وصفة المستشار ان كان في الأحكام أن يكون عالما دينا ، وقلما يكون ذلك إلا في عاقل... فاذا استشير من هذه صفته واجتهد في الصلاح وبذل جهده فوقعت الإشارة خطأ فلا غرامة عليه ... وصفة المستشار في أمور الدنيا أن يكون عاقلا مجربا وادّا في المستشير".(١)

وروى الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المستشار مؤتمن "(٢)

فإذا كانت هذه الصفات مجتمعة في الرجل فهو أهل للاستشارة بغض النظر عن شرف الرجل أو نسبه أو أصله وعنصره.

وقد استشار الرسول عليه الصلاة والسلام أسامة بن زيد رضي الله عنه وهو ابن مولاه في فراق عائشة عقب حادثة الافك.

وقد ورد في حديث رواه الإمام البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها،قالت: " ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة أهلك ولا نعلم إلا خيرا..."(٣)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٥٠/٤،٢٥١

(٢) سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ان المستشار مؤتمن، وقال هذا حديث حسن ١٢٥/٥، ورواه ابن ماجة في السنن، كتاب الأدب، باب المستشار مؤتمن ١٢٣٣/٢، وأبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب في المشورة ٣٣٣/٤، والإمام أحمد في المسند ٢٧٤/٥

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الافك ٥٧/٥، وكتاب الشهادات، باب حديث الافك ١٥٥/٣، وكتاب الاعتصام، باب وأمرهم شورى بينهم ١٦٣/٨، ورواه مسلم في الصحيح، كتاب التوبة، باب في حديث الافك وقبول توبة القاذف ٢١٣٣/٤، والإمام أحمد في المسند ١٩٦/٦

وقبل الرسول صلى الله عليه وسلم مشورة الخباب بن المنذر في اختيار الموضع المناسب للحرب في موقعة بدر، وكذا قبل مشورة سلمان الفارسي في حفر الخندق في غزوة الأحزاب.(١)

ومن هنا نرى أنه لا يتخصص للشورى والاستعانة بالرأي في الأمور السياسية أو غيرها طائفة أو طبقة معينة اعتبارا للفروق الطبعية مما لا دخل لها في علم الرجل أو عقله أو خبرته أو بصيرته في الأمور. واتبع الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من أمراء المسلمين هذا المنهج القويم ، واتخذوا من الشورى أساسا للحكم واستعانوا برأي أهل الحل والعقد في أمور السياسة ، ولم يخصصوا لذلك أناسا معينين باعتبار أنسابهم أو ألوانهم كما أنهم لم يحرموا قوما أو شعبا معينا من حقوقه ، بل استطاعت الأمم والشعوب تحت الحكم الإسلامي أن ينالوا حقوقهم كاملة بالقسط وما ذلك إلا لأنهم اتبعوا جميعا ــ حكاما ومحكومين ـ المنهج الإسلامي الصحيح .

أما تخصيص البرهمية طبقة معينة لسياسة الدولة والإشارة بالرأي وغير ذلك دون سواها نظرا إلى ولادته وانتسابه فهو بعد عن الهدي الإسلامي، ووضع بشري ناقص تدخلت فيه أهواء الطبقات العليا من البراهمة والكشترية ومطامعهم للحفاظ على سيادتهم وسلطانهم ومصالحهم الخاصة على حساب الطبقات السفلى والطوائف الضعيفة . ولهذا نرى أن أحوال الشعوب البائسة والمنبوذة في الهند لم تزد إلا سوء ورذالة في مختلف مجالات الحياة ، وبعدا وضلالة عن الهدى الإلهي .

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١٩٢/٢، ١٣٤/٣ وفتح الباري ٤٥٣/٧

ثالثا: إقامة العدل ومحاربة الظلم

من مقاصد الإمامة العامة وواجبات الإمام في النظام الإسلامي إقامة العدل بين الناس دون محاباة ولا حيف، فلا ينبغي أن يغري الإمام بغض قوم أو قرابة منهم على الظلم والجور في حكمه.

وهناك آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة تبين مبدأ العدل وضرورة إقامته دون أن يؤثر فيها أي مؤثرات خارجية.

منها قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم أَن تُؤَدُّوا الأَمَٰنَٰتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(١)

وقوله تعالى:

﴿يَٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُم شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢)

قال القرطبي:

"والمعنى أتممت عليكم نعمتي فكونوا قوامين لله أي لأجل ثواب الله؛ فقوموا بحقه واشهدوا بالحق من غير ميل إلى أقاربكم وحيف على أعدائكم، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ترك العدل وإيثار العدوان على الحق ..."(٣)

ومنها ما روى الترمذي بسنده عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل؛ وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر".(٤)

---

(١) سورة النساء، آية ٥٨

(٢) سورة المائدة، آية ٨

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٠٩/٦

(٤) جامع الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء في امام عادل، وحسنه الترمذي وقال: حديث أبي سعيد حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٦١٧/٣)
ورواه الإمام أحمد في المسند ٥٥،٢٢/٣

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: "إن الله مع الحاكم ما لم يجر؛ فإذا جار وكله إلى نفسه"(١)

ومن صور إقامة العدل الذي يسعى الحاكم لتحقيقه في المجتمع الإسلامي :

١- منع الظلم وإزالته عن المظلومين؛ ومنع انتهاك حرمات الناس وحقوقهم المتعلقة بأنفسهم وأعراضهم وأموالهم؛ وإزالة آثار التعدي الذي يقع عليهم؛ دون تفريق بين أفراد الأمة.

٢- القيام بحق أفراد الشعب في كفالة حرياتهم وحياتهم المعاشية حتى لا يكون فيهم عامر متروك ولا ضعيف مهمل ولا فقير بائس ولا خائف مهدد.

٣- التسوية بين الناس في المعاملة ومكافأة جهودهم بحسبها وإسناد الأعمال والوظائف لمن يستحقونها وعدم المفاضلة والتمييز بينهم تبعا للهوى والمصلحة أو غير ذلك من أسباب غير شرعية.

٤- عدم تدخل مراكز الناس الاجتماعية وأنسابهم في خضوعهم لمقتضى العدل؛ فالشريعة تطبق على كل أحد لا فرق في ذلك بين شريف وغيره.(٢)

وبهذا نرى أنه يعد من الجور أن يسعى الحاكم لتحقيق مصالح قوم معينين وامتيازاتهم على غيرهم، والتفرقة بين الناس في المعاملة من مكافأة جهودهم ومعاقبة جرائمهم وتسهيل معاشهم وما إلى ذلك.

---

(١) الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء في الإمام العادل، وحسنه ٦١٧/٣، وصححه الحاكم (انظر: فيض القدير ٢٦٥/٢)، ورواه ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب التغليظ في الحيف والرشوة ٧٧٥/٢

(٢) انظر: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة ص١١٣-١١٥

رابعا: الجهاد

تحصر البرهمية مهمة القتال وحراسة الدولة من الأعداء أيضا على طبقة معينة،حيث لا تخرج إلى سائر الطبقات في حال من الأحوال ، بل إذا قام به أحد من هؤلاء يأثم على ذلك لمخالفته النظام الطبقي؛ كما تعين أغراض القتال بأنها توسعة الدولة وجلب الأموال والاستيلاء على الأراضي وقهر الأعداء وغيرها من الأغراض المادية بينما تجعل القتال على الكشتري واجبا مقدسا ، نتيجته إما الغلبة على الأعدا وتملك للأرض وإما الموت والفوز بالجنة .

ومهمة القتال واجبة على المجتمع الإسلامي - وهو الجهاد في سبيل الله - لأغراض سامية نبيلة ، وهي غير الأغراض المادية مثل التي تجعلها البرهمية، ونتيجتها إما النصر على الأعداء وإخراجهم إلى دين الله ، وإما الشهادة والفوز بالجنة والثواب العظيم ، وكلاهما هدف نبيل للمجاهد في سبيل الله كما قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ (١)

وفي ذلك توافق من ناحية بين البرهمية وبين الدين الإسلامي ، الأمر الذي يبين آثار دين صحيح في البرهمية .

ووردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة تدل على وجوب الجهاد على الأمة ؛ وفضل الشهادة فيه :

منها قوله تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٢)

---

(١) سورة التوبة، الآية ٥٢ ، الحسنيين : الشهادة أو الظفر .(انظر: تفسير ابن كثير ٣٦٣/٢)

(٢) سورة البقرة، آية ٢١٦

وقوله تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا. وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَاءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾(١)

وقوله تعالى:

﴿ٱنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الآية(٢) وغيرها من الآيات .

ومن الأحاديث النبوية: ما روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق".(٣)

وروى الشيخان بسنديهما عن أبي سعيد الخدري أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أي الناس أفضل؟ فقال: "رجل يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه" (٤)

والقتال في سبيل الله ليس واجبا على طائفة معينة فحسب، بل واجب على الأمة بأسرها كفاية، ويتعين على الجميع في حالات. منها:

١- إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه المقام.

٢-إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم.

٣- إذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفير معه.(٥)

---

(١) سورة النساء، الآيتان ٧٤،٧٥

(٢) سورة التوبة، آية ٤١

(٣) صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ١٥١٧/٣ وانظر: سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو١٠/٣، وسنن النسائي، كتاب الجهاد، باب التشديد في ترك الجهاد ٨،٧/٦ ومسند الإمام أحمد٣٧٤/٢

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ٢٠٠/٣، وكتاب الرقاق، باب العزلة راحة من خلاط السوء ١٨٨/٧ وصحيح مسلم، كتاب الامارة، باب فضل الجهاد والرباط ١٥٠٣/٣، وسنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في ثواب الجهاد، ٥/٣، وسنن النسائي، كتاب الجهاد، باب فضل من يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله ١١،١٠/٦، ومسند الإمام أحمد ٣٧،١٦/٣، ٢٣٤/٤

(٥) انظر: المغني ٣٤٦/٨-٣٤٧

أما أغراض الحرب ومآربها في الإسلام فهي سامية ليست هي التي اتخذتها البرهمية ولا هي التي تتخذها الآن الدول والأحزاب والمذاهب المعاصرة من أغراض ذاتية أو شخصية أو اجتماعية أو غيرها.

فالأمة الإسلامية لا تنظر إلى مصلحة أمة دون أخرى ولا استعمار شعب على شعب ولا تملك أرض أو استعلاء على دولة؛ بل هدفه فلاح البشر بأسرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة وتحريرهم من استعباد البشر وظلمهم وطغيانهم إلى عبادة الله وحده والعدل والكرامة.

وتتمثل هذه الأغراض السامية للقتال في قول الصحابة ربعي بن عامر وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم لقائد جيش الفرس في القادسية حين سألهم عن غرض قدومهم قالوا: "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم اليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله (أي الجنة أو الظفر)"(١)

وفي الحقيقة أن النظام الطبقي في الهند يسوم المجتمع الهندي ألوانا من الظلم والجور في جميع مجالات الحياة بالشكل الذي بيناه في المباحث السابقة ، نتيجة تحكم أهواء مجموعة من الناس الذين يتمتعون بالسيادة والامتيازات على من عداهم ، فيقهرون الطوائف الضعيفة بالسلطان والقوة ويستعبدونهم لمصالحهم الطبقية ، الأمر الذي يستدعي من أولئك المغلوبين أن يعلموا حقيقة الإسلام الذي جاء لإخراج جميع الناس من الظلم والظلمات إلى العدل والنور ، ولتحقيق السعادة لهم في الدنيا والآخرة .

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٥٢٠/٣، البداية والنهاية ٣٩/٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤٦٣/٢،٤٦٤

المبحث الخامس

المرأة وواجباتها في البرهمية

المطلب الاول : المرأة في الدين البرهمي

المطلب الثاني : حقوق المرأة وواجباتها

المطلب الثالث : نقد نظرة البرهمية إلى المرأة على ضوء الإسلام

المبحث الخامس

المرأة وواجباتها في البرهمية

المطلب الأول
المرأة في الدين البرهمي

إن موقف الدين البرهمي من المرأة ليس على وتيرة واحدة؛ ففي بعض الأحيان يجعلها محل تكريم وتعظيم فيوصي بخدمة الأم وإرضائها لنيل السعادة الدنيوية،(١) وباحترام المرأة لتخص الآلهة بعطفها الأسرة التي تحترم فيها، وبحب الزوجة ولطفها لتحظى الأسرة بالنمو والسعادة.(٢)

وبمقابل هذا نراه يمنعها من أن تشارك في بناء الأسرة والمجتمع؛ ويعتبرها مجرد أداة للشهوة الجنسية التي لا يعرى منها أحد، فيمنع الرجل من انفراده بالمرأة مطلقا وان كانت أما أو أختا أو بنتا لكي لا يقع في إغرائها.(٣)

ويبين منو أنها مفطورة بالعهر والكذب والغضب والرغبة في الإضرار بغيرها، فلا يسمح لها بالخروج من بيتها في حال من الأحوال ولو للضرورة؛ وعلى الرجل أن يلزمها في بيتها ويوفر لها الآنية والفرش وأدوات النظافة والزينة وغيرها من الأشياء التي تشغلها عن الرجوع إلى طبيعتها الأصلية حيث لا يستطيع الرجل أن يمنعها من الفاحشة إلا بهذه الحيلة.(٤)

---

(١) انظر: منوسمرتي ٢/٢٣٣-٢٣٧

(٢) المصدر السابق ٣/٥٤-٦٢

(٢) المصدر السابق ٢/٢١٥

(٤) المصدر السابق ٩/١٠،١١

وكذا يبين أنها تخرج عن طاعة زوجها وإن كانت محفوظة لديه؛ لأنها مطبوعة بالرغبة في التصرف بنفسها وعدم حب الغير، كما أنها مطبوعة على نفس متزعزعة؛ ويجعل لها منو الفراش والمقعد والزينة والشهوة والغضب والكذب والرغبة في الإضرار بغيرها ملتصقة بها؛ فلهذا يجب على الرجل أن يبذل قصارى جهده لتقويمها دون أن ترجع إلى صفاتها الفطرية.(١)

وإذا خرجت المرأة عن طاعة زوجها واعوجت عن الطريق السليم بطبيعة فطرتها فللرجل أن يعاقبها كما يعاقب الرجل خدمه أو تلاميذه، وإن فعلت حسنا فله أن يقبله أو يرفضه إذا شاء.(٢)

ولا ينبغي للرجل أن يأكل مع زوجته في صحن واحد، ولا أن ينظر اليها حين تأكل، وحين تسعل أو تعطس أو تتثاءب، وحين تتبذل في الجلوس، وحين تكحل عينيها أو تدهن جسمها، وحين تخلع رداءها، وعند ولادتها.(٣)

ولا تكون المرأة صالحة للزواج إذا كانت غير معروفة الأب أو الأخ أو كانت خاملة النسب لأنه يعد من العار أن يعرف الرجل بنسب أمه.(٤)

ولا ينبغي للرجل أن يحب المرأة حقا دينيا لأنها لا تستحق الحب لكونها معدودة في زمرة العدو والفساق والسارقين .(٥)

وقد سبق أن البرهمية تشرع أنواعا من الزواج، منها الزواج الذي يتم بأخذها قسرا من بيت والدها قتلا وجرحا؛ ويعد من أفضل أنواع الزواج لطبقة الكشترية.

---

(١) المصدر السابق ٩/١٥-١٧
(٢) المصدر السابق ٢/٢٢٣،و٤/١٧٣
(٣) المصدر السابق ٤/٤٣،٤٤
(٤) المصدر السابق ٣/١١
(٥) المصدر السابق ٤/١٣٢

ولا يشرع الزواج للمرأة إلا مرة واحدة، وتبقى بعد فراق زوجها كالموؤودة هدفا للاهانات والتجريح، تخدم الأحماء كالأمة، وقد تحرق نفسها على إثر وفاة زوجها تفاديا من عذاب الحياة وشقاء الدنيا.(١)

وتشدد الشريعة البرهمية في أحكامها على الحائض وتجعلها رجسا تبعد عن البيت، ولا تؤذن لها أن تتعامل مع أهل بيتها أو تستعمل أشياءها، بل تتنجس الأشياء التي تمسها؛ والأشخاص الذين يمسونها إلا الرضيع.

يبين شانكرا سمرتي أن على الحائض أن تخرج من البيت وتسكن خارجه دون أن تكلم ولا تمس أحدا إلا رضيعها؛ ولا تمس شيئا إلا الذي يحل لها مسه؛ ولا تلمس البيت ولا تنظف أسنانها ولا تدهن رأسها ولا تزين عينيها؛ ولا تزين رأسها بالزهرة ولا تلبس زي الزواج ولا تسافر سفرا بعيدا، ولا تأكل في آنية البرونز ... ولا يجوز للرجل أن ينظر إلى الحائض ولا أن يكلمها ...(٢)

ويبين منو أنه لا يجوز للرجل أن يباشر امرأته وهي حائض، ولا أن ينام في فراشها ولا معها وان لم يباشرها؛ ولا أن يكلمها؛ ولا أن يأكل بقية طعامها، بل هو كسؤر الكلب أو البقرة أو الغراب؛ وكذا طعام الأرملة العقيم؛ وعلى الرجل كفارة صيام ثلاثة أيام إذا أكل بقية طعامها جهلا.وإذا لمسها جهلا فلا يتطهر إلا بالغسل كالذي لمس أحدا من طبقة البرايا(٣) أو الميت أو من لامس الميت.(٤)

---

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٥١-٥٢

(٢) انظر: شانكرا سمرتي ٤/٢/١٢-٢٧

(٣) طبقة من الطبقات المنبوذة

(٤) انظر: منو سمرتي ٤/٤٠،٥٧،٢٠٦_٢٢٠

المطلب الثاني

حقوق المرأة وواجباتها

ا - أعمال البيت

تجعل الديانة البرهمية المرأة محبوسة في البيت تعمل مدى حياتها بأعمال البيت دون أن تعطى حرية التصرف أو اختيار مصيرها. ولا تجعل التعلم وأداء العبادات من حقها حيث يقوم الزواج وخدمة الزوج وعمل البيت مثابة تعلم الكتب المقدسة وعبادات العشي والإبكار.(١)

يقول منو:

"لا تعمل المرأة شيئا حسب رغبتها حتى في بيتها في حال من الأحوال، بنتا كانت أو فتاة أو كبيرة السن؛ بل يجب عليها أن تكون مأمورة لأبيها في الصبا ولزوجها في الفتوة ولأولادها في الكبر؛ ولا تتصرف حسب رغبتها، ولا ترغب في الانفراد في الحياة عن الأب أو الزوج أو الأولاد، فاذا انفردت عنهم أهانت نسبها ونسب زوجها؛ ويجب عليها أن تكون هادئة البال بارعة في تدبير أمور البيت وتنظيف أشيائه وغير مسرفة في النفقات".(٢)

ويقول أيضا:

"لا ينبغي لأقرباء المرأة من زوج أو غيره أن يعطوها حرية ليلا ولا نهارا؛ وان كانت فاسقة يحبسونها تحت رقابتهم؛ يتكفل المرأة والدها في الصبا، وزوجها في الفتوة، وأولادها في الكبر، فلا تستحق الحرية أبدا".(٣)

---

(١) انظر: منو سمرتي ٢/٦٦،٦٧و١٨/٩

(٢) المصدر السابق ١٤٧/٥-١٥٠

(٣) المصدر السابق ٣،٢/٩

ويبين شانكرا واجبات المرأة في بيتها فيقول:

"على المرأة أن تقوم عند الفجر وتغسل وجهها ويديها ورجليها، وتغير ثيابها ثم تغسل الوجه واليدين والرجلين مرة ثانية ثم تكنس البيت وساحاته وتنظفه قبل الاشراق ... ثم تنظف الأواني، وتحلب الأبقار... ولا تلبس الثياب الوسخة ولا المبتلة، ولا ترسل شعرها، ولا تأكل شيئا قبل أن يأكل زوجها ولا معه، بل تأكل بعده في نفس الورقة التي أكل فيها؛ ولا تقل شيئا يكرهه زوجها، ولتخدم أحماءها، وتعظم زوجها، وتقدس الماء الذي غسلت به أقدامه... ولا يجوز لها سماع الويدا... ولا تحتاج إلى التعليم أكثر من اللازم، ولا يجوز لها انشاد أغنية ولا لعب ألعاب، ولا ينبغي للمرأة البرهمية أن ترى غير زوجها، ولا تخرج من البيت إلا مع الأعوان ولا تمش في الطريق ليلا، ولا تخرج إلى المعابد عند مناسبة الأعياد...".(١)

ب - الأمور الزواجية

يكرم الدين البرهمي المرأة عند زواجها لكونها تزين البيت وتعطي السعادة للرجل بانجابها نسلا صالحا، فيكلف أولياء أمورها من أب وأخ أن يزينوها بالحلي والأزياء الجميلة لأجل ترغيب الزوج إليها وإغرائه في مباشرتها ليكثر النسل منها، ويرسلوها إلى بيته بالفرح والحفاوة ليعلو في الأسرة الرخاء والخير، ولا ينبغي أن تتعرض المرأة للحزن والكراهية، لأن الأسرة التي تتعرض نساؤها للحزن تهلك سريعا. ويزوجها أبوها لرجل دون أن يقبض منه شيئا، بل يهبه إياها لكي يكون رحيما ودودا، وإذا أخذ عوضا فكأنه باعها.(٢)

وللمرأة أن تهب نفسها لرجل إذا لم يزوجها وليها في ثلاث سنوات بعد البلوغ ولا يلحق الزوجين في ذلك اثم، وتسقط ولاية أبيها عنها إذا؛ وإذا مات الزوج فلها أن تهب نفسها لأخيه إذا شاءت. وكذا يجوز لها أن تباشر أيا من إخوة زوجها بإذنه حتى تنجب ولدا صالحا إذا لم تنجب من زوجها ولدا لائقا لمكانة الأسرة، وينسب هذا الولد إلى زوجها الأصلي ويعرف به.(٣)

وكذا إذا وعدت المرأة لرجل ثم مات قبل الزواج فعلى واحد من إخوته أن يتزوجها ويجامعها في كل قرء مرة واحدة حتى تنجب ولدا صالحا.(٤)

---

(١) شانكرا سمرتي ٤/٢/١٢-٢٧، نقلا عن كيرالا في القرن التاسع عشر ص٦١

(٢) انظر: منو سمرتي ٣/٥٣-٥٨

(٣) المصدر السابق ٥٢/٩،٥٩،٩٠،٩١،٩٧

(٤) المصدر السابق ٦٩/٩

ويتزوج الرجل ابن ثلاثين سنة بنت اثنتي عشرة سنة، وابن أربع وعشرين سنة بنت ثماني سنوات، ولا مانع من أن تزوج البنت قبل ذلك إذا جاء لها رجل صالح مناسب.(١)

ولا مانع للرجل من زواج المرأة من أي طبقة وإن كانت دنيئة(٢)وهي في ذلك كالذهب في الغائط يلتقط منه وكالعمل الصالح من الأعداء يقبل منهم.(٣)

ولا تصلح للزواج طويلة القامة، ولا شقراء الشعر ولا كثيرة شعر الجسم أو عديمته ولا مصابة بمرض شديد ولا خشنة اللسان في القول ولا مسماة باسم نهر أو نجم أو شجر أو جبل أو طير أو حية أو بلفظ غليظ ولا غير معروفة الأب أو الأخ ولا خاملة النسب(٤)

وعلى الرجل أن يستأذن زوجته إذا أراد أن يتزوج امرأة أخرى في حالة مرضها، إذا كانت صالحة ناصحة له في أموره؛ وإذا خرجت من البيت احتجاجا على زواج آخر فعليه أن يحبسها أو يتركها عند والدها(٥)

وفي حالة اغترابه من بلده يدفع إليها ما تحتاج إليه من ضروريات المعيشة حتى يعود لئلا تعتمد على فعل الفواحش لأجل المعيشة، وإذا فعل ذلك يجب على المراة أن تلزم بيته دون أن تلبس حليا ولا ملابس ثمينة ولا أن تخرج منه حتى إلى الجيران، وإن لم يعد لها ما تحتاج اليه فلها أن تشغل بأشغال يدوية دون أن تفقد عفتها. وعليها أن تنتظر عودته ثماني سنوات إذا كان سفره في سبيل الدين والبر، وست سنوات إذا كان في سبيل العلم أو المال، وثلاث سنوات إذا كان في سبيل زواج آخر، وإذا انتهت هذه المدة فلها أن تأتي إليه حيث هو أو تختار زوجا آخر.(٦)

---

(١) المصدر السابق ٩/٨٨،٩٤

(٢) هذا ويمنع النظام الطبقي التزاوج بين الطبقات حيث يسبب اختلاط الأنساب والطبقات كما سبق بيانه، راجع ص ١٦٢-١٦٣

(٣) المصدر السابق ٢ /٢٣٨،٢٣٩

(٤) المصدر السابق ٣/٨-١١

(٥) المصدر السابق ٩/٨٢،٨٣

(٦) المصدر السابق ٩/٧٤-٧٦

أما واجبات المرأة في الحياة الزوجية فانها تتلخص في أن تلد وتربي أولادها وتدبر أمور منزلها؛ وهي محكوم عليها أن تخدم زوجها الذي تزوجها في المرة الأولى في بيته مدى حياته وتعمل له الشعائر الدينية بعد مماته مغلوبة مهانة من قبل أقارب الزوج، ولا ينبغي لها أن تفارق بيته ولا أن تتزوج رجلا آخر؛ لأن كل الشرائع البرهمية تحكم ضد ذلك، بل تدخل الجنة إذا قضت بقية حياتها عفيفة غير راغبة في الزواج.

ويبين منو أنه لا زواج للمرأة إلا مرة واحدة وهي في ذلك كتقسيم مال الميت وهبة البقرة لا يحصل شيء من ذلك إلا مرة واحدة، ولا تزول الزوجية عن المرأة بالطلاق أو البيع أو موت الزوج، وعلى المرأة أن تخدم زوجها وتعظمه كالإله مدى حياته حتى وإن كان فاسقا أو زانيا أو سيء الخلق، ولا تعمل شيئا يكرهه في حياته ولا بعد مماته، وتعمل له الشعائر الدينية التعظيمية له بعد موته وتهتم بإضعاف جسمها بالصيام وبأكل خفيف من المجنيات الزراعية دون اللحم والعسل ونحوهما مما يقوي الجسم، ولا ينبغي لها أن تذكر اسم رجل آخر رغبة في الزواج ولا أن تباشر رجلا آخر رغبة في الأولاد.(١)

وإذا نشزت المرأة عن زوجها ينتظرها سنة، فإذا لم ترجع في هذه المدة ينزع عنها ما أعطاها من الملابس والحلي ويعتزلها دون أن يباشرها ولا يكلمها، وإذا ابتعدت عنه لكونه فاسقا أو مقامرا أو شاربا للخمر ورغبت عن خدمته يعتزلها دون أن يصرف لها فراشا ولا لوازم الزينة.(٢)

وللرجل أن يطلق امرأته العقيم بعد ثماني سنوات، والتي تلد السقط بعد عشر سنوات، والتي تلد الإناث دون الذكور بعد إحدى عشرة سنة، والتي تتكلم بالبذاءة على الفور، ولا يعطي أيا منهن شيئا يسرها.(٣) وله أن يتزوج امرأة أخرى – في مذهب ياجناولكيا – إذا كانت الزوجة ذات عيب : من شرب الخمر أو المرض الشديد أو سوء الخلق أو إفساد المال أو سب الناس أو الغضب نحو الزوج أو العقم أو عدم ولادة الذكور.(٤)

---

(١) المصدر السابق ٥/١٥١-١٦١و٩/٤٦،٤٧،٦٥

(٢) المصدر السابق ٩/٧٧،٧٨

(٣) المصدر السابق ٩/٨١

(٤) انظر: كيرالا في القرن التاسع عشر ص٢٩٥

ج – الميراث

تحرم المرأة من الميراث في معظم الأحوال، فلا يفرض لها نصيب في أموال والديها أو الأقربين لعدم أهليتها في عمل الشعائر الدينية للميت من قربات ونذور وعبادات وغيرها.(١)

فليس للبنت نصيب من مال أبيها بل يرثه أبناؤه الذكور، وإن لم يوجد له ابن يحول المال إلى ابن بنته إذا كان موجودا ، ويوصي له الوالد بماله إن لم تكن متزوجة بعد، وإذا ولد له بعد الوصية ابن فهما شريكان لماله.(٢) وفي حالة عدم وجود الابن وابن البنت يحول المال إلى زوجته، وعند انعدام جميع هؤلاء يصير المال لنصيب البنت.(٣)

أما مال الأم فيرثه الأبناء الذكور والبنات غير المتزوجات على السواء. أما البنات المتزوجات فليس لهن نصيب من مال والدهن أو والدتهن إلا ما يعطيهن إخوتهن تبرعا منهم بعد القسمة.(٤)

---

(١) المصدر السابق ص٣٠٣

(٢) أنظر: منو سمرتي ٩/١٣٢-١٣٤

(٣) المصدر السابق ٩/١٨٧

(٤) المصدر السابق ٩/١٩٢

المطلب الثالث

نقد نظرة البرهمية إلى المرأة على ضوء الإسلام

اتضح مما سبق أن الديانة البرهمية، تنظر إلى المرأة نظـرة ازدراء؛ تنزل منزلـة الأمة ليس لها دور فعال في تكوين المجتمع إلا أنها مجرد وسيلة للإغراء والفتنـة للرجل بإثارة غرائزه الجنسية المكتومة، ومجرد وسيلة للتناسل وحفظ النوع.

وقد أكرمت المرأة بعض الإكرام إذ توصي الأبناء باحترام الأم وتقديم الخدمة لها، وتبين أن السعادة الدنيوية فـي احترامها وخدمتها؛ وإذ توصـي أيضا بـتزيين البنت عند زفافها بالملابس الفاخرة والحلـي الثمينـة؛ وتوصـي الزوج كذلك ببذل الود والفرح لها لتكون في الأسرة مسرورة لكي تدوم الحياة الأسرية بالمودة والرحمة.

وبمقابل هذا نرى البرهمية تضرب عليها أنواعا من الإهانـة والإهمال فـي شأنها حين تحكم عليها بـأنواع من الأخلاق السيئة بـالفطرة والطبيعـة، وتمنعها مـن حريـة التصرف في نفسها وفي مالها، وتحرمها من حق التعلم والقيام بأمور الدين كما تمنعها مـن الميراث في أغلب الأحيان.

وتشويه البرهمية لطبيعة المرأة وتحذيرها من فتنتها ومنعها إياها من الخروج من بيتها وتحريم خلوة المحارم بها خوفا من وقوع الفاحشة. يأتي هذا كله من إهمال البرهمية في أمر الزواج وعدم الحث على إشباع الغريزة الجنسية في الوجوه الطبعية المباحة.

ومن وجوه هذا الإهمال :

ا- جعلت البرهمية الغرض الأسمى من الزواج حفظ النوع ومعاونة المرأة لزوجها في أداء الأعمال الدينية الواجبة عليه؛ أما إحصان الفرج وإشباع الغريزة الجنسية وغيرها من الأمور من أحط أغراضه؛ فإذا لم يخف على بقاء النوع فلا داعي إلى الزواج.

ولهذا كان الزواج للولد الأكبر من أبناء الرجل، فإذا أنجب ولدا صـار بقيـة إخوانـه آباء وأرباب أسرة، ابنه ابنهم، فلا زواج لهم بعد ذلـك، وإذا لـم ينجـب فـي الأولـى يـتزوج ثانية ثم ثالثة، وتأتي الفرصة لبقية إخوانه على الترتيب في الأخير.(١)

---

(١) انظر: كيرالا في القرن التاسع عشر ص٢٩١،٢٩٥

ب - جعلت البرهمية البرهماجريا أهم مراحل الحياة الفردية وهي مرحلة كبت الحواس والغرائز الجنسية، تبدأ في عنفوان الشباب الذي يكون الرجل فيه أتوق وأقدر على الزواج؛ وكذا مرحلة سنياساوهي التي يتفرغ فيها الزوجان للعبادة معتزلين عن الأسرة والمجتمع يؤديان الشعائر التعبدية.

وإذا كان الحال كذلك فلا غرو في اضطرار البرهمية إلى التحذير من فتنة المرأة وتشويه طبيعتها ومنع الخلوة بها حتى ولو كان أبا أو ابنا أو أخا.

وبسبب هذا الموقف المتشائم تلقى المرأة من المجتمع ألوانا من التعذيب والإهانة، فهي تقتل أحيانا عقب ولادتها - كما كانت الحال في بعض قبائل العرب أيام الجاهلية القديمة - وتقدم أحيانا نذرا إلى المعابد معبدة لخدمتها فتقضي الحياة وهي تشبع الغرائز الجنسية للمرتادين إليها مقابل ما يشبع جوعها.(١)

وسأتناول فيما يلي موقف الإسلام من المرأة في هذه الأمور بإيجاز.

---

(١) تستمر ظاهرة قتل البنات عقب الولادة في بعض القرى الهندية، منها قرية في ضلع سيلام من ولاية تاميل نادو، جنوب الهند، تترك البنت على سرير خارج البيت ليلا ثم يغلق عنها الباب وتصبح وقد صارت جثة. وفي ضلع بريار من نفس الولاية يدهن جسم البنت عقب ولا دتها بماء مخلوط بالسم فتموت، وان لم تمت بهذه العملية فيقطع حبل سرتها ويضغط من فوقه فتموت.

وفي ولاية كرنادكا ومهاراشترا وآندرا برديش تقدم البنات - غالبا من طبقات دنيئة - إلى معابد يلما (وهي الهة أنثى من آلهة الهندوس تقام باسمها معابد وتقام لها طقوس تعبدية) لخدمتها؛ فيصرن بعد ذلك خادمات معبدات فيها، مبعدات عن الأقرباء ويعشن أدوات لاشباع شهوة المرتادين، ومن ثم والدات لأبناء غير معروفي الآباء في ساحات المعابد.

(انظر: مجلة برابودهنام الإسلامية كتاب٤٩، عدد٢٦، ص٢٠)

ان المرأة المسلمة تتمتع بكامل حقوقها الإنسانية والكرامة الاجتماعية والأهلية في التصرفات المالية وغيرها؛ ونزلت منزلتها الطبيعية التي خلقت لها وجعلت لها رسالة سامية في بناء الأسرة الصالحة والمجتمع الراقي واعتبر في التشريع طبيعتها التكوينية فحفظت من كل ما يناقض تلك الطبيعة أو يحول دون أداء رسالتها الأصلية كاملة، وخصت ببعض الأحكام عن الرجل زيادة أو نقصانا كاسقاط الصلاة والصيام أيام الحيض والاعفاء عن وجوب صلاة الجمعة والجهاد كما حفظت من كل ما يهدد كرامتها واحترامها؛ وحورب الاستياء بها والحزن لولادتها كما كان الحال في الجاهلية.

قال تعالى:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾(١)

وقال تعالى:

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾(٢)

وليست المرأة مفطورة بالأخلاق السيئة وانما تولد على الفطرة السليمة كالولد ولا فرق بينهما في ذلك إلا أن البيئة التي يعيشان فيها تؤثر على تكوين مسير الطبيعة في كلا الجنسين على السواء كما بينها الرسول عليه الصلاة والسلام.

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء"، ثم يقول: **﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾**(٣)

والمرأة شقيقة الرجل، وهما من نفس واحدة، تشاركه في شؤون الأسرة والمجتمع، ويتعاونان معا في بناء البشرية.

---

(١) سورة النحل، آية ٥٨ ، ٥٩

(٢) سورة التكوير، الآيتان ٨،٩

(٣) سبق تخريجه، انظر:ص ١٨٣

قال تعالى:

﴿يأيها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيكُمْ رَقِيبًا﴾(١)

وروى الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن النساء شقائق الرجال" (٢)

وهي أهل للتدين والعبادة والتحلي بالأخلاق الحسنة والتخلي عن الأخلاق السيئة، تدخل الجنة إن أحسنت وتعاقب إن أساءت كالرجل سواء بسواء، فلا تعفى عن التكليفات الشرعية إلا ما يقتضيه تكوينها الجسمي وطبيعتها الخلقية.

قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣)

وقال تعالى:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾(٤)

---

(١) سورة النساء، آية ١

(٢) سنن الترمذي، كتاب الطهارة، باب فيمن يستيقظ فيرى بللا ١/١٩٠، وانظر: سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه ١/٦١، وسنن الدارمي، كتاب الوضوء، باب في المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل ١/١٩٥، ومسند الإمام أحمد ٦/٢٥٦

وقال الترمذي:" انما روى هذا الحديث عبدالله بن عمر- بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ،مات سنة ١٧١ هـ - عن عبيد الله بن عمر - أخو عبدالله الأكبر - : حديث عائشة في الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما، وعبد الله بن عمر ضعفه يحيى بن سعيد من قبل حفظه في الحديث ١/١٩٠)

قال أحمد شاكر: "والحق أنه ثقة وإن كان في حفظه شيء ، روى عثمان الدارمي عن ابن معين أنه قال فيه : "صالح ثقة" فهذا اسناد صحيح ... ثم وجدت أن الدارمي رواه في سننه موصولا وجعله من مسند أنس ... ومن المعروف أن أنسا سمع هذه القصة من أمه أم سليم، ورويت عنه مختصرة، كما في صحيح مسلم وغيره من طريق قتادة عن أنس، ورويت عنه مطولة كما في رواية الدارمي التي نقلناها، واسناد الدارمي اسناد صحيح، رجاله ثقات، إلا شيخه محمد بن كثير فهو الثقفي الصنعاني الدمشقي، ضعفه أحمد وغيره، ووثقه ابن معين وابن سعد وغيرهما، وهذا الاسناد يقوي رواية أحمد التي لم يذكر فيها أنس، وبهما يكون الحديث صحيحا ثابتا عن أم سليم، ويكون شاهدا قويا لحديث عائشة من رواية العمري".(تحقيق أحمد شاكر لسنن الترمذي ١/١٩١،١٩٢)

(٣) سورة النحل، آية ٩٧

(٤) سورة آل عمران، آية ١٩٥

وقال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.(١)

ولم يمنع الإسلام المرأة عن مشاركة الرجال في الأمور الدينية والدنيوية حسب معرفتها وخبرتها وقدرتها في المجالات التي يسمح لها تكوينها الفطري فتساعد الرجل في الجهاد ومعالجة الجرحى وتجير المستجير وتفك الأسير وما إلى ذلك.

روى البخاري بسنده عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: "كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فنسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة".(٢)

وروى الشيخان بسنديهما عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أن أبا مرة مولى أم هانيء ابنة أبي طالب أخبره أنه سمع أم هانيء ابنة أبي طالب تقول: "ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره فسلمت عليه فقال: من هذه؟ فقلت: أنا أم هانيء بنت أبي طالب، فقال: مرحبا بأم هانيء، فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفا في ثوب واحد، فقلت يا رسول الله: زعم ابن أمي علي أنه قاتل رجلا قد أجرته فلان بن هبيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء" وذلك ضحى.(٣)

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٥

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب رد النساء الجرحى والقتلى ٢٢٢/٣، وباب مداواة النساء الجرحى في الغزو ٢٢٢/٣، وانظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة النساء مع الرجال وباب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم ١٤٤٢/٣-١٤٤٤و١٤٤٧، وسنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب النساء يغزون ١٨/٣، وسنن الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في خروج النساء في الحرب ١٣٩/٤، ومسند الإمام أحمد ٢٢٤/١،٤٦٣، ٢٧١/٥، ٣٧٠/٦

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب أمان النساء وجوارهن ٦٧/٤، وكتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفا به ٩٤/١، وكتاب الأدب، باب ما جاء في زعموا ١١٠/٧ ، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى والحث على المحافظة عليها ٤٩٨/١، وانظر: سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في أمان المرأة ٨٤/٣، ومسند الإمام أحمد ٣٤١/٦،٣٤٣،٤٢٣،٤٢٥

وقد حظيت المرأة المسلمة بالإكرام والاهتمام بأمرها اهتماما بالغا في جميع مراحل حياتها أما كانت، أم بنتا، أم زوجا.

فجاءت الشريعة الإسلامية بالوصية باحترام الأم والإحسان إليها والعناية بأمورها كالأب، بل وأكثر من الأب.

قال تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا؛ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا؛ وَحَمْلُهُ وَفِصَٰلُهُ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ الآية(١)

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك.(٢)

وروى النسائي بسنده عن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله،أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: هل لك من أم؟ قال: نعم، قال: "فالزمها فإن الجنة تحت رجليها".(٣)

وكذا جاءت الوصية باكرام البنت ورعايتها وتأديبها وحسن صحبتها وتربيتها حتى يزوجها لرجل صالح مكافيء، فمن فعل ذلك استحق الجنة.

---

(١) سورة الأحقاف، آية ١٥

(٢) صحيح الإمام مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ١٩٧٤/٤، وانظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة ٦٩/٧، وسنن ابن ماجة، كتاب الوصايا، باب النهي عن الامساك في الحياة والتبذير عند الموت ٩٠٣/٢، ومسند الإمام أحمد ٣٩١،٣٢٧/٢

(٣) سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب الرخصة في التخلف لمن له والدة ١٠/٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الجهاد وصححه فقال: حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ١٠٤/٢، ووافقه الذهبي (انظر: تلخيص المستدرك للذهبي، على هامش المستدرك ص ١٠٤/٢)
وانظر: سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب الرجل يغزو وله أبوان ٩٢٩/٢، ومسند الإمام أحمد ٤٢٩/٣

روى البخاري بسنده عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها، فقسمتها بين بنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال: "من يلي من هذه البنات شيئا فأحسن اليهن كن له سترا من النار".(١)

وروى الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو" وضم أصابعه.(٢)

وروى أبو داود بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: "من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها – قال: يعني الذكور – أدخله الله الجنة".(٣)

وأكرمت المرأة زوجا فجعلها الله سكنا لزوجها وجعل بينهما مودة ورحمة، وجعل لها حقوقا كما عليها واجبات، وجعل عقد الزواج ميثاقا غليظا، وأوصى زوجها بالمحافظة على حقوقها ورعاية شؤونها وحسن معاشرتها وكل ما يثبت الارتباط والمودة بينهما.

قال تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٤)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ٧٤/٧
وانظر: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات ٢٠٢٧/٤، وسنن أبي داود، كتاب الآداب ، باب في فضل من عال يتيما ٣٣٨/٤ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، ٢٠٢٨/٤، وسنن الترمذي، كتاب البر، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات ٣١٩/٤

(٣) سنن أبي داود، كتاب الآداب، باب في فضل من عال يتيما ٣٣٧/٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب البر والصلة، وصححه وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ١٧٧/٤، ووافقه الذهبي (تلخيص المستدرك، على هامش المستدرك ١٧٧/٤)

(٤) سورة الروم، آية ٢١

وقال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(١)

وروى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة".(٢)

---

(١) سورة النساء، آية ١٩

(٢) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ١٠٩٠/٢
وانظر: سنن النسائي، كتاب النكاح، باب المرأة الصالحة ٥٦/٦، ومسند الإمام أحمد ١٦٨/٢، وسنن إبن ماجه ، كتاب النكاح – باب افضل النساء ٥٩٦/١ .

تعليم المرأة

المرأة في البرهمية تحرم من التعليم إذ ترى أن الزواج يقوم مقام المراسم التأهيلية للمرأة وخدمة الزوج مقام تعلم الويدات والعمل في البيت مقام العبادات.

وفي الإسلام جاء الترغيب في تعليم المرأة في كثير من الأحاديث النبوية حيث إن تعلمها أمر ضروري لأداء واجباتها الدينية والاجتماعية.

منها ما روى ابن ماجة بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"(١)

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها تعليقا، قالت:" نعم االنساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين"(٢)

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله؛ قال: "اجتمعن يوم كذا وكذا"، فاجتمعن؛ فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله. ثم قال: "ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجابا من النار"، فقالت امرأة: واثنين، واثنين، واثنين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "واثنين، واثنين، واثنين".(٣)

---

(١) تقدم تخريجه، انظر ص ١٤٤

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم ٤١/١، وصحيح مسلم، كتاب الحيض، باب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم ٢٦١/١

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ٢٠٢٨/٤-٢٠٢٩، وانظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوما على حدة في العلم ٣٤/١، وكتاب الاعتصام بالسنة، باب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته١٤٩/٨

الحائض

من خلال ما ذكر من أحكام البرهمية للحائض نرى أنها تعتبرها قذرة يمتد قذرها حتى إلى الأشياء التي تمسها، فيجب الاحتراز عن ملامستها ومؤاكلتها وتبعد عن البيت أيام حيضها. ولا شك أن هذا التشديد في الحكم اعتداء على كرامة المرأة ومنزلتها ووظيفتها التي جعلها الله تعالى لها. والبرهمية في هذا ما تلتها اليهودية والنصرانية والجاهلية الأولى حيث كان اليهود والعرب في الجاهلية يهجرون الحائض فلا يساكنونها ولا يؤاكلونهاولا يشاربونها . ولكن الإسلام قد وقف منها موقف الحق والكرامة لها .

روى الإمام مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ...**﴾(١) إلى آخر الآية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اصنعوا كل شيء إلا النكاح، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا، فلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارهما فسقاهما، فعرفا أن لم يجد عليهما.(٢)

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٢٢

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه ٢٤٦/١

قال الإمام ابن جرير في تفسير الآية: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النسَاءَ فِي المَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ، فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمَ اللهُ ...﴾(١)

"وإنما كان القوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لنا عن الحيض، لأنهم كانوا قبل بيان الله لهم ما يتبينون من أمره لايساكنون حائضا في بيت، ولا يؤاكلونهن في إناء، ولا يشاربونهن، فعرفهم الله بهذه الآية أن الذي عليهم في أيام حيض نسائهم أن يجتنبوا جماعهن فقط دون ما عدا ذلك من مضاجعتهن ومآكلتهن ومشاربتهن".(٢)

وحمل الأذى مقتصر على المحيض دون أن يتعدى أو يتمدد إلى جسم المرأة كله فضلا عما تمسه أو يمسها، بل يبقى جسد الحائض وعرقها وسؤرها وما لبسته طاهرا ما لم يختلط الدم به.

روى الإمام مسلم بسنده عن عائشة قالت: "كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع في فيشرب وأتعرق العرق وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع في".(٣)

وروى عنها أيضا، قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ناوليني الخمرة من المسجد"، قالت: قلت: إني حائض، فقال: "إن حيضتك ليست في يدك"(٤)

قال الإمام النووي:

"قال العلماء: لا تكره مضاجعة الحائض ولا قبلتها ولا الاستمتاع فيما فوق السرة وتحت الركبة ولا يكره وضع يدها في شيء من المائعات ولا يكره غسلها رأس زوجها وغيره من محارمها وترجيله ولا يكره طبخها وعجنها وغير ذلك من الصنائع وسؤرها وعرقها طاهران وكل هذا متفق عليه".(٥)

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٢٢

(٢) تفسير الطبري ٣٨١،٣٨٠/٢

(٣) سبق تخريجه، انظر ص١٨٠

(٤) سبق تخريجه، انظر ص١٨٠

(٥) شرح مسلم للنووي ٢٠٧/٣

الزواج

الزواج في الشريعة الإسلامية أمر مرغوب فيه يطلب من كل من يقدر عليه، وجعلت الإعفاف وإحصان الفرج من أغراض الزواج السامية، وفتحت باب الحلال في ذلك وأغلقت أبواب الحرام وحرمت الرهبانية. ومسؤولية الرجل والمرأة في هذه الأمور سواء.

قال تعالى:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِم وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ؛ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ...﴾ (١)

وقال تعالى:

﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. وَلْيَسْتَعْفِفِ الذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ...﴾(٢)

وروى الشيخان بسنديهما عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شبابا لا نجد شيئا، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء".(٣)

---

(١) سورة النور ، آيتان ٣٠،٣١

(٢) سورة النور، آيتان ٣٢،٣٣

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، وباب قول النبي صلى الله عليه وسلم"من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج" وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح؟ ١١٧/٦،وكتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة ٢٢٨/٢، وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه اليه ووجد مؤنة ١٠١٨/٢، وانظر: سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب التحريض على النكاح ٢١٩/٢، وسنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب ما جاء في فضل النكاح ٥٩٢/١، وسنن النسائي، كتاب النكاح، باب الحث على النكاح،٥٦/٦، وسنن الدارمي، كتاب النكاح، باب من كان عنده طول فليتزوج ١٣٢/٢، ومسند الإمام أحمد ٣٧٨/١،٤٢٤،٤٢٥، ٤٣٢، ٤٤٧

وروى الشيخان بسنديهما عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟(١) قال: الحمو الموت"(٢)

ورويا أيضا بسنديهما عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم". فقام رجل فقال: يا رسول الله، امرأتي خرجت حاجة واكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال: "ارجع فحج مع امرأتك"(٣)

وللمرأة حق اختيار زوجها وليس لوليها أن يجبرها على زواج رجل بدون رضاها؛ بل تستأذن في ذلك، وإذا زوجها بدون رضاها يرد نكاحها، فليس للمرأة أن تزوج نفسها لرجل بدون انكاح الولي لها مع شهود شاهدين.

روى البخاري بسنده عن أبي سلمة أن أبا هريرة حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن"، قالوا: يا رسول الله، كيف اذنها؟ قال: "أن تسكت"(٤)

---

(١) قال الإمام النووي: "والمراد بالحمو هنا أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه، فأما الآباء والأبناء فمحارم لزوجته تجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت وانما المراد الأخ وابن الأخ والعم وابنه ونحوهم ممن ليس بمحرم" (شرح مسلم ١٤/١٥٤)

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة ٦/١٥٩، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها ٤/١٧١١، وانظر: سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات ٣/٤٧٤، ومسند الإمام أحمد ٤/١٤٩،١٥٣

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم ٦/١٥٩، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب سفر المرأة إلى الحج وغيره ٢/٩٧٨

(٤) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها ٦/١٣٥، وانظر: صحيح مسلم كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت ٢/١٠٣٦-١٠٣٧، وسنن الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في استئمار البكر والثيب ٣/٤١٥، وسنن أبي داود، كتاب النكاح، باب في الاستئمار ٢/٢٣١، وسنن النسائي، كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في نفسها ٦/٧٠، وسنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب استئمار البكر والثيب ١/٦٠١، ومسند الإمام أحمد ١/٢٤٢، ٢/٢٥٠،٢٥٩،٢٧٩،٤٢٥،٤٣٤،٤٧٥، ٦/٤٥،١٦٥،٢٠٣

وروى بسنده عن خنساء بنت خذام الأنصارية أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحه.(١)

وروى الترمذي بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له"(٢)

واعتبر في النكاح التكافؤ بين الزوجين ويفضل الدين على المال والجمال والحسب وغيرذلك من الأمور التي تكون حوافز في اختيار الزوج لكي تدوم العشرة بينهما وتكون الحياة سعيدة مرضية كما سبق (٣)

وجعل المهر في الزواج حقا للمرأة، فلا بد من بذله لها حتى وإن لم يوجد عينا فبتعليم شيء من القرآن الكريم على الأقل.

قال تعالى:

﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾(٤)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب إذا زوج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود ١٣٥/٦ ، وانظر: سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب في الثيب ٢٣٣/٢، وسنن النسائي، كتاب النكاح، باب الثيب يزوجها أبوها وهي كارهة٧١/٦، وسنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب من زوج ابنته وهي كارهة ٦٠٦/١

(٢) سنن الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء لا نكاح إلا بولي ٤٠٨/٣، وسنن أبي داود، كتاب النكاح، باب في الولي ٢٢٩/٢، وسنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي ٦٠٥/١، ومسند الإمام أحمد ٢٥٠/١،٦/٤٧،٦٦،١٦١،١٦٦،٢٦٠

(٣) راجع ص ١٨٥-١٨٧

(٤) سورة النساء، آية ٤

وروى البخاري بسنده عن سهل بن سعد الساعدي يقول: اني لفي القوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قامت امرأة فقالت: يا رسول الله إنها قد وهبت نفسها لك، فر فيها رأيك، فلم يجبها شيئا. ثم قامت فقالت: يا رسول الله انها قد وهبت نفسها لك، فر فيها رأيك. فلم يجبها شيئا. ثم قامت الثالثة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لك، فر فيها رأيك. فقام رجل فقال: يا رسول الله، أنكحنيها. قال:" هل عندك من شيء؟ قال: لا. قال: اذهب فاطلب ولو خاتما من حديد. فذهب وطلب، ثم جاء فقال: ما وجدت شيئا، ولا خاتما من حديد. قال: هل معك من القرآن شيئ؟ قال: معي سورة كذا وسورة كذا. قال: اذهب فقد أنكحتكها بما معك من القرآن"(١)

والزواج رابطة قوية تربط الرجل بزوجته بالمودة والرحمة وحسن المعاشرة؛ ويتعاونان معا في بناء الأسرة والمجتمع بالجد والاخلاص ويتقاسمان المسؤوليات من النفقة ورعاية الأسرة وتربية الأولاد وغير ذلك : فيتحمل الرجل النفقة ورعاية الأسرة وغير ذلك، وتتحمل المرأة رعاية البيت وتربية الأولاد ونحو ذلك. وعلى هذا لم تكن المرأة أمة لزوجها ولا محكوما عليها ولا خادمة محضة في بيته، بل لها القيام بهذه الأمور بحرية تامة وتصرف ذاتي بما فيه مصلحة الأسرة وارتقاؤها مع معاونة زوجها ومشاورته؛ حيث هما قرينان في اليسر والعسر والحسن والسوء.

قال تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب التزويج على القرآن وبغير صداق ١٣٨/٦، وباب تزويج المعسر لقوله تعالى:(ان يكونوا فقراء يغنهم الله) ١٢١/٦، وباب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ١٢٩/٦، وباب النظر إلى المرأة قبل التزويج ١٣١/٦، وباب إذا كان الولي هو الخاطب ١٣٤/٦، وباب السلطان ولي لقول النبي صلى الله عليه وسلم: زوجناكها بما معك من القرآن ١٣٥/٦، وباب إذا قال الخاطب للولي زوجني فلانة ١٣٦/٦، وكتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ١٠٨/٣، وباب القراءة عن ظهر القلب ١٠٩/٣،وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم من حديد وغير ذلك من قليل وكثير ١٠٤٠/٢، وسنن الترمذي، كتاب النكاح، باب في مهور النساء، ٤٢١/٣-٤٢٢، وسنن أبي داود، كتاب النكاح، باب في التزويج على العمل يعمل ٢٣٦/٢، وسنن النسائي، كتاب النكاح، باب ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في النكاح وأزواجه ٤٥/٦، وباب الكلام الذي ينعقد به النكاح ٧٦/٦، وباب التزويج على سور من القرآن ٩٢/٦،٩٣، وباب هبة المرأة نفسها لرجل بغير صداق ١٠٠/٦، وسنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب صداق النساء ٦٠٨/١

(٢) سورة الروم، آية ٢١

جاء في لسان العرب: "الزوج الفرد الذي له قرينه، وزوج المرأة بعلها وزوج الرجل امرأته"(١)

وروى الإمام البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"(٢)

ومن تنظيم الإسلام لشؤون الأسرة أن جعل القوامة للرجل لسبب فضله على المرأة باستعدادات وخصائص جسمية ونفسية من كمال العقل والتمييز وكمال الدين والطاعة في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على العموم ولسبب بذله لها من المال من الصداق والنفقة.(٣)

قال تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الذِي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾(٤)

وقال تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾(٥)

---

(١) لسان العرب، مادة زوج، ٢٩١/٢

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها ١٥٢/٦، وباب قوا أنفسكم وأهليكم نارا ١٤٦/٦، وانظر: عنده، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن ٢١٥/١، وكتاب الاستقراض، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا باذنه ٨٨/٣، وكتاب الوصايا، باب تأويل قول الله تعالى (من بعد وصية توصون بها أودين) ١٨٩/٣، وكتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، وباب العبد راع في مال سيده ١٢٥/٣، وكتاب الأحكام، باب قول الله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ١٠٤/٨، وصحيح مسلم، كتاب الامارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن ادخال المشقة عليهم، ١٤٥٩/٣ سنن أبي داود، كتاب الامارة، باب ما يلزم الإمام من حق الرعية ١٣٠/٣، وباب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية١٣٥/٣، وسنن الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الإمام ٢٠٨/٤، ومسند الإمام أحمد ٥/٢،٥٤،٥٥،١٠٨،١١١،١٢١

(٣) انظر: أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ٤١٦/١

(٤) سورة البقرة، آية ٢٢٨

(٥) سورة النساء، آية ٣٤

قال ابن العربي:

"قوله (قوامون): يقال قوام وقيم وهو فعال وفيعل من قام، المعنى هو أمين عليها يتولى أمرها ويصلحها في حالها، قاله ابن عباس، وعليها له الطاعة".(١)

وقال: "الزوجان مشتركان في الحقوق، كما قدمنا في سورة البقرة (وللرجال عليهن درجة) بفضل القوامية، فعليه أن يبذل المهر والنفقة ويحسن العشرة ويحجبها ويأمرها بطاعة الله، وينهى اليها شعائر الإسلام من صلاة وصيام إذا وجبا على المسلمين، وعليها الحفظ لماله والإحسان إلى أهله والالتزام لأمره في الحجبة وغيرها إلا باذنه وقبول قوله في الطاعات". (٢)

ولا يجب على المرأة المسلمة أن تتجرع الحياة مع زوجها إن كانت مرة، تخدمه طول حياته وتخدم أحماءه وأقرباءه بعد مماته دون أن تخلع ربقة الزواج من عنقها كما تقضيه البرهمية على المرأة؛ بل أعطيت حق فسخ النكاح وحق الخلع بعوض إذا كرهت الحياة مع زوجها أو خافت ضررا في نفسها أو دينها؛ لأن الله لا يرضى بالضيم.

فلها حق فسخ النكاح إذا كان بالزوج عيب من مرض كالجذام أو البرص أو الجنون أو غير ذلك، أو إذا كرهت زوجها لخلقه أو دينه أو كبره أو ضعفه أو نحو ذلك وخشيت أن لا تؤدي حق الله في طاعته، فحينئذ جاز لها أن تخالعه بعوض تفتدي به نفسها منه لقول الله تعالى:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾(٣)(٤)

---

(١) أحكام القرآن ٤١٥/١

(٢) المصدر السابق ٤١٦/١

(٣) سورة البقرة، آية ٢٢٩

(٤) انظر:المغني ٥١/٧، وزاد المعاد ٣٤/٤

وروى الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس اني ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتردين عليه حديقته"؟ قالت: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقبل الحديقة وطلقها تطليقة واحدة"(١)

وتزول الزوجية عن المرأة من الرجل الذي طلقها أو توفي عنها بانقضاء العدة المحددة لها، والعدة انما شرعت لبراءة الرحم، ويحل لها أن تتزوج برجل آخر، بل الإسلام يحض على نكاح المرأة بكرا كانت أو ثيبا أو أرملة لكي يتحقق صلاح الأمة وعفافها وطهارتها كما تقدم.

وقد كانت المرأة البرهمية تهتم باحراق جسمها في موقد جثمان زوجها تفاديا للذلة والمهانة التي سوف تواجهها فيما بعد، وكان هذا تقليدا محترما فاشيا بين الطبقات العليا عرف ب"ستي" واستمر إلى العصر الحديث رغم نداءات المصلحين فيهم إلى أن أتى الانجليز بحكم يقضي عليه بالقوة في أواخر القرن التاسع عشر،(٢) إلا أنهم لا يزالون يحترمونه ويحاولزن احياءه.(٣)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب الخلع وكيف الطلاق فيه ١٧٠/٦، وانظر: سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب في الخلع ٣٤٨/١، وسنن ابن ماجة، كتاب الطلاق، باب المختلعة تأخذ ما أعطاها ٦٦٣/١، وسنن النسائي، كتاب الطلاق، باب ما جاء في الخلع ١٣٨/٦، ومسند الإمام أحمد ٣/٤

(٢) انظر: الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية ص ٥٣

(٣) وقد حدث أمر من نوعه في سبتمبر عام ١٩٨٧م في قرية (ديورالا) من ولاية راجستان،اذ أحرقت امرأة تسمى (روب كنوار) نفسها، جلست في الموقد قبل اشتعاله واضعة رأس الجثمان في مهدها، أمام جمع من أقربائهما ورجال الدين وغيرهم، حتى إذا اشتدت النار خرجت منها هاربة، لكن رجال الدين ردوها إلى الموقد حتى احترقت تماما. وأصبح الناس يقدسونها ويعظمون مكان احتراقها حتى جعلوه مزارا مقدسا ومعبدا باسمها.

ميراث المرأة

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾(١)

يبين الله تعالى في الآية الكريمة ثبوت استحقاق الميراث على وجه العموم للرجال والنساء، فتأخذ المرأة نصيبها من أموال التركة على القاعدة العامة التي بينها الله تبارك وتعالى بقوله: (لِلذكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ)(٢) ؛ ولا تحرم من حقها المقرر شرعا كما كانت تحرم في البرهمية واليهودية وغيرهما؛(٣) حيث لا يحرم من الميراث أحد ممن لهم علاقة بالميت بالنسب أو النكاح أو الولاء حسب تنصيب الشريعة لهم ذكورا أم إناثا. (٤)

وليس هناك أي إجحاف بحق المرأة في الميراث إذ تأخذ نصف نصيب الرجل؛ حيث هو قائم على أنها لا تتحمل أي عبء اقتصادي سواء أكانت بنتا أم زوجا أم أما؛ بل الأعباء الاقتصادية كلها على الرجل.(٥)

وإليك شرحا موجزا لميراث المرأة في الشريعة الإسلامية:

---

(١) سورة النساء، آية ٧

(٢) سورة النساء، آية ١١\

(٣) كان اليهود لا يورثون البنت كما كانت الخال عند أهل الجاهلية (انظر : رسائل الجزائري ص٤٣٠)

(٤) راجع مبحث الطبقية في الاقتصاد – ص٢٢٠

(٥) راجع ص٢٢٠

ا – ميراث البنت:

تأخذ البنت نصف نصيب أخيها من التركة في حالة وجود الأبناء مع البنات لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَـٰدِكُمْ لِلذكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾(١)

وفي حالة عدم وجود الأبناء الذكور فللبنت الواحدة النصف ، ولا خلاف في هذا بين علماء المسلمين لقول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾(٢)

وإذا كانت البنات اثنتين أو أكثر فلهن الثلثان من جميع التركة.

قال الإمام ابن قدامة :

"أجمع أهل العلم على أن فرض الابنتين الثلثان إلا رواية شاذة عن ابن عباس أن فرضهما النصف لقول الله تعالى : ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾(٣) فمفهومه أن ما دون الثلاث ليس لهما الثلثان والصحيح قول الجماعة... فأما الثلاث من البنات فما زاد فلا خلاف في أن فرضهن الثلثان وأنه ثابت بقول الله تعالى : (فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ)"(٤)

وبنات الابن بمنزلة البنات عند عدمهن في إرثهن وحجبهن لمن يحجبه البنات.(٥)

---

(١)و(٢) و(٣) سورة النساء، آية ١١

(٤) المغني ١٧٠/٦

(٥) المصدر السابق ١٦٩/٦

ب – ميراث الأم

إن للأم ثلاث حالات :

(الأولى) ترث الأم في هذه الحالة الثلث بشرطين: أحدهما: عدم الولد وولد الابن من الذكور والإناث، والثاني: عدم الجمع من الاخوة من أي الجهات كانوا ذكورا أو إناثا.

(الثانية) ترث في هذه الحالة السدس، إذا لم يجتمع الشرطان؛ بل كان للميت ولد أو ولد ابن أو اثنان من الإخوة والأخوات في قول جمهور الفقهاء.

(الثالثة) إذا كان زوج وأبوان أو امرأة وأبوان فللأم ثلث الباقي بعد فرض الزوجين.(١)

ج – ميراث الزوجة

ترث الزوجة الربع مع عدم ولد الزوج وولد ابنه، والثمن مع الولد أو ولد الابن الواحد والأربع سواء باجماع أهل العلم.

والأصل فيه قوله تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ**﴾الآية(٢)(٣)

د – ميراث الأخت

تقوم الأخت مقام البنت إن لم يكن للميت ولد ذكر أو أنثى، ولا ولد ابن ولا أب، في هذه الحالة ترث نصف التركة إن كانت واحدة، والثلثين إذا كن اثنتين أو أكثر.

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ**﴾ الآية(٤)(٥)

---

(١) انظر: المغني ١٧٦/٦،١٧٧

(٢) سورة النساء، آية ١٢

(٣) انظر: المغني ١٧٨/٦

(٤) سورة النساء، آية ١٧٦

(٥) انظر: المغني ١٦٦/٦

وبهذا البيان الموجز لبعض قضية المرأة في الإسلام يتبين لنا أن المرأة المسلمة أعطيت في الشريعة الإسلامية كرامتها الفطرية وحقوقها الاجتماعية في جميع شؤونها، فلم تمنع من حق مادي أو معنوي من مال أو علم أو حسن معاملة يعينها على توفير السعادة في الدنيا والآخرة؛ في وقت أنها تحرم من حقوقها كليا أو جزئيا في المجتمعات الأخرى.

الفصل الرابع

أثر الإسلام والمسلمين في المجتمع البرهمي

* تأثير العقيدة الإسلامية في الفكرة الهندية .

* أثر الإسلام في الأمور الإجتماعية .

الفصل الرابع

أثر الإسلام والمسلمين في المجتمع البرهمي

دخل الإسلام شبه الجزيرة الهندية في القرن الأول الهجري، وهو القرن الثامن الميلادي، حينما دخل الفاتح محمد بن القاسم الثقفي بلاد السند على الشواطيء الغربية الشمالية لبحر العرب في نحو عام ٩٢ هـ ، (١) وحينما دخل التجار العرب المسلمون من شواطيء البحر العربي الجنوبية جاءوا بنور الإسلام إلى البلاد الهندية ودعوا أهلها اليه، فتنورت الهند بنوره ودخل إلى دين الله أناس كثيرون. ولكن كان نفوذ هؤلاء منحصرا في مقاطعة السند وما جاورها في الشمال وفي منطقة مليبار وضواحيها في الجنوب. أما أعماق البلاد الهندية فلم تسعد بنور الإسلام إلا بعد ما امتلكها الفاتح محمود الغزنوي وأخلافه بعد سنة ٣٩٢هـ، ثم تابع الملوك المسلمون من الترك والأفغان والمغول وغيرهم فتوحهم للهند حتى استمر حكم المسلمين فيها قرابة ثمانية قرون.(٢)

وقد استطاع هؤلاء الدعاة والفاتحون من العرب وغيرهم أن ينقلوا الدين الإسلامي إلى أهل الهند فدخل في الإسلام خلق كثير وخاصة من الطبقات الوضيعة والمنبوذة حتى ارتفعت نسبتهم إلى خمس سكان الهند.(٣)

وقد ساعد على كثرة اعتناق الناس لهذا الدين عوامل دينية واجتماعية هناك؛ منها:

ا - انتشار الشرك والوثنية بكثرة الآلهة والأصنام؛ وقد كان كل شيء معجب إلها يعبد وتنصب له تماثيل حتى بلغ عدد الآلهة ٣٣٠ مليونا على حد قولهم.

ب - نفوذ النظام الطبقي الجائر وطغيان الطبقات العليا حيث حرمت الطبقات السافلة من حقوقها الإنسانية.

---

(١) انظر: فتوح البلدان لأحمد بن يحيى البلاذري ص٦١٢-٦١٨

(٢) انظر لتفصيل حكم المسلمين في الهند: تعليق الأمير شكيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامي لمؤلفه لوثروب ستوادارد، تعريب عجاج نويهض ٣٢٤/٢-٣٤٨

(٣) انظر: المصدر السابق ١٩٨/٢

ج - نزعة أهل الهند الدينية؛ فقد كانوا يعتقدون بالألوهية والحساب والجزاء لعمل الإنسان في الدنيا، إلا أنها حرفت عن معناها الصحيح.

د - كون الإسلام دينا فطريا يخاطب العقل السليم والنفس السوية، فعندما وصلت مبادىء الإسلام الفطرية وأحكامه السمحة إلى أذهانهم سارعوا إلى اعتناقه طوع الخاطر.(١)

وانتشرت مراكز الثقافة الإسلامية واللغة العربية وآدابها التي لا تزال تساهم في نشر الدعوة الإسلامية؛ كما أثرت اللغة العربية في اللغات الهندية وآدابها حتى نشأت لغة جديدة مشتركة باسم "أردو"؛ وانتشر التأليف في فنون اللغات وفروع العلوم الإسلامية؛ وازدادت الكتب والمكتبات. وقد اشتهر عدد كبير من العلماء المسلمين الهنود الذين قاموا بالتأليف ونشر العلوم الإسلامية في فترات مختلفة من التاريخ.(٢)

وكذلك انتشرت معالم الحضارة والفنون الإسلامية المتمثلة في القلاع والمنارات والمساجد والمباني الأخرى التي تمتاز بالدقة والجمال والمتانة. والذي يعنينا في هذا المبحث هو ما أحدثه الإسلام والمسلمون من تأثيرات في المجتمع البرهمي من النواحي الفكرية والعقدية والاجتماعة.

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص٣١٦-٣٢٤

(٢) راجع كتاب نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للعلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسيني، وهو كتاب يتضمن على تراجم علماء الهند وأعيانها من القرن الأول إلى القرن السابع الهجري

أحوال المسلمين في الهند الحالية

كانت شبه القارة الهندية أكبر دول العالم من حيث عدد المسلمين، ولما قام تقسيم الهند إلى دولتين - الهند وباكستان - عام ١٩٤٧ م صارت الهند ذات أقلية مسلمة يقدر عدد المسلمين فيها حوالي مائة مليون نسمة بنسبة ١١،٣٥٪ من جميع السكان (١) وتعتبر ثانية دول العالم في عدد المسلمين بعد إندونيسيا ، غير أن هذا العدد الهائل من التجمع البشري فقد نفوذه في المجتمع الهندي لعدة أسباب من أهمها :

١ - الاختلاف والتشتت : فقد توزع المسلمون في أحزاب سياسية متعددة مغترين بوعودها البراقة الكاذبة في تحسين أحوالهم حتى انضم بعضهم إلى أحزاب هندوسية متعصبة نابذين وراء ظهورهم كل المبادئ الإسلامية . ونرى أحيانا تزول هذه الفرقة مؤقتا عندما تحدث كوارث جسيمة مثل كارثة هدم المسجد البابري التي حدثت في الآونة الأخيرة ، ويجتمعون تحت قيادة متحدة من الأحزاب المختلفة ، ولكن سرعان ما يعود كل منهم إلى عرينه إذا خمدت المشاعر الجياشة . وأعداء الإسلام يخططون لإيجاد الخلافات وتشديدها بين جماعات وأحزاب المسلمين كي لا يعود لهم نفوذ ولا قوة .

٢- التخلف الاقتصادي والاجتماعي والعلمي وغير ذلك : وذلك أن المسلمين في الهند ضحايا مؤامرة هندوسية مدروسة منذ عشرات السنين ، فقد خطط الأعداء لإضعاف المسلمين ماديا ، وحرموهم من الوظائف العالية في الدولة – إلا شيئا يسيرا يعلنون عنه لإخفاء الحقيقة المرة - ووضعوا عقبات عديدة أمام حصول المسلمين على وظائف مرموقة في القطاع العام والخاص . ولما وجدوا بعض المسلمين نجحوا في تطوير صناعات خاصة مثل النسيج وغيره دبروا اضطرابات طائفية ضدهم في تلك المناطق لينهبوا أموالهم ويسيطروا على مصادر قوتهم ، وهذه الظاهرة تتكرر في الهند - وخاصة في الشمال منها - حينا بعد حين لإضعاف قوة المسلمين . وقد لعب التخلف الاقتصادي دورا بارزا في تخلف المسلمين علميا حتى خمدت في نفوسهم رغبة التعلم ، فوجدت هناك مدارس مهجورة في بعض مناطق المسلمين لا يأتي إليها طلاب يدرسون فيها . وصار التخلف العلمي عقبة كبيرة في طريق المسلمين الذين حاولوا النهوض بأمتهم ماديا ، والأخطر من ذلك أن الجهل بالإسلام وحضارته جعلهم قوما لا يتميزون عن غيرهم إلا بالأسماء – إذا بقيت غير

---

(١) هذا حسب الإحصائيات الرسمية ، أما الواقع فهو أكثر من ذلك حيث يبلغ عددهم مائة وخمسين مليون نسمة تقريبا، وتحاول الإحصائيات الرسمية تقليل هذا العدد لأغراض سياسية .

محرفة ـ ، وذابت شخصيتهم في المجتمع الهندي ، إلا المتدينين منهم ، وهم منهمكون في البدع والخرافات وتقديس الأولياء والأضرحة والمزارات .

٣ – الخوف من الأغلبية : لا شك أن قوما بهذه الحالة وهذه الصفات سيكونون عرضة للإبادة والسحق ، ويغلبهم الخوف من الأغلبية والجبن والإحجام عن مقاومة التحديات ، فلا يجترئون على المطالبة بحقوقهم وتحسين أحوالهم ، فصاروا متمشين وراء ساداتهم من الكفار وراقصين حسب إشاراتهم وآلات لتحقيق مطامعهم ، ويخافون من أن الأغلبية تعرضهم للعذاب إذا ساروا خلاف ذلك .

وإن كان هذا حال المسلمين فهناك وجه مشرق لأحوالهم من ناحية أخرى ، فقد انتبه لهذه الكارثة التي أصابت الأمة المسلمة منذ عشرات السنين عدد من المصلحين وبذلوا كل جهودهم لإصلاح أحوال أمتهم وإرجاعها إلى وعيها وفكرها وفهمها لدين ها وحضارتها، وشكلوا لذلك جماعات ومنظمات ليعملوا بانتظام حتى يتحقق هذا الغرض . ولا زالت بعضها تعمل إلى الآن بانتظام واستمرار في ميادين مختلفة حسب تصورها وفهمها للدين وأساليب الدعوة إليه وأولوياتها وظهرت ثمارها لصالح الإسلام والمسلمين . ومن هذه الجماعات العاملة الجماعات التالية "وسأذكرها لا على سبيل تقويم منهجها تفصيليا ولكن من حيث وجودها وأثرها " : ـ

١ – جماعة أهل الحديث ، ويسمون أنفسهم بالسلفيين تمشيا مع التسمية المشهورة في البلاد العربية ، كرست هذه الجماعة كل ما في وسعها وإمكانيتها لمحاربة الشرك والبدع والخرافات ، وعقدت لذلك اجتماعات للوعظ والإرشاد بين المسلمين ، كما ألفت كتبا لبيان الأمور الدينية في اللغة الأردية وغيرها ، ونشرت مجلات وكتيبات توضح العقيدة الصحيحة . وكان لهذا العمل الأثر الطيب في إعادة بعض المسلمين إلى وعيهم وتمسكهم بالعقيدة الصحيحة .

٢ – جمعية علماء الهند : كانت مهمة هذه الجماعة الاهتمام بالوضع السياسي للمسلمين ، فقد وجدوا أن المسلمين في الهند بعد تقسيم الهند إلى دولتي الهند وباكستان صاروا عرضة للانتقاد الشديد من قبل المتعصبين الهندوس ووجدوا أن الحل السريع لهذه الأزمة أن ينضم المسلمون تحت راية حزب المؤتمر الوطني الحاكم ، فزاولوا التآلف معه.

٤ – رابطة مسلمي الهند: وقد اعترض عدد كبير من زعماء المسلمين على سياسة جمعية علماء الهند حيث إن حزب المؤتمر حزب اشتراكي يعارض الدين الإسلامي ، فلا يجوز التعامل معهم . ونجح هؤلاء في تشكيل حزب رابطة مسلمي الهند ليكون امتدادا لحزب رابطة المسلمين الذي ساهم في تقسيم الهند إلى دولتين . ولكن هذا الحزب الجديد أيضا اضطر لقبول الاشتراكية مبدأ أساسيا له عندما اتهم بالطائفية التي تعتبر سببا لحل الأحزاب ، وبدأ يتعاون مع الأحزاب الأخرى في تشكيل الحكومة وتحقيق الاشتراكية والعلمانية .

٣ – جماعة التبليغ : أسست هذه الجماعة لإعادة المسلمين إلى دينهم شكلا، وبذل أتباعها جهودا كبيرة في توعية المسلمين وتقوية تمسكهم بأحكام الدين ، وبالغوا في بيان فضائل الأعمال واستدلوا على ذلك بأحاديث وآثار في هذا الباب دون نظر إلى صحتها أو ضعفها لجلب الناس إلى التمسك بدينهم.

٤ – الجماعة الإسلامية بالهند : تبلورت فكرة تأسيس هذه الجماعة بعد مناقشة لمشاكل المسلمين شاملة في مجلة ترجمان القرآن لفترة طويلة أمسك زمامها المفكر الإسلامي الراحل السيد أبو الأعلى المودودي واشترك فيها عدد كبير من العلماء والمفكرين .وأدت هذه المناقشة أخيرا إلى تشكيل الجماعة لتمثل الإسلام على حقيقته في جميع جوانب الحياة بدءا بالعقيدة وانتهاء بتحكيم شريعة الله في حياة الفرد والمجتمع بجميع تفاصيلها حيث إن العودة إلى الدين الصحيح والتمسك بشريعته كفيل لحل جميع مشاكل الأمة . وبعد تقسيم الهند استقلت الجماعة الإسلامية بالهند عن جزئها في باكستان تعمل في إطار دولة الهند دون أن تفقد شخصيتها الإسلامية ، في مجال إصلاح حال المسلمين ، ومجال دعوة غير المسلمين إلى الإسلام .

وتتحالف هذه الجماعات وغيرها أحيانا وتشكل مجالس اتحاد وتحالف لمواجهة أخطار كبيرة تقع ضد المسلمين سواء من الحكومات أو من الأحزاب المعادية للإسلام يشترك فيها زعماء المسلمين من مختلف الجماعات، مع ما يعتري هذا التحالف من ضعف وتنازع وغيرهما، لكنه مع ذلك يأتي بنتائج طيبة في إصلاح أحوال المسلمين.ومن هذه المجالس :

أ – مجلس القوانين الشخصية الإسلامية لعموم الهند ، تقوم لحماية القوانين المدنية الإسلامية التي ينص عليها دستور الهند للمسلمين من اعتداءات الحكام والأحزاب المعادية للإسلام ، تأسس عام ١٩٧٢م ، ويرأسه حاليا الشيخ أبو الحسن علي الحسن الندوي ، الشخصية المعروفة.

ب – مجلس المشاورة لمسلمي الهند ، تأسس عام ١٩٦٤ م ، ويشمل معظم جماعات المسلمين ويهدف إلى إيجاد موقف واحد للمسلمين إزاء قضايا الأمة الإسلامية للمحافظة على حقوقهم .

بارقة أمل : أثبتت تجارب الجماعات الإسلامية التي تعمل في ميادين إصلاح حال المسلمين والدعوة إلى الإسلام أن العمل بالجد والإخلاص والتخطيط الكامل يأتي بنتيجة طيبة ترد إلى المسلمين عزهم وكرامتهم ، كما تذيب عداوة أعداء المسلمين وتجعلهم يقدمون إلى اعتناق الإسلام ، وخاصة من الشعوب البائسة التي عانت ألوانا من الذل والهوان تحت سيطرة الطبقات العليا من البراهمة.(١)

---

(١) انظر: مجلة راديانز الأسبوعية ، (Radiance Viewsweekly) نيو دلهي ،عدد خاص بأحوال مسلمي الهند، ٥-١١ ابريل ١٩٩٢م .

تأثير العقيدة الإسلامية في الفكرة الهندية

دخل الإسلام الهند في وقت كانت الديانة البرهمية والعقائد الشركية والعبادات الوثنية بالغة أوجها؛ وقد وصل عدد الآلهة المعبودة إلى حد لانهاية له حيث أصبح كل شيء رائع جذاب الها يعبد كما سبق، منها أشخاص تاريخية نسجت حولها أساطير بطولية، وحيوانات وجبال وأنهار ومعادن وأجرام فلكية وآلات حرب وكتابة وآلات التناسل وما إلى ذلك من الأشياء التي اتصلت بالأساطير الإلهية بوجه ما. فالديانة البرهمية نسيج من خرافات وأساطير وأناشيد وعقائد وعبادات باطلة.(١)

ومعظم الفاتحين والملوك المسلمين الذين دخل الإسلام على أيديهم إلى أعماق الديار الهندية كانوا حديثي عهد بالاسلام، لم يدينوا بالاسلام إلا في القرن الثالث أو الرابع الهجري حين ظهرت أمارات الفتور والانحطاط في العواصم الإسلامية، ولم يكن عندهم علم تام بمزايا الإسلام وعقائده وأحكامه وبمباديء الدعوة الإسلامية، ولم يعتنوا بنشر المباديء الإسلامية وتعليم وتثقيف الذين أسلموا من سكان البلاد من تلقاء أنفسهم مثل ما اعتنوا بمصالحهم الدنيوية، بل كان من أهم أهدافهم من الغزو والقتال الحكم وتوطيد دعائم ممالكهم واستخدام خيرات البلاد لمصالحهم. ولهذا نرى أن تأثير الإسلام في المجتمع الهندي من الناحية العقدية في هذه المناطق كان ضئيلا جدا.(٢)

أما في شواطيء البحر العربي الجنوبية حيث نزل الدعاة المسلمون ونشروا مباديء الإسلام مع الاختلاط بالسكان كان تأثير الإسلام فيها في العقائد والأخلاق أوضح منه في المناطق الأخرى. فاعتنق كثير من أهلها الإسلام وتأثرت العقائد الهندوسية بكثير من مباديء الإسلام من التوحيد والعبادة المخلصة والاستسلام التام وغير ذلك؛ وبدأت ظاهرة الاصلاح في المباديء البرهمية تظهر حتى أخذ الهندوس يغيرونها شيئا فشيئا.

---

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٥٦

(٢) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند لمسعود عالم الندوي ص٣-٥

والخصائص التي بدت في الفكر الهندوسي في جنوب الهند بعد القرن التاسع توضح تأثير الإسلام في العقيدة البرهمية؛ ومن هذه الخصائص التأكيد في وحدانية الإله، والعبادة القائمة على الحب والعاطفة، والاستسلام التام للدين، واحترام المعلم أو الإمام، والاعراض عن مظاهر العبادة، واللطف في لزوم الطبقية وغير ذلك.(١)

ويتضح أثر الإسلام في العقيدة البرهمية في ظهور كثير من العلماء الهنادكة الذين قاموا باقتباس كثير من مبادىء الإسلام ومزجها بمبادىء البرهمية لينشأ منها دين جديد على أساس وحدانية الإله؛ والذين قاموا بالاصلاح ودعوا إلى وحدة المعبود - دعا بعضهم إلى عبادة وشنو وحده، وبعضهم إلى عبادة شوا وحده.

شنكارا وفلسفة "أدويتا"

وأول من قام بالاصلاح في العقيدة البرهمية هو شنكارا(٢) المولود في ٧٨٦م الذي دعا إلى الوحدانية المطلقة أو وحدة الوجود وأنكر التثنية للخالق وثار على الوثنية البرهمية. ادعى أن الإله واحد لا اله غيره وهو الحق وما سواه باطل لا وجود له؛ وهو العقل المحض والذات المحض، مجرد عن الصفات والخصائص؛ لا يفكر ولا يعلم بل هو العلم والفكر؛ والكون كله باطل؛ وتعدد الأشخاص ظاهري وهم في الحقيقة واحد؛ وذات الإنسان نفس ذات الإله وشخصيته باطلة وحقيقته هي البرهما.(٣) وسميت هذه الفلسفة "أدويتا" أي وحدة الوجود وانتفاء التثنية.

---

(١) انظر: Influence of Islam on Indian Culture By Dr Tarachand (تأثير الإسلام على الثقافة الهندية لمؤلفه د/ تاراجند) ص١١٢

(٢) ولد شانكرا (Shankara) في قرية "كالادي" في مقاطعة كيرالا، جنوب الهند، أكمل دراسته للويدات في سنه الثامنة ودخل مرحلة سنياسا باذن أمه وبدأ يرتحل إلى نواحي الدنيا، وفسر جيتا والأبنشادات وغيرها من الكتب الدينية وألف كتبا كثيرة في العقائد وسائر الأمور الدينية، ومات في عمره الثاني والثلاثين. (الهندوسية ديانة وفلسفة ص٤٢)

(٣) انظر: الفلسفة الإسلامية، تأليف عدد من العلماء المسلمين (في اللغة المليبارية) ص٩٣٤

وجاء بعده رامانجا المولود في ١٠١٦م في مقاطعة ميسور ودعا إلى الخضوع والاستسلام العملي؛ وجاء بمبدأ جديد في وحدة الوجود وادعى أن الإله متصف بالصفات والخصائص خلافا لشنكارا؛ وأن البراهما هو الحق المطلق، والكون والروح كلاهما حق كذلك، ولكنهما جزء للاله والإله روحهما، وهو سالم من النقص ومتصف بصفات الكمال العديدة المنقطعة التماثل، وله القدرة المطلقة لإنجاز مشيئته ورغبته، وهو الخالق والمربي والمميت؛ ولا يخلق من العدم شيئا لأن ذلك مستحيل ولكن خلقه تغيير الشيء من حال إلى حال، هو تطوير الحالة السببية إلى الحالة المسببية.(١)

حركة بهاكتي (٢)

أول من مثل هذه الحركة في جنوب الهند في القرن الحادي عشر الميلادي رامانجا، وتابعه كثير من العلماء المصلحين منهم رامانندا وكبير(٣) اللذان دعيا إلى هذه الحركة في شمال الهند. وخلاصة هذه الحركة هي أن النفس تلحق بالإله عن طريق الحب والتفاني، وتطهر بالعمل والتضحي ويقودها العلم وتركيز الفكر إلى التصور الحقيقي (بهاكتي) ونهاية هذا الطريق هو التحرر والسعادة (موكشا).(٤)

---

(١) المصدر السابق ص٩٣٤

(٢) يعرف بهاكتي (Bhakthi) كضرب من دين الحب والتفاني داخل الهندوسية، وتغير مفهومه مع مجيء الإسلام، وكان من بين المسلمين أيضا من دعي ببهاكتاوي. واشتق بهاكتي من الأصل السنسكريتي (بهاج) الذي يعني التلاوة؛ والمؤرخون أيضا يرون بأن مصطلح بهاكتي كان يستعمل أصلا للقرابين التي كانت تقدم للاله، وأضيفت اليه المعاني العاطفية فيما بعد بكثير، ويستعمل اليوم كمصطلح شامل للعلاقة مع الإله الذي يشعر به الأتباع ربطا عاطفيا.(انظر:مجلة ثقافة الهند، مجلد٤١ عدد٣ سنة١٩٩٠م ص٢٣١)

(٣) ولد رامانندا (Ramananda) في أسرة برهمية في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي وتوفي في أوائل القرن الخامس عشر في براياج (Prayag) في اله آباد من مقاطعة أتار برديش؛ واختلف في تحديد تاريخ مولده ووفاته. دعا إلى حركة بهاكتي في الشمال وعمل دور جسر بين الجنوب والشمال لمبادئها. وكبير (Kabeer) تلميذ رامانندا ولد لامرأة برهمية توفي زوجها عام ١٤٢٥م، وجده رجل مسلم نساج طفلا متروكا في بناريس (أتار برديش) فأخذه ورباه في بيته؛ ولم يستطع هذا الرجل أن يعطيه تعليما صحيحا لفقره فتركه لرغبته، فزاول مهنة مربيه وشب في مدينة بناريس في بيئة هندوسية وأصبح حسن المعرفة في الديانتين بعقله الحاد ورغبته الشديدة في العلم، ثم بدأ يبحث عن مرشد له ويتردد بين العلماء المسلمين والهندوسيين حتى وصل أخيرا إلى رامانندا فلزمه ودعا معه إلى حركة بهاكتي. وكان شاعرا نابغا في اللغة الهندية، وتوفي سنة١٥١٨م. (انظر: Influence of Islam on Indian Culture ص١٤٣-١٦٥)

(٤) انظر: المصدر السابق ص١٠٢

جروناناك والسيخية

واصل الدعوة إلى حركة بهاكتي والاصلاح في المجتمع الهندي رجل اسمه نانـاك (Nanak)المولـود فـي ضلـع كجرانـوالا (Gujranwala) بـالقرب مــن لاهـور ببنجـاب سـنة ١٤٦٩م، وكـان أكثر المصلحيـن تـأثرا بمبـاديء الإسـلام القائمـة علـى التوحيـد والعدالـة الاجتماعية والمحبة والتسامح. وقد سلك الطريقة الصوفية منذ الصغر واتصـل بكثـير مـن علماء الصوفية المسلمين مثل بابا فريد الدين شكركنج والشـيخ شـرف البـانبتي وغيرهمـا؛ وزار الأماكن المقدسة في الهند وجزيـرة سيلان وبـلاد فـارس والجزيـرة العربيـة؛ وقـرأ القرآن، وذهب إلى مكة للحج حتى اعتبره النـاس مـن كبـار الصوفييـن المسـلمين؛ ثـم بـدأ يدعو الناس إلى الاخلاص وحب الإنسانية والتسامح والمحبة والمساواة في المعاملات ونبذ النظام الطبقي والتطهر من الآثام وتوحيد الإلـه. ولقيـت دعوتـه نجاحـا فـي بـلاد البنجـاب وكثر أتباعه وسموا بالسيخ أي المريدين، ثم صار مذهبه دينا جديدا سمي بالسيخية.(١)

رام موهن روي (Ram Mohan Roy) وبرهما سماج (Brahma Samaj)

ولد رام موهن روي في مقاطعـة بنغـال شـمال شـرقي الهنـد سـنة ١٨٢٨م وأسـس برهما سماج أي الجماعة البرهمية لأجل اقامة عقيدة توحيد المعبود، وازالة عادات باطلة واعادة الهندوس إلى الويدية الحقة بدلا من البرهمية التقليدية، ودعا إلى ترك عبادة الأوثان التي لا ينال الرجل بها السعادة ولا تليق إلا بمن يتصف بضعف الارادة وضعف التركيز؛ وكان موهن روي متأثرا بالاسلام وحضارته منذ صباه وعالما باللغتين الفارسية والعربية؛ فوضح هذا التأثر فيما دعا اليه(٢)

---

(١) انظر: Influence of Islam on Indian culture ص ١٦٦-١٧٧، الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهنديـة ٢٨٨-٢٩١، والاسـلام أثـره فـي الحضـارة وفضلـه علـى الإنسـانية لأبـي الحسـن علـي النـدوي ص٢٣-٢٤

(٢) انظر: دائرة المعارف (في المليبارية)١٠/٥٥٤،

ديانندا سراسوتي (Dayananda Saraswati) وآرياسماج (Arya Samaj)

وظهر ديانندا سراسوتي المتوفي سنة ١٨٨٣م في مقاطعة كجرات بدعوته إلى الديانة الويدية الحقة ونبذ الوثنية وما طرأ على الويدية من تغييرات في عقائدها وأنظمتها، وأسس لأجل ذلك "آرياسماج" أي الجماعة الآرية. وقال: إن الكائنات الروحية متغايرة؛ وللروح حرية العمل مع أنها تجازى عليه وجوبا؛ ولا تنال السعادة إلا بعبادة الإله الواحد ولا معبود غيره. وقد تأثر في هذا المبدأ بعقيدة الإسلام.(١)

مع أن هاتين الحركتين قريبتان إلى الإسلام من ناحية عقيدة التوحيد فان عداءهما للاسلام أشد من غيرهما، وذلك لأنهما محاولتان لارجاع أهل الهند إلى الماضي القديم ورفض كل ما جاء إلى الهند من الخارج دون نظر إلى حقيقته.

أما تأثير الإسلام في طائفتي لنجايتا (Lingayats) وسدها (Siddhars) وغيرهما من الطوائف الهندوسية فهو أكثر وضوحا مما قلنا في الطوائف المذكورة. فكان قيام طائفة لنجايتا إلى الظهور في القرن الثاني عشر، وان كانوا يدعون أنهم الشيوية(٢) القديمة؛ وهؤلاء يعتقدون بالإله الواحد، ويسمون إلههم بكلمة العلامة برابهو (Allama Prabhu) بمعنى المعلم المطلق، وهو هادي الأرواح، وتصل ألوهيته إلى الناس عن طريق معلميهم بدء من مؤسسهم باسوا (Basava).

وطائفة سدها أيضا تأثروا بعقيدة الإسلام حيث يعتقدون بوحدانية الإله، ولا يحترمون في ذلك تعاليم الويدات، وأناشيدهم تشبه أناشيد الصوفية في الهند.(٣) فاعتقاد هذه الطوائف في الألوهية يوضح لنا تأثرهم بعقيدة الإسلام إلا أنهم لا يزالون يضمرون الحرب للاسلام والمسلمين.

---

(١) المصدر السابق ٥٥٤/١٠

(٢) هي الطائفة التي تعبد الإله شوا وتجعله اله الآلهة.

(٣) انظر: الفلسفة الإسلامية ص١٢٨-١٢٩

وخلاصة القول إن عقيدة الإسلام أثرت كثيرا في العقيدة البرهمية في الهند، وخاصة القسم الجنوبي منها حيث انتشرت فكرة عبادة الإله الواحد في العصور الوسطى؛ وهذا الإله الواحد يكون شوا عند بعضهم والبراهما عند بعض ووشنو عند بعضهم الآخر. واعتقدوا أن الإله قوة منفردة رغم اختلاف تصورهم في ذاته وخلقه وعلاقته بالبشر؛ وكانت علاقة البشر بالإله محصورة وضئيلة في أول الأمر، ثم تقوت فأصبحت عاطفية مندفعة فيما بعد؛ وكل هذه التغيرات حدثت بتأثير الإسلام في الفكر الهندي.

وأختتم هذا المقام بقول الباحث الهندي المشهور ك.م. بنكار (K.M.Panikkar): "من الواضح المقرر أن تأثير الإسلام في الديانة الهندوكية كان عميقا في هذا العهد (الاسلامي)، إن فكرة عبادة الله في الهنادك مدينة للاسلام، إن قادة الفكر والدين في هذا العصر وإن سموا آلهتهم بأسماء شتى قد دعوا إلى عبادة الله، وصرحوا بأن الإله واحد، وهو يستحق العبادة، ومنه تطلب النجاة والسعادة؛ وقد ظهر هذا التأثير في الديانات والدعوات التي ظهرت في الهند في العهد الإسلامي كديانة بهاكتي ودعوة كبير داس".(١)

---

(١) A Survey of Indian History ص١٣٢، نقلا عن الإسلام - أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية ص٢٢-٢٣

أثر الإسلام في الأمور الاجتماعية

دخل الإسلام الهند والمجتمع الهندي قد مني بطغيان النظام الطبقي، وافترق أفراده في طبقات وطوائف عديدة، فكانت الكرامة الإنسانية مهدرة والمكانة الاجتماعية العادلة والمعاملة بالحب والتسامح وغير ذلك بعيدة كل البعد عن الطبقات السافلة.

فلما دخل الإسلام الهند بقيمه العليا في المعاملة من المحبة والأخوة والعدل وغير ذلك كانت هي الباعث الأكبر لاسلام كثير من الناس وخاصة من الطبقات الوضيعة؛ فدخلوا فيه أفواجا وانضموا إلى صفوف المسلمين حيث وجدوا هناك المكانة والكرامة والعدالة الاجتماعية؛ وقد كانت منطقة البنغال أشد تأثرا بالاسلام في هذه الناحية.(١)

وقد قرر الزعيم الهندي الراحل جواهر لال نهرو فضل نظام الإسلام الاجتماعي وتأثيره في المجتمع الهندي اذ يقول:

"ان لدخول الغزاة الذين جاءوا من شمال غرب الهند ولدخول الإسلام أهمية كبيرة في تاريخ الهند؛ انه قد فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندوكي؛ انه قد أظهر انقسام الطبقات الراسخ ونفي التماس وابعاد المنبوذين؛ فأثرت في المجتمع نظرية الإسلام في الأخوة والمساواة التي كان المسلمون يتعاملون بها، وخاصة في البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندي أدنى حظ من المساواة والعدل والتمتع بالحقوق الإنسانية فاعتنق كثير منهم الإسلام كان أغلبهم من الطبقات الوضيعة، وخاصة من محافظة البنغال؛(٢) كما نشأت فيهم حركات عديدة تهدف إلى صحوة دينية واصلاح للمفاسد التي أصابت المجتمع الهندوسي".(٣)

---

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام، سير توماس آرنولد، ص٣١١-٣١٥

(٢) مقاطعة تقع في شمال شرقي الهند ، انقسمت إلى جزءين - شرقية وغربية - عند تقسيم الهند إلى باكستان والهند ، وضمت الشرقية إلى باكستان وصارت جزء لها حتى عام ١٩٧١ م تعرف باسم باكستان الشرقية ، واستقلت عن باكستان هذا العام بعد حروب دامية جرت بينها وبين باكستان الغربية تحت قيادة شيخ مجيب الرحمن بمعاونة من الهند ، وعرفت بدولة بنغلا ديش وعاصمتها داكا. ويبلغ عدد سكانها ثمانين مليون نسمة ونسبة المسلمين فيها ٩٥٪ تقريبا . أما البنغال الغربية فبقيت مع الهند ذات أقلية مسلمة يبلغ المسلمون فيها اثني عشر مليون نسمة بنسبة ٢٠٪ تقريبا .

(٣) Discovery of India ص٣١٧-٣١٨

يقول أحد المؤرخين الغرب:

"فجاء الإسلام إلى هؤلاء الفقراء وصيادي السمك والقناصين وحراثي الأرض من أفراد العشائر المنحطة؛ فأعلى منزلتهم ورفع من شأنهم؛ كان الإسلام عقيدة الجنس الحاكم كما كان دعاته ذوي غيرة، حملوا بشارة الوحدانية والمساواة بين الناس إلى الأهالي المحتقرين المنبوذين؛ وقد جعلت هذه الآراء التي أدخلها هؤلاء الدعاة ارتداد الهندوكيين عن هذا الدين الجديد، كما جعلت المهتدي إلى الدين وذريته مؤمنين مخلصين إلى الأبد؛ وبهذه الطريقة استقر الإسلام في أخصب الولايات الهندية ـ مقاطعة البنغال ـ (١) وأغناها، تلك الولاية التي استطاعت أن تسد حاجة السكان الذين بدت كثرتهم في هذه الولاية أشد ما تكون سرعة وازدحاما".(٢)

وكان كل من المصلحين الهندوكيين ممن ذكرنا(٣) قد تأثروا بنظام الإسلام الاجتماعي ودعوا إلى اصلاح في البرهمية بنبذ النظام الطبقي والتعامل بين الناس بالأخوة والتسامح.

ولا يزال الإسلام حافزا قويا وباعثا شديدا لمشاعر الهندوس إلى التفكير في كرامتهم وحقوقهم الإنسانية وسبل نجاتهم من قبضة النظام الطبقي الذي يسومهم ألوان الاهانة والأذى؛ فقام كثير من العلماء والمفكرين من الطبقات السافلة يدعون أتباعهم إلى اعتناق الإسلام الذي يجدون فيه الكرامة الاجتماعية والحب والتسامح والأخوة والعدل دون تمييز عرقي أو لوني.

ففي القرن التاسع عشر أحدث سري ناراين جرو (Sree Narayan Guru)(٤) اصلاحا كبيرا بين المنبوذين والمضطهدين من قبل الطبقات العليا ورفع هتافه في "وحدانية الإله والدين والجنس للبشر" ونجح في اظهار مفاسد النظام الطبقي إلى حد كبير؛ وأحدث أتباعه في الثلاثين من هذا القرن ثورة فكرية بين المنبوذين حول بقائهم في الهندوسية مهانين أو التخلص منها باعتناق ديانات أخرى. فكان اتجاه كثير من مفكريهم الدخول في الإسلام، وأصدروا كتابا في اللغة المحلية باسم "الاسلام خير للمنبوذين" يبين فيه الكتاب محاسن الإسلام وخصائصه في النظام الاجتماعي، وينصحون أتباعهم باعتناقه لكونه السبيل الوحيد للتخلص من الخزي والمهانة الاجتماعية.

---

(١) انظر هامش ص ٣٠٠ رقم ٢

(٢) و.و.هنتر (W.W.Hunter)، نقلا عن الدعوة إلى الإسلام، توماس آرنولد، ص٣١٤

(٣) راجع ص ٢٩٣-٢٩٦

(٤) ولد ناراين جرو سنة ١٨٥٦م في ضلع ترفاندرام، لولاية كيرالا، جنوب الهند، وصار معلما وقديسا لطائفة "ايزاوا" الهندوسية، وحارب النظام الطبقي ومفاسده وحاول جمع الناس في أمة واحدة تحت شعار "اله واحد ودين واحد وجنس واحد".

وحارب الدكتور أمبيدكار(١) النظام الطبقي ليخلص الطبقات السافلة من جوره وأهاب بأتباعه ترك الهندوسية واعتناق دين يجدون فيه الكرامة الإنسانية والعدل الاجتماعي، وكثيرا ما كان يفكر في الدخول في الإسلام مع أتباعه حيث يجد فيه بغيته؛ ولكن تفكيره حداه أخيرا إلى البوذية فدخل فيها مع أتباعه عام ١٩٥٦م.

ونرى تأثير الإسلام واضحا في الأمور الأسرية أيضا، فكانت الأرملة في البرهمية تحرق نفسها في موقد جثمان زوجها وفاء له وتفاديا لما تلاقيه من الذل والهوان في الحياة، اذ لا يجوز لها الزواج مرة ثانية ولا يرعاها أحد من الناس؛ ولا يجوز للرجل طلاق امرأته ولا الزواج من امرأة ثانية؛ وبعد مجيء الإسلام قلت عادة احراق المتوفى عنها زوجها بنفسها، المعروفة ب"ستي" وعادت للأرملة مكانتها وكرامتها في المجتمع وأصبح بامكانها الزواج مرة ثانية؛ واعتبر الطلاق مشروعا، وكان الحكام المسلمون يبذلون جهودا لانهاء العادات السيئة بطرق غير مباشرة لأنهم لم يهدفوا إلى التدخل في شؤون الهنادكة الدينية مباشرة.(٢)

وكانت طائفتا لنجايتا وسدها في جنوب الهند أكثر تأثرا بالاسلام في الأمور الاجتماعية – مثل تأثرهم في العقيدة الإسلامية كما سبق – فرفضوا النظام الطبقي واعتبروا من دخل فيهم من الطوائف المنبوذة سواء كالبرهمي في مكانته وحقوقه، ولم يمنحوا لأحد امتيازات على الآخرين بحكم المولد أو الجنس.

واعتبروا الزواج اختياريا، واذن البنت معتبرا فيه، والزواج المبكر بين الصبيان غير شرعي، والطلاق وزواج الأرملة والمطلقة حلالا؛ وحلت الأرملة محل احترام وتقدير.

يدفن الميت عندهم بدلا من احراقه، ويغسل قبل الدفن، ولا تعمل للميت مراسم تعبدية مثل الشرادها(٣) وغيرها التي يعملها البرهميون. ولا يعتقدون في تناسخ روح الميت.(٤)

---

(١) ولد الدكتور أمبيدكار (Dr B.R.Ambedkar) في بلدة "موو"(Mhow) في مقاطعة مها راشترا سنة ١٨٩١م وأتم دراسته في القانون في جامعات الغرب، وعين عميدا لكلية القانون في بومباي، وانتخب عضوا للبرلمان الهندي من مقاطعة بنغال عام ١٩٤٦م بتأييد من المسلمين، وعين وزيرا للعدل ورئيسا للجنة الدستور الهندي. حارب النظام الطبقي وسعى لرفع مستوى المنبوذين والبؤساء، وألف حوالي ٢٥ كتابا في هذا الصدد؛ اعتنق البوذية مع أتباعه في أكتوبر سنة ١٩٥٦م؛ ووجد ميتا في فراشه في ديسمبر نفس السنة في نيو دلهي ولم يعرف سبب موته.(انظر: مقدمة كتابه Annhilation of Caste (ابادة الطبقية) ص ١-٣)

(٢) انظر: المسلمون في الهند لأبي الحسن الندوي ص١٥

(٣) راجع ص ٦٣ من هذه الرسالة

(٤) انظر: Influence of Islam on Indian culture ص ١١٨-١١٩

وتأثرت طائفة السدها بالأعمال الطبية، يتبعون في ذلك القوانين الكيمائية التي كان المسلمون يعملون بها، تعلموها من المسلمين؛ وكان موقفهم في ذلك موقف ذي النون المصري الصوفي.(١)

وخلاصة القول إن المجتمع الهندي تأثر كثيرا بالاسلام في عقائده النقية وأحكامه الاجتماعية السمحة، وظهر ذلك التأثر جليا في حياتهم وخاصة في البلاد الجنوبية؛ وظهر علماء هندوسيون دعوا إلى اصلاح في عقائد البرهمية وأحكامها.

---

(١) انظر: المصدر السابق ص١٢٨
وذو النون المصري هو ثوبان بن ابراهيم، وقيل فيض بن أحمد، النوبي الاخميمي، الزاهد وشيخ الديار المصرية، ولد في أواخر أيام المنصور – الخليفة العباسي - كان عالما فصيحا حكيما، توفي في ذي القعدة سنة ٢٤٦هـ.)انظر: سير أعلام النبلاء للامام شمس الدين الذهبي ١١/٥٣٢-٥٣٦، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٢١٧-٢٢٧.

الخاتمـــة

بعون الله تعالى وتوفيقه قد أتممت البحث في موضوع النظام الطبقي ... ونقده على ضوء الإسلام، وبعد أن تناولته عرضا ونقدا أود أن أعرض على القاريء النتائج الرئيسة التي توصلت إليها بإيجاز :-

١ - إن الديانة البرهمية ديانة وضعية بعيدة عن الوحي الإلهي، ولا يمكن أن تكون بشكلها الحالي ذات صلة بالوحي حيث تبنت الشرك والوثنية منذ زمن بعيد؛ وانحرفت في معتقداتها وأحكامها عن الديانات السماوية. وكان الأصل فيها التوحيد .

٢ - إن معتقدات الديانة البرهمية وعاداتها تطورت عبر القرون الطويلة عن طريق حكمائها ومفكريها؛ وما زالت تستقبل آراء ومذاهب جديدة حتى صارت ديانة متضاربة العقائد ومتعارضة التقاليد.

٣ - وصول مجموعة من أتباع البرهيمة إلى السيادة والزعامة جعلهم يتبنون أحكاما وقوانين للحفاظ على سيادتهم الاجتماعية ومصالحهم العرقية أدت إلى قيام نظام جديد يحكم المجتمع البرهمي بأسره عرف بالنظام الطبقي.

٤ - يقسم النظام الطبقي المجتمع إلى أربع طبقات متفاوتة، يميز بينهم في الكرامة الإنسانية والحقوق والوظائف الاجتماعية، ويعطي الطبقات العليا كامل الامتيازات في جميع مجالات الحياة حينما يحرم على الطبقات السفلى والمنبوذين أدنى حقوقهم.

٥ - في النظام الطبقي تستأثر الطبقة العليا بالزعامة الدينية وعمل الشعائر التعبدية وتعلم الكتب الدينية وتعليمها وتحرم الطبقة السفلى والمنبوذون من مزاولة الأمور الدينية وتعلم الكتب وتلفظ كلماتها؛ كما تمنع من إظهار وتربية المواهب الفطرية والقدرات العقلية والفكرية وإشباع تطلعات الروح والفكر إلى إصلاح الحياة ونيل الرفعة والسعادة بعقوبات شديدة رادعة.

٦ - تقديس أفراد الطبقات العليا بمراسم خاصة ليتمتعوا بحقوق وامتيازات اجتمعية، وتمييزهم في تقويم الجرائم والعقوبات القولية والفعلية تبعا لمنزلة المجرم الطبقية فتشددها على الطبقات الوضيعة وتخففها للطبقات العليا.

٧ - حرمان أفراد الطبقات الدنيئة من أدنى حقوقهم الاجتماعية، وإبعادهم عن مرافق الحياة العامة إلى خارج المدن والقرى يقاسون شظف العيش ومرارته باعتبارهم نجاسة ذاتية حيث لا يجوز لمسهم أو الاقتراب منهم.

٨ - تصنيف الأعمال المعيشية إلى مراتب متفاوتة، وتخصيص نوع منها لكل طبقة حسب منزلتها بحيث لا يجوز لأحد التحول عنه، وتسخير الطبقات السفلى للطبقات العليا، بحيث لا يستطيع أفراد الطبقات السفلى التخلص من سوء حالتهم الاقتصادية نتيجة لهذا الفرض.

٩ - حصر الحكم وسياسة الدولة والامتيازات السياسية في الطبقتين العليين وإبعاد الطبقات السفلى عن مصالحها.

١٠- حكم هذا النظام المجتمع الهندي زمنا طويلا وخلف شعوبا بائسة سيئة الأوضاع في جميع شؤونهم، ومنعها فرص الانتعاش ، ولا تزال مظاهر هذا النظام باقية في المجتمع الهندي تسيطر على كثير من مجالات الحياة .

١١- قيام التمييز الطبقي على أمرين رئيسين؛ أحدهما اعتقاد البرهميين أن التفاوت بين البشر طبيعة جعلها الإله حين خلقهم. وثانيهما أنه جعل حق تشريع الأحكام وتنفيذها للطبقة العليا منهم.

١٢- إن موقف البرهمية من المرأة ومكانتها وواجباتها غير عادل إذ لم توف لها كرامتها وحقوقها بحيث تستطيع المشاركة في بناء الأمة والمجتمع.

١٣- إن العقيدة الإسلامية القائمة على توحيد الله وعبادته وحده عامل كبير في نهوض كثير من علماء الهندوسية بحركاتهم الإصلاحية في البرهمية في العصور المتأخرة؛ كما إن خصائص الإسلام ومبادئه في الأخوة الإنسانية والعدالة الاجتماعية دافع كبير في اعتناق كثير من سكان الهند - لا سيما من الطبقات السفلى - بالإسلام؛ ولا يزال الإسلام مخلصا لكثير من الشعوب المتخلفة التي تقاسي ألوانا من الاضطهاد والإهانة من الطبقات العليا.

١٤- إن الإسلام لا يميز بين البشر باعتبارات عرضية من عرق أو نسب أو لون أو لغة أو ما إلى ذلك، بل كلهم سواء في الخلق والكرامة والحقوق الأساسية، كلهم أبناء رجل واحد لا يفضل أحد على الآخر إلا من ناحية التقوى والمواهب والأعمال الصالحة؛ ومن ثم يكون النظام الذي ينبني على التمييز بين الناس في الحقوق والامتيازات بحكم نسبهم أو لونهم جورا كبيرا على الإنسانية.

وبعد الانتهاء من البحث في نظام البرهمية الطبقي أرى جديرا إجراء مزيد من البحث في الديانة البرهمية من ناحية عقائدها في الألوهية والرسالة والآخرة ليعلم كيف انحدرت البرهمية إلى الشرك وإنكار النبوة واعتقاد تشكل الإله ونزوله إلى الأرض والتناسخ وما إلى ذلك .

وأرى أيضا من اللازم إجراء بحث في تطوير الدعوة الإسلامية في البلاد الهندية حيث إن الهند تحتل المركز الثاني في العالم من حيث عدد السكان ، والمركز الثاني في العالم الإسلامي من حيث عدد المسلمين، وهناك مستقبل مشرق للإسلام إذا عرض الإسلام بصورته الصحيحة وخصائصه ومحاسنه المميزة، فيقدم على اعتناقه خلق كثير من سكانها - لا سيما من الطبقات السافلة.

وفي الختام أسأل الله العلي العظيم أن يتقبل منا أعمالنا وأن يجعل خيرها خواتمها وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه إنه سميع مجيب وصلى الله تعالى وسلم وبارك على عبده محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين؛ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس

١ – فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
"المزمل"			
	– وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله	٢٠	٢٢٢
"المدثر"			
	– والرجز فاهجر	٥	١٧٩
"عبس"			
	– عبس وتولى أن جاءه الأعمى ... الآيات	١–١٠	١٤٩
"التكوير"			
	– وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت	٨،٩	٢٦٨
"البلد"			
	– فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة... الآيات	١١–١٤	٢٢٩
"العلق"			
	– اقرأ باسم ربك الذي خلق ...الآيات	١–٥	١٤٥

٣ - فهرس الأحاديث والآثار

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة
٥٥ - كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...	٢٨١
٥٦ - كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم ...	٢٧٦
٥٧ - كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير ...	٢٤٥
٥٨ - كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فنسقي القوم ونخدمهم ...	٢٧٠
٥٩ - كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ ...	١١٧
٦٠ - لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا...	٢١٦
٦١ - لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره ...	٢١٥
٦٢ - لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن	٢٧٨
٦٣ - لا حسد الا في اثنتين رجل علمه الله القرآن...	١٤٨
٦٤ - لا يخلون رجل بامرأة الا مع ذي محرم	٢٧٨
٦٥ - لا يقولن أحدكم عبدي فكلكم عبيد الله ولكن ليقل فتاي	٢٣١
٦٦ - لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله...٢١٦	٢١٧
٦٧ - لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا ...	٢١٦
٦٨ - للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف	٢٣٢
٦٩ - لما قدم المهاجرون الأولون العصبة ... كان يؤمهم سالم...	١٥٠،١٤٢
٧٠ - ما أعرف أحدا أقرب سمتا وهديا ودلا بالنبي صلى الله عليه وسلم ...	١٥٠
٧١ - ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده	٢٢٣
٧٢ - ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم... (هامش)	٢٢٤
٧٣ - ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٤٩
٧٤ - ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة...	٢٧٤
٧٥ - ما من مولود الا يولد على الفطرة ...	١٨٣،٤٦
٧٦ - المؤمن لا ينجس	١٨١،١٧٩ ٢٦٨
٧٧ - المؤمن ليس بنجس	١٨٠
٧٨ - المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم	١٩٠
٧٩ - مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب...	١٤٨
٨٠ - المستشار مؤتمن	٢٥٠
٨١ - من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال :أمك	٢٧١
٨٢ - من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه...	٢٢٩

٣ - فهرس المصادر والمراجع

أولا: المراجع العربية

١ - القرآن الكريم .

٢ - آسيا - دراسة في الجغرافيا الاقليمية
تأليف : الدكتور محمد خميس الزوكة
دار المعرفة الجامعية، ٤٠ شارع سوتير، الأزرايطة، اسكندرية .

٣ - آسيا الموسمية وعالم المحيط الهادي
تأليف: الدكتور حسن سيد أحمد أبو العينين
الناشر: مؤسسة الثقافة الجامعية
شارع الدكتور مصطفى مشرفة بالاسكندرية .

٤ - الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان
للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ)
قدم له وضبط نصه: كمال يوسف الحوت
الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية
تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (٤٥٠هـ)
الطبعة الثالثة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، محمد محمود الحلبي وشركاه ، خلفاء.

٦ - الاحكام في أصول الأحكام
للحافظ أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري
الناشر: زكريا علي يوسف
مطبعة العاصمة بالقاهرة
أشرف على طبعها: الأستاذ أحمد شاكر.

٧ - الاحكام في أصول الأحكام
تأليف: الامام العلامة علي بن محمد الآمدي
تعليق: عبدالرزاق عفيفي
المكتب الاسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، بيروت .

٨ - أحكام القرآن
لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي
تحقيق: علي محمد البجاوي
الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .
٩ - احياء علوم الدين
تأليف: الامام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي
دار الشعب ، القاهرة .
١٠ - أديان الهند الكبرى – مقارنة الأديان
تأليف : الدكتور أحمد شلبي
الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
١١ - ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول
تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى ١٢٥٥هـ
الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
١٢ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام
تأليف: الدكتور عبد الواحد وافي،
دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة .
١٣ - الاسلام أثره في الحضارة وفضله على الانسانية
تأليف: أبي الحسن علي الحسني الندوي
ملتزم النشر والتوزيع: المجمع الاسلامي العلمي (ندوة العلماء)،
لكهنو، الهند ، عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
١٤ - اعلام الموقعين عن رب العالمين
تأليف : شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد
الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، مطبعة السعادة بمصر.
١٥ - الامامة العظمى عند أهل السنة والجماعة
تأليف: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي
الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
١٦ - البداية والنهاية
لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)
الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، مكتبة المعارف ، بيروت.

١٧ - بذل المجهود في حل أبي داود

للشيخ خليل أحمد السهارنفوري

مطبعة السعادة، الهند، الطبعة الثالثة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

١٨ - تاريخ الاسلام في الهند

تأليف : عبد المنعم النمر

الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م، دار العهد الجديد للطباعة، كامل مصباح .

١٩ - تاريخ الدعوة الاسلاميةفي الهند

لمسعود عالم الندوي

دار العربية.

٢٠ - تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠ هـ

الطبعة الثالثة، دار المعارف ، القاهرة.

٢١- التبيان في آداب حملة القرآن

لأبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي

تحقيق وتخريج الأحاديث: عبد القادر الأرناؤوط

مكتبة دار البيان، دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٢ - تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق

للامام فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي

(مطبوع مع حاشية الشيخ شهاب الدين أحمد الشلبي)

الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر المعزية، ١٣١٣هـ .

٢٣- تحفة الأشراف في معرفة الأطراف

للامام جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي المزي المتوفى ٧٤٢ هـ

تحقيق: عبد الصمد شرف الدين

الدار القيمة، بهيوندي، بومباي ، الهند .

المكتب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(مطبوع مع النكت الظراف للحافظ ابن حجر العسقلاني).

٢٤ - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة

تأليف: أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني ت ٤٤٠ هـ

عالم الكتب ، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، بيروت .

٢٥ - تفسير ابن كثير
للامام أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .
٢٦- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)
تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ
الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء.
٢٧- تلخيص المستدرك
تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٨٤٨ هـ)
(مطبوع على ذيل المستدرك)، الطبعة الأولى
الناشر: مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.
٢٨ - توظيف العمل في الاقتصاد الاسلامي
لموسى محمد الطيب علقم
رسالة دكتوراة، ١٤٠٨هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
٢٩ - تيسير التحرير
تأليف: محمد أمين المعروف بأمير بادشاه
طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة، ١٣٥١ هـ .
٣٠ - الجامع لأحكام القرآن
لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي
الطبعة الثانية، مكتبة الرياض الحديثة .
٣١- جغرافية العالم - دراسة اقليمية - الجزء الأول - آسيا وأوربا
تأليف: الدكتورة دولت أحمد صادق
ملتزمة الطبع والنشر: مكتبة الأنجلوالمصرية ،١٦٥ شارع محمد فريد، القاهرة، ١٩٧٠م .
٣٢- الحرية الاقتصادية وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي في الاسلام
لعبد الله مصلح مستور الثمالي
رسالة دكتوراة، ١٤٠٥ هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
٣٣ - الحسبة في الاسلام
تأليف: شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (٦٦١- ٧٢٨هـ)
تحقيق: سيد بن محمد بن أبي سعدة
نشر وتوزيع: مكتبة دار الأرقم ، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٤- دائرة معارف القرن العشرين
تأليف: محمد فريد وجدي
دار الفكر
توزيع: الشركة اللبنانية للموسوعات العالمية، بيروت، لبنان .

٣٥ - الدعوة الاسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية
تأليف: الدكتور محيي الدين الألوائي،
رسالة دكتوراة، جامعة الأزهر
الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق .

٣٦ - الذريعة إلى مكارم الشريعة
للشيخ أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني
مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد
الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، مطبعة حسان
الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، حسين محمد أمبابي، ميدان الأزهر.

٣٧- رسائل الجزائري
للشيخ أبي بكر جابر الجزائري
الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة
جدة، المملكة العربية السعودية.

٣٨ - الرسالة
تأليف: الامام محمد بن ادريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)
تحقيق: محمد سيد كيلاني
الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٣٩ - روضة الناظر وجنة المناظر
للامام موفق الدين أحمد بن قدامة المقدسي (٥٤١-٦٢٠)
دار الفكر العربي .

٤٠ - زاد المعاد في هدي خير العباد
تأليف: الامام ابن قيم الجوزية
المكتبة المصرية ومكتبتها، سوق الأوقاف بأرض شريف، شارع عبدالعزيز.

٤١ - سنن ابن ماجه
لأبي عبدالله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني
تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي
عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .

٤٢ - سنن أبي داود
لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني
مراجعة: محمد محيي الدين عبدالحميد
دار الفكر للطباعة.
٤٣ - سنن الترمذي - الجامع الصحيح
لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي
تحقيق: أحمد محمد شاكر
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة،
الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.
٤٤ - سنن الدارمي
لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت٢٥٥هـ)
طبع بعناية محمد أحمد دهمان
النشر: دار احياء السنة النبوية
توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.
٤٥ - سنن سعيد بن منصور
لسعيد بن منصور الخراساني (ت ٢٢٧هـ)
تحقيق: الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي
الدار السلفية، بومباي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.
٤٦ - السنن الكبرى
لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت ٤٥٨هـ)
الطبعة الأولى، ١٣٥٥هـ ، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية ،
حيدر آباد، الهند،
٤٧- سنن النسائي
لأبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

٤٨ - السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية
لشيخ الاسلام أحمد ابن تيمية
تحقيق وتعليق: محمد ابراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور
الشعب، القاهرة.

٤٩- سير أعلام النبلاء
للامام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)
تحقيق: شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد
الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، مؤسسة الرسالة، بيروت .

٥٠ - السيرة النبوية
لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣ هـ)
تقديم وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد
الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية، لصاحبها: حسين محمد امبابي المنياوي
الطباعة: شركة الطباعة الفنية المتحدة.

٥١ - شبهات حول الاسلام
تأليف: محمد قطب
الطبعة السادسة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، دار الشروق، بيروت والقاهرة.

٥٢- شرح الامام النووي لصحيح مسلم
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٥٣ - شرح السنة
تأليف: الامام المحدث أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (٤٣٦-٥١٦هـ)
تحقيق وتخريج الأحاديث: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش
الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، المكتب الاسلامي .

٥٤ - الشرح الكبير
لأبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة
مطبوع مع المغني، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٥٥ - شرح متن الرحبية
تأليف: محمد بن محمد سبط الماريديني
طباعة الشؤون الدينية بدولة قطر
الناشر: عبدالله بن ابراهيم الأنصاري .

٥٦- صحيح الامام البخاري
لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)
المكتبة الاسلامية، محمد أوزدمير، استانبول ، تركيا.

٥٧ - صحيح الامام مسلم
للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ)
تحقيق :محمد فؤاد عبدالباقي ، دار احياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

٥٨ - طبقات الأولياء
لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري
حققه وخرجه: نورالدين شريبة
الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة
مكتبة دار التأليف، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٥٩ - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية
للامام ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)
تحقيق: د/ محمد جميل غازي
مطبعة المدني، القاهرة.

٦٠ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري
للامام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)
رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي
قام باخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب
دار الريان للتراث ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

٦١ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير
لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٦٢ - كتاب الفتوح
للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت نحو سنة ٣١٤هـ)
طبع باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية
الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ،بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
بحيدرآباد، الدكن، الهند.

٦٣ - فتوح البلدان
تصنيف: الامام أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري
تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع
دار النشر للجامعيين، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

٦٤ - فتوح مصر وأخبارها
تأليف: أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالحكم
تقديم وتحقيق: محمد صبيح .

٦٥ - الفصل في الملل والأهواء والنحل
للامام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري
الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، دار المعرفة للطباعة والنشر ،
بيروت، لبنان .
٦٦ - كتاب فضائل الصحابة
للامام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)
تحقيق وتخريج الأحاديث: وصي الله بن محمد عباس
مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ،جامعة أم القرى
الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٦٧ - فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت
للعلامة محمد بن نظام الدين الأنصاري
المطبعة اللأميرية، دار صادر.
٦٨ - فيض القدير شرح الجامع الصغير
للعلامة محمد المدعو بعبدالرؤوف المناوي (٩٥٢-١٠٣١هـ)
دار المعرفة ، بيروت، لبنان .
٦٩ - الكامل في التاريخ
لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد الشيباني ،ابن الأثير
دار صادر للطباعة والنشر،دار بيروت للطباعة والنشر،بيروت١٣٨٥ هـ/١٩٦٥م.
٧٠ - كشف الأستار عن زوائد البزار
للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥-٨٠٧هـ)
تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي
الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٧١- لسان العرب
لأبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور
دار صادر ودار بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
٧٢ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين
لأبي الحسن علي الحسني الندوي
الطبعة السادسة، ١٩٦٥م/ ١٣٨٥هـ ، دار الكتاب العربي، بيروت .
٧٣ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
للامام نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي
مؤسسة المعارف ، بيروت، لبنان، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

٧٤- المجموع شرح المهذب
للامام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)
دار الفكر.
٧٥- مجموع فتاوى
لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية
جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي
اشراف: الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
٧٦- المستدرك على الصحيحين في الحديث
لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم المتوفى ٤٠٥ هـ،
مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
٧٧- المستصفى من علم الأصول
للامام حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر المحمية، سنة ١٣٢٢هـ.
٧٨ - المسلمون في الهند
للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي
الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، مطبعة ندوة العلماء، لكنو ، الهند .
٧٩ - المسند
للامام أحمد بن محمد بن حنبل
وبهامشه: منتخب كنز العمال
دار الكتب العلمية ، توزيع: دار الباز، مكة المكرمة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٧م .
٨٠ - المسودة في أصول الفقه
تأليف: مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبدالله بن الخضر،
وشهاب الدين أبو المحاسن عبد الحليم بن عبد السلام،
وشيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم
جمع وتبييض: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الغني
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،
الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت .
٨١ - المعرفة
توزيع: الشركة اللبنانية للموسوعات العالمية
الانتاج: ١٩٨٣،شركة انماء النشر والتسويق، ش م م ل، بيروت ، لبنان
الطباعة: مؤسسة خليفة للطباعة، بيروت، لبنان.

٨٢ - المغني
لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة
رئاسة ادارات البحوث العلمية السعودية
مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
٨٣ - مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
تأليف: الامام جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي
تحقيق الدكتورة زينب إبراهيم القاروط
دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .
٨٤ - منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال
لعلي بن حسام الدين المتقي
(مطبوع على هامش مسند الامام أحمد
دار الكتب العلمية
توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.
٨٥ - الموافقات في أصول الأحكام
للامام أبي اسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المعروف بالشاطبي
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد
الناشر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر
مطبعة المدني، القاهرة.
٨٦- الموطأ للامام مالك بن أنس
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.
٨٧- نزهة الخاطر العاطر شرح كتاب روضة الناظر وجنة المناظر
للشيخ عبد القادر بن مصطفى بدران الدومي الدمشقي
دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .
٨٨ - نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر
تأليف: العلامة الشريف عبدالحي بن فخرالدين الحسيني
الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
بحيدر آباد، الدكن، الهند.

كتب المستشرقين

٨٩ - تاريخ الحضارات العام

تأليف: أندريه ايمار، وجانين أوبواية

ترجمة: فريد م داغر وفؤاد ج أبو ريحان

الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

٩٠- حاضر العالم الاسلامي

تأليف: لوثروب ستوادارد

تعريب: عجاج نويهض

تعليق: الأمير شكيب أرسلان

الطبعة الرابعة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت .

٩١- حضارات الهند

تأليف: غوستاف لوبون

ترجمة: عادل زعيتر

مكتبة دار احياء الكتب العربية .

٩٢ - الدعوة إلى الاسلام

تأليف: توماس. و. آرنولد

ترجمة: د/ حسن ابراهيم حسن، د/عبدالمجيد عابدين، اسماعيل النمراوي

الطبعة الثانية ، ١٩٧٠م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة .

٩٣ - قصة الحضارة

تأليف: ول ديورانت

ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود

اختارته وأنفقت على ترجمته : الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية

الطبعة الثانية ١٩٥٧م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة

٩٤ - معالم تاريخ الانسانية

تأليف: هـ . ج . ولز

ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد

الطبعة الثالثة، ١٩٦٧م، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ثانيا: المجلات والدوريات

٩٥ - مجلة بربودهنام الاسلامية
الناشر: ك م عبدالأحد
نيابة عن : الجماعة الإسلامية الهندية ، فرع كيرالا

٩٦ - مجلة ثقافة الهند
اصدار : المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ، نيو دلهي .

٩٧ - مجلة دعوت - هندوستاني مذاهب نمبر
(عدد خاص بالأديان الهندية)
٢٨ رمضان المبارك ١٤١٣هـ، ٢٢ مارس ١٩٩٣
جامعه نكر ، نئي دهلي ١١٠٠٢٥

٩٨ - مجلة راديانز الأسبوعية (في الانجليزية)
عدد خاص بأحوال المسلمين في الهند
٥ -١١ ابريل ١٩٩٢م
اصدار : الجماعة الإسلامية الهندية
دلهي ، الهند

ثالثا: المراجع الأجنبية

ا - في اللغة الأردية

٩٩- تحفة الهند
تأليف: عبيدالله سندي ماليركوتلوي
مكتبة حنفية، داكخانه والى كلى أردو بازار
كجرانواله، بنجاب، باكستان

١٠٠- المعجم ، أردو - عربي
تأليف: مولانا خليل الرحمن نعماني
تقديم : حضرت مولانا مفتي محمد شفيع
ناشر: دار الاشاعت، مقابل مولوي مسافر خانه ، كراجي .

ب – في اللغة الانجليزية

101 - Ancient History of India (English)

By: L.P. Sharma

تاريخ الهند القديم

تأليف : ل . ب . شرما

Vikas publishing house PVT Ltd, New Delhi
Head office: Ghaziyabad (U.P)

102 - Ancient India

By: Romila Thaper

تاريخ الهند القديمة

تأليف : روميلا تابر

Malayalam Translation By: D. Jayadevadas
Publishers: State institute of language, Kerala
Second edition Sep 1986

103 - Annhilation of caste (Malayalam translation)

By: Dr. B.R.Ambedkar

ابادة الطبقية

تأليف : د / ب.ر. أمبيدكار

Translated by: T.K.Narayanan
Published by: Dalit Sahitya Akadamy, Banglore 560003

First Published: Nov 1987

104 - BCs neither Sudras nor Hindus (English)

By: N.K.Sharma

المنبوذون ليسوا شودرا ولا هندوس

تأليف : ن . ك . شرما

Dalit voice editorial March 1 - 5, 1987

Reprinted by: Dalit Sahitya Akadamy, Kerala, Calicut 4,
Sep 1988

105 - A Classical dictionary of Hindu Mithology and Religion (English)

By: John Dowson

معجم الفاظ الديانة والأساطير الهندوسية القديمة

تأليف : جون دوسون

12th edition, Lyall book depot, Ludhiyana

106 - Discovery of India

By: Jawahar lal Nehru

العثور على الهند

تأليف : جواهر لال نهرو

Malayalam translation by: C.H. Kunhappa
Publishers: The Matrubhumi printing and publishing company Ltd
Calicut 673001, february 1990

107 - Encyclopedia Indica (English)

By: Jagadish Charan sharma

دائرة المعارف الهندية

تأليف ججاديش شرن شرما

New Delhi, S.Chand, 1975

108 - Hinduism, Religion and way of life (English)

By: Satyavratha Patel

الهندوسية : ديانة وطريقة حياة

تأليف : ستياورتا باتيل

109 - History of Ancient India (English)

By: R.S.Tripadi

تاريخ الهند القديمة

تأليف آر . اس .ترپادي

110 - History of caste in India (English)

By: S.V. Kadkar

تاريخ الطبقات في الهند

اس . و . كدكار

111 - Influance of Islam on Indian culture (English)

By: Tarachand

تأثير الاسلام على الثقافة الهندية

تأليف : تاراجند

First Pakistani edition, 1979

Published by: Musthafa waheed
Printed at Mashood printers, Lahore

112 - Life and culture in Ancient India (English)
(From the earliest times to 1000 AD)
By: B.N. Luniya
الحياة والثقافة في الهند القديمة
تأليف : ب . ن . لونيا
Third edition 1988 - 89

113 - Sudras in Ancient India (English)
By: R.S. Sharma
الشودرا في الهند القديمة
ر.س. شرما
Published by: Motilal Banarsidas publishers, Delhi
3rd edition, 1990

114 - Sudras in Manu (English)
By: Chitra Tivari
الشودرا في منوسمرتي
جترا تواري

جـ - في اللغة المليبارية

١١٥ - Amaramalayala nighandu (Malayalam)
Prepared by a committee headed by Vettam mani M.A.
معجم أمرا - (مليالم)
إعداد : لجنة برئاسة ويتام ماني . م . أ
First published in April 1973
Gurunadahan publications, Kottayam-2, Kerala.

١١٦ - Arsha jnanam (Malayalam)
By: M.D.Nalappad
المعرفة الارشية
تأليف : م . د . نالاباث

117 - Atharwa veda
(Malayalam translation)
أتروا ويدا
(ترجمة مليبارية)
Published by: Vidyarthi mithram press & book depot
Kottayam, Kerala, India

118 - Bharatheeya Chinda (Malayalam)
By K. Damodaran
الفلسفة الهندية
تأليف : ك . دامودران
State institute of language, Kerala, April 1973

119 - Bharatheeya samskarathinte adiyozhukkukal (Malayalam)
Auther: T. Mohammad
التيارات الخفية للحضارة الهندية
تأليف : تي . محمد
Publishers: Islamic Publishisng House, M.P.Road,
Calicut,India 673001

120 - Sreemad Bhagavad Geetha
(Malayalam translation)
جيتا (ترجمة مليبايرية)
Pub by: MathruBhumi Printing & Publishiing Co. Ltd
Calicut, April 1988.

121- Haindavatha - Dharmavum darshanavum (Malayalam)

Auther: M.M. Akbar

الهندوسية – ديانة وفلسفة

تأليف : م . م . أكبر

Publishers: Yuvatha book house, Kozhikode 2, India

122 - Hindudharma parichayam(Malayalam)

By Sadhusilan K.Parameswaran Pillai

التعريف بالديانة الهندوسية

تأليف : ك . براميشوران بلاي

Published by: Swami Mridananda, Puranatukara, Trichur

123 - Indiayude atmav(Malayalam)

By K. Damodaran

روح الهند

تأليف : ك . دامودران

124 - Islamika darshanam(Malayalam)

Authers: A group of scholers

الفلسفة الاسلامية

تأليف : مجموعة من العلماء

125 - Jathi vyavastha- Padanangal(Malayalam)

Editor: M. Gangadharan

دراسات في النظام الطبقي

المحرر : م . جنجادران

First impression: 1986

Janakeeya Prasidheekarana kendram, Trichur 680015, India

126 - Jathivyavasthithiyum Keralacharithravum (study)(Malayalam)

By: P.K.Balakrishnan

النظام الطبقي وتاريخ كيرالا

اعداد : ب . ك . بالاكرشنان

Publishers: Sahitya Pravarthaka Co-operative Society Ltd. Kottayam, Kerala State, India

127 - Kenopanishad (Malayalam Translation)

Commentary by : Swamy Mridananda

أبنشاد كينا

تفسير : سوامي مردانندا

Published by: Swamy Sakrananda
Sri Ramakrishna Math, Puranatukara
Trichur, Kerala, India
Forth edition 1987

128 - Manusmrithi(Malayalam Translation)

Translated by V. BalaKrishnan & R. Leela Devi

منوسمرتي

ترجمه الى المليبارية

و.بالاكرشنان وآر . ليلاديوي

Published by Vidyarthy Mithram Press & Book Depot,
KOttayam,
First edition June 1980

129 - Manu smrithy (Malayalam)

Abridged and retoled by Prof: N. Gopinathan Nair

منوسمرتي

تلخيص : أ / ن جوبناتن ناير

Publishers: D.C. Books, Kottayam India 1989

130 - Patthompatham noottandile keralam (Study) (Malayalam)

By:P. Bhaskaranunni

كيرلا في القرن التاسع عشر

تأليف : ب. بهاسكرا نوني

First published nov 1988

Published by: Kerala sahitya akadami
Trichur, Kerala State, India

131 - Rig veda (Malayalam translation)

رجويدا – ترجمة مليبارية

132- Rigvedathailoode (Malayalam)

By: V.V.K.Valath

من خلال رجويدا

و.و.ك. والت

National book stall, Calacut, Kerala

133 - Sama veda (Malayalam translation)

سامويدا

(ترجمة مليبارية)

Published by: Vidyarthi mitram press & book depot
Kottayam, Kerala, India

134 - Selected Works of Dr. Ambedkar

مختارات من مؤلفات د/ أمبيدكار

ترجمة : اجنيشيوس كاكنادن

Malayalam translation of Writings and speeches
Volume VII
By: Dr. B.R.Ambedkar
Translated By: Ignatius Kakkanadan
First Published April 1991

Published by: State institute of languages, Kerala

135 - Titireyopanishad

أوبنشاد تيتريا

Published by: Swami Mridananda, Puranatukara, Trichur

136 - Viswa vijnana kosham (Malayalam)

دائرة المعارف (في اللغة المليبارية)

137 - Yajur veda (Malayalam translation)

ياجورويدا (ترجمة مليبارية)

Published by: Vidyarthi mithram press & book depot
Kottayam, Kerala, India

٤ - فهرس المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــــوع	الصفحة